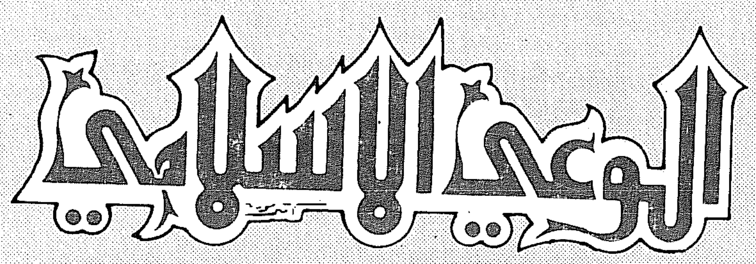


إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٤٢ - صفر ١٤٠٥ هـ / أكتوبر ١٩٨٤م

هديتك مع العدد مجلة براعم الإيمان


وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
والمؤمنون



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الحادية والعشرون

العدد ٢٤٢ ـ صفر ١٤٠٥ هـ / اكتوبر ١٩٨٤م

هــدفهــا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصــدرهــا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٣٨٩٣٤ ـ ٢٤٦٦٣٠٠

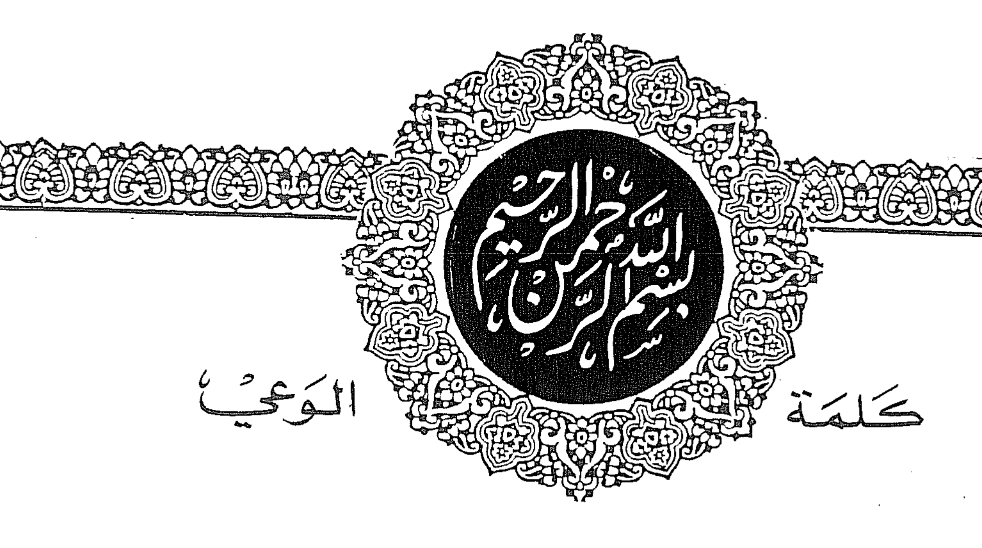
التوزيع والاشتراكات

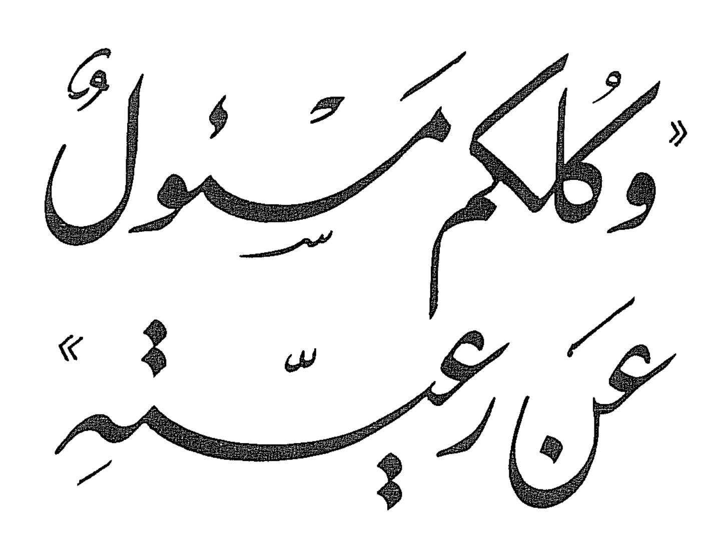
الشركة العربية للتوزيع (ش .م .ل)
ص .ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 I.E

● الثمــن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريـالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريـالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنـان	ليرة ونصف
ليبيـا	١٣٠ درهما
تونـس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي





الفكر الاسلامي يهدف دائما إلى سعادة البشرية وهدايتها ، ويطوع الحياة الى أنماط من السلوك السوي ، ويؤكد ان الاسلام بمنهجه وتشريعاته ، صالح لكل زمان ومكان ، وانه الدين القيم والصراط المستقيم حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وصدق الله العظيم « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » الآية/١٥٣ سورة الأنعام .

ولما تخوف أعداء الاسلام من قوة هذا الدين وفاعليته وهو يرفض

الظلم والاستعباد ويدعو الى التحرر وكسر القيود ، تضافرت جهودهم ، واتفقوا فيما بينهم على الكيد لهذا الدين ، بأساليب مدروسة وبتخطيط منظم حاقد ، يسعى بكل قوته الى تسميم العقول والأفكار ، وافساد الأخلاق والضمائر ، وبث الفرقة ، واشاعة الفوضى والاباحية ، ليباعدوا بين المسلم وعقيدته ، بكل وسائل الاغراء ، وانزعج الاستعمار كثيرا ، من دعوة الاسلام الى مقاومة الاحتلال وأطماعه ، وسرعة التعجيل برحيله ، ولم يستطع كتمان ذلك وزير بريطاني فصرح في مجلس العموم قائلا : ما دام هذا القرآن موجودا فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هي نفسها في أمان .

ولما لم يفلح الغزو العسكري ولم يستطع ان يدوم على أرض المسلمين طويلا ، لجأت الجبهات المعادية الى الغزو الفكري بوسائل شتى ، لها من قوة التأثير ، ما جعل بعض الناس ينسى انتماءه وتراثه ، ويعيش حياته مفتونا بأفكار تغلف السم بالعسل ، ساعد على ذلك فتح المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين ، واتخذ التبشير منها ومن المستشفيات التابعة له أوكارا لحملات التضليل والتشكيك في الوقت الذي فتح الاستعمار الثقافي على أرضه أبواب معاهده وجامعاته العلمية ، لاستقطاب كثير من المثقفين في العالم الاسلامي ، منهم من عاد بعلم سيره في موكب الايمان ، وفكر مستنير قدم للناس ما يثبت ان الاسلام خير دين ومنهم من عاد متأثرا بالفكر المادي المناهض للقيم الروحية ، يروج للمبادىء العلمانية ، معتزا بالقناعة بها أكثر من اعتزازه باسلامه وعقيدته ، وبالمكر والدهاء ، نجح الى حد ما ، التبشير والاستشراق والالحاد ، في بث أفكار تثير الشك والحيرة ، لتنشأ من أبناء المسلمين أجيال بعضهم لا يهتم بقضية الدين ، والبعض الآخر يأخذ ببعض جوانبه ، مع قصور في الفهم والوعي والادراك ، وبصورة تكون أقرب الى البدع والخرافات ، وهؤلاء كثيرا ما يشغلون أنفسهم بأمور جانبية تفرق بينهم وتقتل روح البحث في نفوسهم ، في الوقت الذي انطلقت فيه الأبواق العلمانية ، تؤكد أن التقدم المادي عند غير المسلمين ، سببه التحرر من القيم الدينية ، وقد غاب عن ضعاف الايمان ، أن هذا الزعم دعوة خبيثة تغري بالتخلي عن الاسلام ومبادئه .

لهذا ذهب كثير من العلماء ، الى أن الذي مكن للدعوات الضالة ان تعيش في العالم الاسلامي ، هو عجز المنهج الدراسي عن تقديم العقيدة بصورة تحيي الضمائر ، وتقوي الصلة بالله ، وتتفاعل بها الحياة حتى تكون سياجا للأخلاق ، وصيانة للقيم ، وسدا منيعا أمام تيار الكفر ، مهما كان جارفا .. كما أكد أصحاب الفكر ، ان المناهج التعليمية بقدر ما يبذل فيها من جهد ، وما يجد فيها من تطور ، ستظل عاجزة عن تكوين الشخصية الاسلامية التي تتجاوب مع عقيدتها .. اذا لم تعتمد أساسا على القرآن والسنة ، وقد ثبت بالتجربة انه لا أثر للتربية الاسلامية ، ان بقيت مجردة من الكمال والشمول وظلت محدودة في نطاق نظام نظري مرسوم ، كما ثبت ان العناية بالجانب التطبيقي ، وان القدوة السلوكية المؤمنة ، تجعل للثقافة الاسلامية فعالية في غرس الايمان والتدين والاستقامة ، في مجتمع الشباب الناشىء .

ان الفكر الاسلامي يجب أن يحظى بكثير من اهتمام المسؤولين في دول العالم الاسلامي ليجتاز الحاجز الذي ضرب من حوله ، وليرتاد آفاق المثل العليا والقيم الأخلاقية الفاضلة ، ولتنطلق الأجيال المؤمنة ، تصنع تاريخا وتحقق نهضة اسلامية جديدة في ظلال الدين الذي وافانا بالحق وحملنا أمانته في اخلاص وصدق .

خاصة واننا في عصر مادي مشحون بالاغراء والفتنة ، تتفتح مشاعر الشباب ، فيجد نفسه في متاهات من تشويه الحقائق والمغالطات التي تثير الشك والحيرة والقلق ، يجد الأبواب المؤدية الى طريق الفتنة والانحراف ميسرة وهو في الوقت ذاته يفتقد منهاجا يحمي أخلاقه ، ويصون عقيدته ، وينظم سلوكه ، كما يفتقد قدوة صالحة تشده الى طريق الخير والفضيلة ، وفي هذا الجو المشحون بالاخطار والمخاوف يتطلع المصلحون والمربون الى نجدة الشباب ، أمل الأمة وفجر غدها المأمول . وهم يرون ان العلاج يتمثل في أمرين : في منهاج ، وقدوة تطبق هذا المنهاج ، ومما لا شك فيه ان خير منهاج هو ما رسمه القرآن الكريم وفصلته السنة ، ففي رحابهما تقوى العقيدة ويتفجر الايمان ، واذا قويت العقيدة في النفوس ، تحطمت على صخرتها كل دعوة ضالة ، واستخزى أمام جلالها كل مذهب آثم ، مهما كان مغريا ، والايمان اذا باكر حياة الشباب ، وخالطت بشاشته القلوب صنع منهم رجالا وابطالا وقدم للأمة دروعها الواقية ، لأن منهج الاسلام وما يدور في فلكه من

عبادات ومعاملات ووصايا وقيم يمثل عنصرا أساسيا في بناء الانسان ، وأن المبادىء الاسلامية اذا أخذت طريقها الى عقل الشباب وفكره ، عاش عف المشاعر نظيف السلوك قوي الصلة بالله .

الأمر الثاني يتمثل في الحاجة الى قدوة صالحة ، واذا راجع الانسان نفسه يجد وراء كل حسنة من حسناته قدوة حسنة من أب أو معلم ، أوقريب أو صديق ، ويجد وراء كل سيئة من سيئاته ، قدوة سيئة تأثر بها في حياته ومنهجه ، فلا يرجى صلاح ناشىء يرى أباه فاسقا ، ولا تتحقق أمانته والقائمون على أمره لا يتورعون عن الخيانة ، وقل أن تصلي فتاة تنشأ في بيت لا يقيم الصلاة ، أو تحب الحجاب وأمها سافرة .. وهكذا لا ترجى الثمار الطيبة من نبت ينمو على عوج ، ولا خير يأتي من محاضن الشر الا من عصم الله .

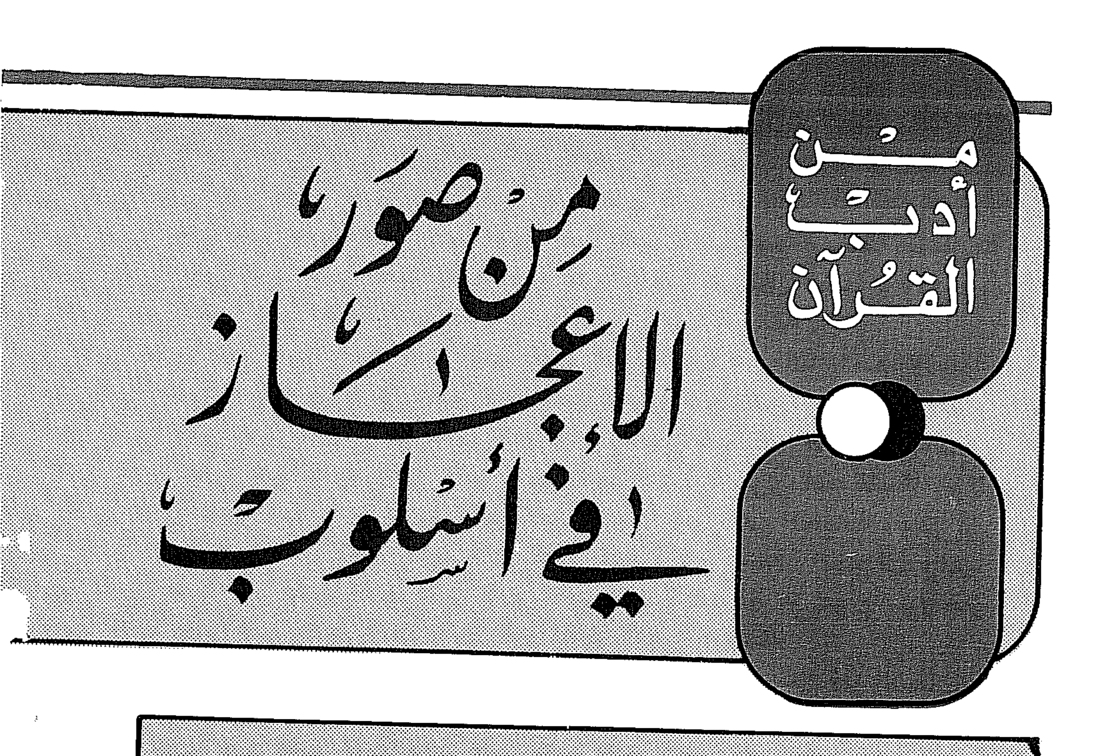
لهذا كانت مسؤولية الآباء والمربين وكل القائمين على أمر الشباب ، مسؤولية تقوم على أعظم أمانة حملها الانسان ، لأن التفريط فيها جناية على دين الله ، وعدوان على حاضر الانسانية ومستقبلها .

ورحم الله الامام ابن الجوزي حيث قال : (ان الشباب أمانة عند آبائهم ، وان قلوبهم كجوهرة ساذجة قابلة لكل نقش .. فان عودهم آباؤهم الخير نشأوا عليه .. وان عودوهم الشر نشأوا عليه ، فينبغي ان يصونوهم ويؤدبوهم ويهذبوهم ويعلموهم محاسن الأخلاق ، ويحفظوهم من قرناء السوء ولا يعودوهم التنعم والرفاهية فتضيع اعمارهم اذا كبروا ، ان الولد جزء من والده ، وهو نعمة وفخار ، أو نقمة وعار ، فاختر لجزئك ما تشاء) .

واذا كان في هذا القول اشارة الى مسؤولية الآباء والأمهات ، فمع بداية العام الدراسي الجديد تأتي مسؤولية المعلمين والمربين ، ومع فتح أبواب معاهد العلم لأبنائنا وبناتنا نرجو لهم العيش في جو اسلامي رشيد ، وان يكون منهج التربية الاسلامية في وضع يلبي حاجة الشباب بعطاء روحي فيه الهداية والطمأنينة وقوة الصلة بالله .. وصدق الله العظيم « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا » الآية/ ٩ سورة الاسراء .

رئيس التحرير

حسن منّاع



للاستاذ/عبد الغني احمد ناجي

ما فتئت طبائع للبشر - وبخاصة المسلمون - تكتشف منابع الاعجاز في القرآن الكريم ، تلك المنابع التي ستظل ثرة الى يوم الدين ، وإعجاز القرآن متعدد المناحي والآفاق ، وها نحن أولاء نستعين الله تعالى منزل القرآن في تجلية ما بهرنا إعجازه من حروف القرآن وكلماته التي وضعها الحكيم العليم بدقة فوق قدرة البشر ، وليس للبشر إلا الانبهار والاعجاب لتسبيح الله المنعم الوهاب ، فمن وهبه الله تعالى شفافية التذوق اللغوي أدرك ما يعجب ويبهر في وضع تلك الحروف والكلمات التي تشع من المعاني ما يستدعي الخشوع أمام إعجاز القرآن في أسلوبه الحكيم . فالحرف يوجد في آية ، ويسقط في نظيرتها لحكمة بالغة ، والكلمة تستعمل في آية فعلا ، وفي تاليتها اسما لمعان دقيقة لا تدرك إلا باستلهام الله اللطيف الخبير .

وقد مكثت طويلا من الوقت أمام بعض الآيات في كتاب الله تعالى ، ومكثت طويلا من الوقت ايضا أستلهم الله تعالى إدراك تلك المعاني ، وهأنذا أفصح عما هداني الله تعالى إليه غير جازم بما أقول ، فالله - أولا وأخيرا - أعلم بمراده .

فإذا استعرضنا بعض آيات القرآن الكريم وجدنا الدقة المعجزة في الأسلوب وفي التركيب ، وفي استخدام الحروف والكلمات استخداما



محكما ، فالآيات التي نقرأ فيها قول الله تعالى : (**إنه هو الغفور الرحيم**) أو : (**إن الله غفور رحيم**) كثيرة وفي سور عديدة ، أما قوله تعالى : « ... **غفور حليم**) **فقليلة ، وقد اجتمع القولان في سورة البقرة** ، ففي الحديث عما حرم الله على المؤمنين من الأطعمة الضارة تقول الآية : (**إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه**) ..ثم تختم تلك الآية بقوله تعالى : (**إن الله غفور رحيم**) البقرة/١٧٣ ، وفي النهي عن خطبة المطلقة قبل استكمال العدة ، تقول الآية في السورة نفسها : (**ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم**) البقرة/٢٣٥ ، فلفظة رحيم في الآية الأولى قد وضعت وضعا دقيقا مناسبا لسياقها ، وكذلك لفظة « حليم » في الآية الثانية قد وضعت أيضا وضعا محكما مناسبا لسياقها ، وباستعراض السياقين نجد أن الأولى كانت في مجال الحديث عن مغفرة الله عن أمر سبق ارتكابه بدافع الضرورة كالاضطرار إلى الأكل من الميتة في الصحراء فناسب أن تقرن المغفرة بالرحمة للاشارة إلى رحمة الله تعالى في إباحة الأكل من الميتة للمضطر دفعا للموت والهلاك ، أما الثانية فكانت في نهى عن الاقدام على عقد زواج غير جائز قبل مجيء وقته ، ونجد بعد النهي تحذير المسلمين من الاقدام على ذلك العقد لأنه يغضب الله تعالى مع أن الله تعالى حليم ، فالذي يغضب الحليم هو عمل غاية في السوء ، فجاءت لفظة « حليم » مناسبة للتحذير من الوقوع فيما

يغضب الله مستقبلا ، وجاءت لفظة « رحيم » مناسبة للتذكير بإباحة الله فعل محظور للضرورة الملجئة .

وإذا انتقلنا إلى سورة النساء قرأنا قول الله تعالى في شأن من يأتين الفاحشة من النساء : (**واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا**) النساء/ ١٥ ووجدنا أن الفعل : « يتوفى » هنا مسند إلى الموت مع أن الذي يتوفى الأنفس إنما هو الله تعالى ، فلعل في هذا الاسناد إشارة إلى فظاعة الجرم الذي ارتكب ، والفاحشة التي اقترفت ، فالله يبرأ ممن يرتكبها ، ولا يشرفه بإسناد وفاته إليه ، فاسناد وفاة الانسان الى الله تكريم وتشريف ، ونفيها لفظا إهانة وتخويف ، كمن يقول لابنه العاق أو المنحرف : « أنت لست ابني » فالعبارة لا تعني سلخه منه ، وانفصاله عنه ، فهو مازال ابنه برغم الأنوف ، ولكنه أراد تهديده وتخويفه وإفهامه أنه بعمله المنحرف لا يستحق شرف نسبه إليه ، فاللاتي يأتين الفاحشة تنزه الآية لفظ الجلالة من إسناد وفاتهن اليه ، مع أن الذي يتوفاهن هو الله تعالى ، وفي ذلك زجر شديد ووعيد وتهديد لمن يقدم على ارتكاب ما حرم الله تعالى .

وبعد الآية السابقة نقرأ قول الله تعالى :

(**إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما . وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن**) النساء/ ١٧ و١٨ .

فنجد في الآية الأولى من هاتين الآيتين كلمة (السوء) بالافراد ، وفي الثانية كلمة (السيئات) بالجمع ، لأن الآية الأولى في مجال قبول التوبة ، وفي الافراد إشارة إلى ضآلة السوء وإلى الجهالة عند وقوعه ، وفيه إيحاء بندم النفس على وقوعه ، وهذا يقتضي قبول التوبة ، ومن ثم طمأن الله تعالى قلب من يفعل السوء باستخدام حرف الجر (على) في قوله : « (على الله) ليطمئن المذنب حينئذ بأن الله تعالى أوجب على نفسه قبول توبته ، كمن يقول لغيره : (علي أن أفعل لك كذا) فيطمئن قلبه . أما الآية الثانية ، فهي في مجال إيصاد باب التوبة أمام من يرجئها حتى حال الاحتضار ، فالجمع هو المناسب لهذا الايصاد ، لأنه يوحي بكثرة السيئات التي تشير إلى استهتار ذلك المذنب ، وتلاعبه ، ثم إلى غفلته ونسيانه ربه حتى حال احتضاره ، فكان الافراد مناسبا في مجال الأولى والجمع مناسبا لمجال الثانية .

ثم نقرأ في سورة النساء نفسها قول الله تعالى : (**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم**) النساء/ ٣٤ . لنجد لفظة (قوامون) غاية في الدقة والاحكام ، فهي صيغة مبالغة من القيام ، والمبالغة هنا لا

تعني السيطرة والتجبر كما يفهم البعض ، ولكنها تعني المبالغة في الحرص على النفع والهيمنة الرحيمة ، والعطف المنداح ، والتقويم الرحيم ، فاللفظة تنداح لتضم بين جناحيها كل معاني الحدب والرحمة ، والحب والغيرة ، في يقظة وحركة ، فالقيام على الأمر لاصلاحه ، أو الشأن لاستمرار نفعه لا يعني سوى بذل أقصى الجهد بغية النفع والاصلاح ، فالذي يردد هذه اللفظة في سياقها في الآية بفكر حصيف ، وقلب مؤمن يجدها تشع العطف والحنان المحوطين بالحرص والأمان من رجال يجدون النساء قوارير الحياة ، ونحن نربأ برجل او امرأة يفهمان من تلك اللفظة (قوامون) عكس ما أشرنا إليه ، ونعيذ من يقرؤها أن يفسرها بمعاني السيطرة والقسوة والتسلط ، فقد مدحت الآية النساء اللاتي فهمن اللفظة فهما يرضى نفوسهن ، ويريح أفئدتهن : (**فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله**) ولا يعقل رضا الصالحات القانتات بالتسلط القاسي ، والتجبر المقيت ، كما يفسر اللفظة بعض المغرضين الذين يجنحون إلى الفظاظة والقسوة في معاملة النساء ، ثم يبررون قسوة معاملتهم بسوق الآية الكريمة : (**الرجال قوامون على النساء**) **مفسرين اللفظة حسب هواهم الجانح ، وفكرهم الشاطح** .

وفي سورة الأنعام نقرأ قول الله تعالى : (**إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي**) الأنعام/ ٩٥ فنقف أمام التعبير بالفعل المضارع (يخرج) عند الاخبار بقدرة الله تعالى على إخراج الحي من الميت ، والتعبير بالاسم أو الجملة الاسمية « مخرج » عند الاخبار بقدرة الله تعالى على إخراج الميت من الحي لنلمس الدقة المعجزة في اختلاف التعبيرين مع كون المجال في الظاهر ـ واحد ـ ولكن الذي يقرأ الآية بإمعان يجدها تلفت النظر إلى حبة يابسة ميتة ، أي لا حركة فيها أمام النظر ، وتلفت النظر إلى ما في تلك الحبة الميتة من فلق أو شق خلقه الله تعالى ليخرج منه النبات الحي النامي ، فالفلق مشاهد مرئي ، فكان الحديث عنه بالاسم (فالق) والحبة الميتة التي لا حراك بها مشاهدة مرئية أمام النظر ، فكان التعبير عنها بالاسم أيضا : (مخرج) أي هذه الحبة الميتة أخرجها الله تعالى سابقا من نبات حي نام ، والجملة الاسمية هي التي تفيد هذا الثبوت والسبقية ، أما إخراج الحي من الميت ، أي النبات النامي من هذه الحبة المفلوقة اليابسة المشاهدة في هذا المشهد ـ فيحتاج إلى الفعل المضارع الذي يفيد التجدد ، والحركة المستقبلية ، فجاء الفعل « يخرج » .

ثم نقرأ في سورة الأنفال قول الله عز وجل : (**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**) الأنفال/٣٣ فنجد ما لمسناه في سورة الأنعام من دقة الأسلوب فمما قرره علماء البلاغة

واللغة أن الجملة الفعلية تفيد التجدد والحدوث ، والجملة الاسمية تفيد الثبوت والاستمرار ، ومن منطلق هذه القاعدة نلمس الفرق بين « ليعذبهم » و « معذبهم » في آية الأنفال هذه ، فالله يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم في شأن المعاندين المستكبرين ، فيخبر الله تعالى بأنه لا يعذبهم مدة وجود الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم لأنه رحمة للعالمين ، فعدم العذاب هنا موقوت بوجود الرسول صلى الله عليه وسلم ، ووجوده له نهاية أي سينتهي بموته : **(إنك ميت وإنهم ميتون)** الزمر/ ٣٠ ، فناسب ذلك استخدام الفعل في الأخبار عن نفي العذاب **(وما كان الله ليعذبهم)** أما نفي العذاب في بقية الآية فهو موقوف على استغفارهم ، والاستغفار جائز الاستمرار ، فما وقف عليه ، أو علق به وهو نفي العذاب يجوز إستمراره كذلك ، فناسب في الأخبار عنه استخدام الاسم أو الجملة الاسمية المنفية ، لأنها هي التي تفيد الثبوت والاستمرار .. **(وما كان الله معذبهم)** .

وإذا قرأنا قول الله تعالى في سورة التوبة : **(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا)** التوبة/ ١١١ . وجدنا اللفظة (اشترى) تستدعى التساؤل ، فكيف يشتري الله تعالى نفوسا هو خالقها ، وأموالا هو مانحها ورازقها ؟

وكان المفروض الاخبار بالوعد لا بالشراء ، ولكن لما كان التعبير بالشراء أقوى في طمأنة قلوب المجاهدين إلى أن دخولهم الجنة وعد أكيد - كان ذلك التعبير أبلغ وأدق ، فالمشترى إذا دفع الثمن كان واثقا من الحصول على السلعة ، ولما كانت الآية في مجال التأكيد لطمأنة القلوب وترغيب النفوس في الجهاد في سبيل الله استخدمت الحرف المؤكد « إن » في الإخبار عما وعد الله تعالى به المجاهدين وهو الجنة فتقول الآية : (.. **بأن لهم الجنة)** **وكان يكفي أن تقول** : (**بالجنة) كمن يقول اشتريت كذا بكذا ، ولكن مجال جذب النفوس إلى الجهاد في سبيل الله وما يستتبعه من استشهاد - يستدعي ألوانا عدة من التأكيد المرغب ، والرابط على القلب ، ومن ثم اقترن دخول « إن » على الجملة الاسمية هنا بتقديم خبرها على اسمها** ، فخبرها الجار والمجرور (لهم) واسمها (الجنة) والتقديم من أساليب التوكيد أيضا ، وقد نجد حرفا في آية له دلالة من الأهمية بمكان بحيث لو حذف كما يجوز علماء النحو - لاختل المعنى ، من ذلك قول الله تعالى في سورة ابراهيم/ في مجال تذكير العباد بنعم الله عليهم : **(وآتاكم من كل ما سألتموه)** فحرف الجر « من » هنا لابد منه ليطابق الحديث سنة الله في خلقه التي تقتضي عدم إعطاء إنسان كل ما يطلب ، بل بعض ما يطلب لأن الله تعالى الخالق للنفوس يعلم ما

يصلحها ، وما يضرها ، فقد تطلب النفس ما يضرها وصاحبها لا يدري ، فالله ـ لرحمته بعباده ـ لا يعطي تلك النفس الطالبة ، ما يضر دون علمها ـ ما يضرها والمتدبر في هذا الحرف وما أفاد لا يأسى على عدم إجابة الله دعاءه أو طلبه ، فليعلم أن عدم الاجابة خير وهو لا يدري ، ومن ثم كان ختام تلك الآية : (**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**) ليشير ذلك الختام ـ والله أعلم بمراده ـ إلى أن البعض الذي يعطيه الله تعالى للانسان خير من الكل الذي طلبه ، وهذا البعض في ذاته كثير بحيث يعجز الانسان عن حصره أو عده ، وفي الختام اشارة أيضا إلى أن البعض المعطى نعمة ، أما الكل فربما يكون نقمة ، فلماذا نأسى على عدم إعطاء الله لنا كل ما نسأل ؟

ثم نقف في سورة الكهف لدى مشهد يضم نبي الله موسى والخضر عليهما السلام وهما يتحاوران بعد رغبة موسى في السير مع الخضر ، وبعد تعهده بالصمت إزاء ما يرى ، ففي المشهد نرى موسى عليه السلام لايطيق فيتحدث عند خرق الخضر لسفينة المساكين ، فيقول له الخضر مذكرا : (**ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا**) الكهف/ ٧٢ ، فكأن الخضر يرى أن هذه أول مرة يخالف فيها موسى ما تعهد به قبل ، ولكن لما تكررت المخالفة في المرة الثانية عند قتله الغلام بدون سبب ، قال الخضر لموسى : (**ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا**) الكهف/ ٧٥ ، فجاء في هذا التذكير الثاني بقوله : لك) ولم يأت به في تذكيره الأول ، فالجار والمجرور (لك) في المرة الثانية يشير (والله أعلم) إلى بدء نفاد صبر الخضر ، وكأنه يقول لموسى : إن تذكيري لك بأنك لن تستطيع الصبر على ما ترى مني ـ كان موجها إليك ، وخاصا بك ، وقد قلته لك ، فلماذا تكرر المخالفة ، ومن ثم كانت المخالفة الثالثة عند بناء الجدار مستدعية نفاد صبر الخضر ، وعدم قدرته على مصاحبة موسى بعد ذلك ، ولهذا أخبره بالفراق : (**هذا فراق بيني وبينك**) الكهف/ ٧٨ .

ثم نصل إلى آيتين كريمتين ، إحداهما في سورة السجدة وهي قوله تعالى : (**وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون**) السجدة/ ٢٠ والآية الثانية في سورة سبأ ، وهي قوله تعالى : (**فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون**) سبأ/ ٤٢ ، فنجد أن الآيتين تتحدثان عن النار يوم القيامة ، وعن العباد المستحقين لدخولها والاصطلاء بنارها ، والعياذ بالله ، ولكن المتدبر في أسلوب الآيتين يجد اختلافا ، فالأولى تقول : « .. عذاب النار الذي كنتم به تكذبون » والثانية تقول : « عذاب النار التي كنتم بها تكذبون » فالاسم الموصول في الآية الأولى (الذي) مذكر ، لأنه وصف للعذاب اي

للمضاف ، والاسم الموصول في الآية الثانية (التي) مؤنث ، لأنه وصف للنار ، فلعل التعليل (والله أعلم بمراده) أن الآية الأولى تتحدث عن أقوام فاسقين أدخلوا النار فذاقوا عذابها ، وكانوا قبل ذلك يكذبون بامكان حدوث هذا العذاب لهم ، فالآية تذكرهم بتكذيبهم بالعذاب وهم في لهيب العذاب ، بدليل قول الله تعالى عنهم في الآية : (**كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها**) فإرادة الخروج دليل على الدخول فتبكتهم الآية وتقرعهم بأن العذاب الذي يصلونه الآن هو ما كانوا يكذبون به من قبل . أما الآية الثانية فهي تخاطب الظالمين يوم القيامة ساعة الحساب وقبل دخول النار ، فتذكرهم بأن النار التي يرونها الآن هي التي كانوا يكذبون بها في الدنيا فهي تبكتهم ، وتقرعهم بما يشاهدون لا بما يذوقون ، لأنهم في موقف الحساب ، وقبل ذوقهم العذاب ، فالتبكيت والتقريع في الآية الأولى بعذاب يذاق ألمه وخزيه واستتبع ذلك الاخبار عن التكذيب بالعذاب في الآية الأولى أو المشهد الأول ، والاخبار عن التكذيب بالنار في الآية الثانية أو المشهد الثاني ، إذ المشهد الأول يضم من يذوقون العذاب ويريدون الفرار ولا فرار من عذاب الله ، والمشهد الثاني يضم من يرون النار الخالعة للقلوب ، والمذهلة كل مرضعة عما أرضعت لرؤيتها .

وفي ختام سورة الواقعة نقرأ آيتين متتاليتين تلفتان نظر الانسان إلى آثار قدرة الله في الكون ليؤمن بالبعث ، تقول الآية الأولى : (**أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون**) ٦٣ - ٦٥ وتقول الآية الثانية : (**أفرأيتم الماء الذي تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون. لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون**) ٦٨ - ٧٠ وبالتدبر في الآيتين نجد أن التهديد في الأولى قد اقترن باللام : « .. لو نشاء لجعلناه حطاما » ، والتهديد في الثانية مجرد من اللام : « .. لو نشاء جعلناه أجاجا » ولعل تعليل ذلك (والله أعلم) أن التهديد في الأولى يحتاج التوكيد باللام لأنه تهديد بازالة زرع نضر أمام عين صاحبه ، وصاحبه يراه صباح مساء في نضرته اليانعة فيسر به ، ويتذكر تعبه وجهده في حرثه وسقيه ، ويخال أنه مالكه وأن أحدا لن يقدر على نزعه منه ، فجاءت اللام لتأكيد التهديد ، أما التهديد في الثانية فهو بجعل الماء النازل من السماء حارا لا يصلح للشرب ، والانسان أمام السماء لا يحس أدنى قدرة - ولو مزعومة - على تملكه أو التحكم فيه ، فكان التهديد غير محتاج للتوكيد .

وبعد ، فلا يسعنا بعد هذا التطواف في رحاب هذه الآيات البينات سوى ان نقول في خشوع : سبحان الله الحكيم الذي أنزل كتابه الكريم في أسلوب محكم عظيم : (**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**) فصلت/٤٢ .



إن ركن البلاغة الأساسي هو : « مطابقة الكلام لمقتضى الحال » ، ومن العسير إذن لدارس بلاغة القرآن وخصائص أسلوبه أن يصل لادراك ذلك بعيدا عن دراسة أسباب النزول ، التي بها يدرك خصوصيات مقاصد الأسلوب ، بل يصل لما هو أعلى وأجل حيث يجد أن القرآن الكريم راعى مقتضى حال المخاطبين على أعلى مستوى معجز في الوقت ذاته الذي تلاءم أسلوبه وأداؤه مع مقتضى حال العالمين إلى يوم الدين .

ولذلك نجد دارسي الأدب في أي لغة لا يفتأون يقدمون بين يدي دراستهم الأدبية لنص ماءالسبب الذي قيل النص بسببه ، والذي يسمونه « مناسبة » ، ولقد كان علماؤنا أدق وأكمل عملا منهم ، حيث أطلقوا كلمة « سبب » وهذا أليق من كلمة « مناسبة » التي استعملها علماؤنا بمعنى وجه الارتباط بين أجزاء النص ، وتعلق بعضه ببعض ، كما أنه أدل على قوة العلاقة بين النص وسببه ، فضلا عن التوسع الملحوظ بالتوثق الدقيق للتثبت من أسباب النزول باثبات الروايات وروايتها بأسانيدها ، مما لا نجد له شبيها عند غير علماء التفسير والحديث .

ولعلنا بهذه المناسبة نلحظ مغزى تعبيرهم أحيانا بقولهم « قصة الآية » يريدون

سبب نزول الآية ، وما تشير اليه هذه العبارة من المقصد الأدبي والفني الرفيع .

ومن أمثلة الافادة من سبب نزول الآية في كشف بلاغة تعبيرها : قوله تعالى : « **ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا** » الآية ٣٣ من سورة النور .

نزلت هذه الآية كما اتفقت الروايات في عبدالله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في المدينة ، كان له إماء ، فكان يكرههن على البغاء طلبا لخراجهن - أي الربح من كسبهن الخبيث هذا - ورغبة في أولادهن - ليتاجر بهم - فاشتكين إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما يفعله بهن ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

ونذكر هنا سياق مسلم للقصة موجزا عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه ، أن جارية لعبدالله بن أبي بن سلول يقال لها : مشيكة ، وأخرى يقال لها : أميمة ، فكان يكرههما على الزنا ، فشكتا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : « **ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء** .. »

وقد جاء أسلوب الآية بهذا التعبير « **إن أردن تحصنا** » ليتضمن غمزهؤلاء السادة غمزا موجعا ، كأنه يقول لهم : لقد بلغ الحرص بكم على المال والجشع أنكم مع وجاهتكم ومركزكم الاجتماعي تهبطون إلى مستوى من قلة النخوة والشهامة تأباه الإماء اللواتي ينتمين إلى طبقة دنيا لا تتعير ولا تتحفظ من شيء ، فهن يأبين فاحشة الزنا ، ثم أنتم تكرهونهن عليها ، فمن من الفريقين أرفع وأكرم ؟؟

ونسوق فيما يلي دراسة لنص من القرآن الكريم تستوفي بحث الموضوع فنيا ، ونبرز ذوق المفسرين في تسميتهم سبب النزول « **قصة الآية** » وهذا النص هو هذه الآيات من سورة النساء : ١٠٥ - ١١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما . واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما . ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما . يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيّتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا . ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا . ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما . ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما . ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا . ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمّت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما .)

سبب نزول الآيات :

اخرج الترمذي والحاكم وغيرهما عن قتادة بن النعمان قال :
« كان أهل بيت منا يقال لهم بني أبيرق : بشر وبشير ومبشر ، وكان بشير رجلا منافقا يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينحله بعض العرب يقول : قال فلان كذا وكذا ، وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والاسلام وكان الناس انما طعامهم بالمدينة التمر والشعير ، فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملا من الدرمك فجعله في مشربة له فيها سلاح ودرع وسيف ، فعدى عليه من تحت فنقبت المشربة وأخذ الطعام والسلاح ، فلما اصبح أتاني عمي رفاعة ، فقال : يابن أخي إنه قد عُديَ علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا وذهب بطعامنا وسلاحنا ، فتجسسنا في الدار وسألنا فقيل لنا : قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم ، فقال بنو أبيرق : ونحن نسأل في الدار : « والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل رجل منا له صلاح واسلام ، فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال : أنا أسرق ..!! والله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة ، قالوا : إليك عنا أيها الرجل ، فما أنت بصاحبها فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها ، فقال لي عمي : يابن أخي لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت له ذلك ، فأتيته فقلت : أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه فليردوا علينا سلاحنا وأما الطعام فلا حاجة لنا فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سأنظر في ذلك فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلا منهم يقال له : أسير بن عروة ، فكلموه في ذلك ، فاجتمع في ذلك أناس من أهل الدار وقالوا : يارسول الله إن قتادة بن النعمان وعمه عمدوا إلى أهل بيت منا أهل اسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت ، قال قتادة : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت وبينة ؟.. فرجعت فأخبرت عمي فقال : الله المستعان : فلم يلبث أن نزل القرآن : « **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما** » بني أبيرق ، « **واستغفر الله** » أي ما قلت لقتادة . إلى قوله « **عظيما** » ، فلما نزل القرآن أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاح فرده إلى رفاعة ولحق بشير بالمشركين ، فنزل على سلافة بنت سعد ، فأنزل الله « **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى** .. » **إلى قوله** « **ضلالا بعيدا** » قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

وأخرج ابن سعد في الطبقات بسنده عن محمود بن لبيد قال : عدا بشير بن الحارث على علية رفاعة بن زيد عم قتادة بن النعمان فنقبها من ظهرها وأخذ طعاما له ودرعين بأداتهما ، فأتى قتادة النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، فدعا بشيرا فسأله فأنكر ، ورمى بذلك لبيد بن سهل ، رجلا من أهل الدار ذا حسب ونسب ، فنزل القرآن بتكذيب بشير ، وبراءة لبيد : « **إنا أنزلنا اليك الكتاب**

بالحق لتحكم بين الناس » الآيات ، فلما نزل القرآن في بشير وعثر عليه هرب الى مكة مرتدا ، فنزل على سلافة بنت سعد ، فجعل يقع في النبي صلى الله عليه وسلم وفي المسلمين ، فنزل فيه : « **ومن يشاقق الرسول** .. » الآية ، وهجاه حسان بن ثابت حتى رجع وكان ذلك في شهر ربيع سنة أربع من الهجرة .

وفي رواية أن السارق خبأ الدرع عند « زيد بن السمين » اليهودي فتتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي ، فأخذوها .. فألصق السارق التهمة باليهودي .. » .

ولا نرى مانعا من قبول هذه الرواية لما هو معروف من احتيال المذنب لأجل دفع التهمة عنه ، فكان أن ألقى التهمة على « لبيد بن سهل » أولا ، لإبعاد الأنظار عن القضية . ثم اكتشفت الدرع عند اليهودي ، فحاول الصاق التهمة بهذا اليهودي .

المعنى العام إجمالا :

يخاطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم يقول له :

« **إنا أنزلنا اليك الكتاب** » أي القرآن « **بالحق** » أي هو حق ، نزل من الله تعالى متلبسا بالحق « **لتحكم بين الناس** » منفذا أحكام الشرع « **بما أراك الله** » اي بما عرفك الله من طرق الحكم وتبين صاحب الحق ليأخذ حقه ، وهذا يكون بالاجتهاد من الحاكم في كثير من الأحيان ، « **ولا تكن للخائنين** » وهم بنو أبيرق « **خصيما** » مدافعا عنهم ، « **واستغفر الله** » مما هممت به تعويلا على شهادة بني أبيرق ومن أعانهم ، « **ان الله كان غفورا رحيما** » .

« **ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم** » يخونون أنفسهم بالمعصية خيانة بالغة ، لأن ضرر فعلتهم يعود على أنفسهم « **إن الله لا يحب من كان خوانا** » مفرطا في الخيانة « **أثيما** » منهمكا في الاثم ، ثم قال ينكر على المنافقين صنيعم :

« **يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله** » أي لا يستحيون من الله وهو أحق بأن يستحيي منه ، « **وهو معهم اذ يبيتون** » يدبرون ويعدون « **مالا يرضى من القول** » وهو رمي البراء والحلف الكاذب .

« **ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة** » ، على فرض أنهم نجحوا في جر المحكمة والحاكم ليحكم بحسب دعواهم الكاذبة في هذه الدنيا ، فمن الذي يجادل الله عنهم يوم القيامة « **أم من يكون عليهم وكيلا** » حافظا ومحاميا يدافع عنهم ويتوكل لهم يومئذ في ترويج دعواهم وباطلهم ؟

« **ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما** » ، وهذا إخبار عن كرمه وجوده أن كل من تاب اليه تاب عليه من أي ذنب

كان .

« **ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه** » حيث لا يتعدى ضرره ووباله الى غيره ، « **وكان الله عليما حكيما** » فلا تحمل وازرة وزر أخرى .

« **ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا** » أي يقذف به ويتهم به بريئا كما فعل بنو أبيرق بصنيعهم القبيح الذي اتهموا فيه ذلك الرجل الصالح « لبيد بن سهل » أو « زيد بن السمين اليهودي » ، وقد كان بريئا وهم الظلمة الخونة « **فقد احتمل بهتانا** » فظيعا « **واثما مبينا** » بينا مكشوفا ، فاحشا .

« **ولولا فضل الله عليك ورحمته** » بإعلامك بحقيقة أمرهم بالوحي وتنبيهك على الحق « **لهمت طائفة منهم** » وهم من بني ظفن وغيرهم وهم المدافعون عن السارق ، « **ان يضلوك** » عن القضاء بالحق مع علمهم بحقيقة الأمر ، « **وما يضلون إلا أنفسهم** » لاقتصار وبال مكرهم عليهم ، « **وما يضرونك من شيء** » فلا يصيبك شيء من الضرر ، لأن الله تعالى عاصمك ، « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك » ، بالوحي من خفيات الأمور وإدراك الحقائق ، ومن ذلك إبطال كيد المنافقين « **ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما** » اذ لافضل أعظم من النبوة العامة ، وقد أوتيها النبي صلى الله عليه وسلم مع كل مستلزماتها .

الشخصيات والمواقف :

كان حادثا منكرا ذاك الذي حدث في المدينة في السنة الرابعة من الهجرة ، في ذلك المجتمع ، الذي شيدت كل لبنة فيه على التقوى والطهر والنقاء ، وكانت المقاومة ضد المسلمين على أشدها ، فقبل ذلك كانت غزوة أحد ، ثم في هذا العام كانت غزوة الأحزاب ، كما كانت الحرب النفسية والمعنوية لكي تنفث سمومها في أوساط المسلمين تخذيلا ووهنا وفي سائر أنحاء الجزيرة إثارة للعداء ، وحثا على حرب المسلمين حتى الفناء .

قام بالسرقة شخص منافق فاجر فظ ، لم تلن طباعه المنحرفة بالاسلام ولا تشرب قلبه الايمان ، ووجد في قومه من يستر عليه ، فقام بإلقاء التهمة على رجل بريء ، من المسلمين الصالحين لم يلبث أن استبان بطلان اتهامه ، فأحالها على يهودي وآزره قومه في ذلك ، حتى أوشكوا أن يؤثروا على النبي صلى الله عليه وسلم ويقنعوه بأن صاحبهم بريء حتى هَمَّ أن يحكم ببراءته ، فنزل الوحي بهذه الآيات يفضح القصة وينصف مظلوما هو يهودي .

قد كنا سنفهم هذه الآيات دون أسباب النزول فهما مجملا ، لا يقف على التفاصيل ولا يلمس كثيرا من الاعجاز في أسلوب الآيات ، بل ولا في مضمونها أيضا .

هذه الآيات تحكي قصة لا نظير لها ولا تعرف البشرية لها شبيها وهي تشهد

وحدها باعجاز القرآن ، حيث نزل الوحي يكشف أستار الغيب ، ويزيح القناع الكاذب عن القضية ، على حين خفيت الحقيقة على النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ..

بل ان هذه الآيات لتشهد بأن هذا القرآن لابد أن يكون من عند الله ، بمعالجتها للموضوع ، لأن البشر مهما صفت أرواحهم واستقامت نفوسهم لا يستطيعون أن يرتفعوا إلى هذا المستوى الذي عالج القرآن به المشكلة الا بوحي من الله تعالى .

انه في الوقت الذي كان اليهود في المدينة يطلقون كل سهامهم المسمومة التي تحويها جعبتهم اللئيمة على الاسلام والمسلمين ، وكانوا ينشرون فيه الأكاذيب ويؤلبون المشركين ، ويشجعون المنافقين ، ويخططون لهم ، ويطلقون الاشاعات ، ويضللون العقول ويطعنون في القيادة النبوية ، ويشككون في الوحي والرسالة ، وفي ذلك الوقت حيث كانت العصبية القبلية على أشدها كانت هذه الآيات تتنزل من السماء ، لتنصف رجلا يهوديا اتهم ظلما بسرقة ، ولتدين الذين تآمروا على اتهامه وهم بيت من الأنصار في المدينة ، والانصار هم عدة الرسول صلى الله عليه وسلم وجنده .

لم تتأثر الآيات بالاعتبارات الأرضية التي تتحكم في الناس وتؤثر عليهم ، فهناك اعتبار أن هذا المتهم « يهودي » واليهود كانوا أشد عداء وخطرا على الاسلام مما يجعل النفوس البشرية تغضى عن القضية .

وهناك سبب آخر وهو ان الأمر كان في الأنصار ، وما أجدرهم بالمراعاة والتآلف .

وسبب ثالث : هو عدم إعطاء اليهود سهما يوجهونه الى الأنصار والمجتمع الاسلامي ، يرمونهم بأنهم يسرق بعضهم بعضا ، ثم يتهمون غيرهم .

لكن القرآن نزل في هذه الحادثة ليعلم الأمة أمرا عظيما ، أراد الله أن تتعلمه ، وهي الأمة التي كلفت بأن تنهض بهذا القرآن وتنشره ذلك هو أمر العدل بين الناس ، العدل في هذا المستوى ، الذي لا يرتفع اليه الناس ، بل لا يعرفه الناس الا بوحي من الله .

ولقد عرفنا من روايات أسباب النزول أربعة أطراف تناولتهم الآيات وعالجت موقف كل منهم ، هؤلاء الأطراف هم :

أولا : النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وقد رفعت اليه القضية ملفقة معكوسة ، وهو في موقف القاضي الذي ينظر في الدعاوى وأدلتها ، وليس هو في موقف المتبلغ للوحي ههنا .

ثانيا : السارق الذي احتال حتى سرق الطعام والسلاح ، وأفلح في الاختفاء عن أعين الرقباء من الناس .

ثالثا : المتهم بالباطل ، لبيد بن سهل ، ثم زيد بن السمين اليهودي .

رابعا : المدافعون عن السارق بالباطل من قومه المنافقين .

ونحس من الآيات بصورة عامة صرامة وشدة في نصرة الحق والغيرة عليه ،

انظر التعبير بنون العظمة بـ « إنا أنزلنا ... » ، وتكرر وصف الخيانة ، وتوبيخ المنافقين ...

وقد افتتحت الآيات بتذكير الرسول صلى الله عليه وسلم بتنزيل الكتاب اليه بالحق ليحكم بين الناس بما أراه الله ، وأتبعت هذا التذكير بالنهي « ولا تكن للخائنين خصيما » تدافع عنهم وتجادل ، ثم توجه الآيات الرسول الى الاستغفار وترغب فيه « **واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما** » ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يخطىء ، وهو معصوم عن الخطأ ، ولا يملك في موقف القضاء غير التصرف بحسب ما يظهر من البينات والشهادات ، لكنها الغيرة على العدالة والنصرة للحق ، لذلك تكرر النهي وتكرر وصف هؤلاء الخائنين :

« **ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما** » ، وقد تضمن ذلك كشف جوانب جنايتهم وتصعيد هذا الكشف ، فهم أولا « **خائنون** » لأنهم خانوا الجماعة المسلمة ، وخانوا أحكام دينها ، ثم هم من جهة أخرى « **يختانون أنفسهم** » ، وهذه العبارة تبرز لنا صورة القوم ، في التعبير بالمضارع وبصيغة المفاعلة المبالغة « **يختانون** » ، انهم يخونون أنفسهم خيانة عظيمة بايقاعها في الإثم الذي يجازون عليه شديد الجزاء ، ومن ثم تأتي صورة ثالثة : « **إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما** » وهي تلويث أنفسهم بالإمعان في الخيانة والافراط فيها « **خوانا** » ، والانهماك في الاثم « **أثيما** » ، فلا جرم كان ذلك علة لأن يبوؤا بالبغض والسخط من الله تعالى كما يدل عليه ربط الكلام « **إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما** » ، فان من كان كذلك لا يجوز أن يحامي عنهم أحد .

ومن ثم يتم الانتقال للطرف الثاني وهم المنافقون الذين يتآمرون ويمكرون وكان منهم هذا اللص الجاني بتصوير فيه قوة التشنيع والتنفير من سلوك هؤلاء الخونة :

« **يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول** » ، وهي صورة زرية تجعلهم موضع الاحتقار والسخرية فهم يستخفون بقبائحهم وكيدهم ومؤامراتهم من الناس ، والناس لا يملكون لهم نفعا ولا ضرا ، والذي يملك النفع والضر معهم حين يبيتون ما يبيتون مطلع عليهم وهم يخفون في جنح الظلام ما به يستخفون ، فأي موقف يدعو للزراية والسخرية أكثر من هذا الموقف الذي وقعوا فيه بقلة عقلهم ويقينهم ، لذلك ذيّل الكلام بالوعيد .

« **وكان الله بما يعملون** » من الأعمال الظاهرة والخفية « **محيطا** » ، لا يعزب عنه شيء منها ولا يفوت ، فيجازى عليه الجزاء الأوفى .

ومن ثم ينتقل الكلام الى الذين ناصروا اللص ودافعوا عنه « **ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا** » .

ونجد الحملة الغاضبة مستمرة في هذه الآية في هذا الالتفات وتلوين الخطاب ،

وتصدير الكلام بـ « ها » واستعمال اسم الاشارة « هؤلاء » أي الذين فعلتم فعلتكم القبيحة وهي المجادلة ، ثم في الاستفهامات الانكارية « **فمن يجادل** » ، « **أم من يكون** ... » ،! وهذا الختام في نفي الوكيل أي وكيل كان ، نفيا باتا « **أم من يكون عليهم وكيلا** » ، واذن فما جدوى الجدال عنهم في الدنيا ،! وما أسخفه ، وهو لا يدفع عنهم ذلك اليوم الثقيل .

ومن ثم تبين الآيات الحكم في هذا الصنيع بعد معالجة المواقف السابقة فتقرر الحكم في هذه الآيات :

« **ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما . ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما . ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا** » .

انها آيات ثلاث تقرر المبادىء الكلية التي يعامل بها الله عباده ، والتي يملك العباد أن يعاملوا بعضهم بعضا بها ، ويعاملوا الله على أساسها فلا يصيبهم السوء .

الآية الأولى تفتح باب التوبة على مصراعيه ، وباب المغفرة على سعته ، فتطمع كل مذنب تائب في العفو والقبول :

« **ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما** » ...

انه ـ سبحانه ـ مرجو للمغفرة والرحمة ، حيثما قصده مستغفر منيب .. والذي يعمل السوء يظلم غيره ، ويظلم نفسه وقد يظلم نفسه وحدها اذا عمل السيئة التي لا تتعدى شخصه .. وعلى أية حال فالغفور الرحيم يستقبل المستغفرين في كل حين ويغفر لهم ويرحمهم متى جاءوه تائبين ، هكذا بلا قيد ولا شرط ولا حجاب ولا بواب ، حيثما جاءوا تائبين مستغفرين وجدوا الله غفورا رحيما .

والآية الثانية تقرر فردية التبعة وهي القاعدة التي يقوم عليها الاعتقاد الاسلامي في الجزاء .. والتي تثير في كل قلب شعورا بالخوف وشعورا بالطمأنينة : الخوف من عمله وكسبه ، والطمأنينة من ألا يحمل تبعة غيره « **ومن يكسب إثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما** » .

فليست هناك خطيئة موروثة في الاسلام ، كما ان التهمة الباطلة لا تضر المتهم المظلوم بشيء .

والآية الثالثة تقرر تبعة من يكسب الخطيئة ثم يرمي بها البريء وهي الحالة المنطبقة على حالة العصابة التي يدور عليها الكلام :

« **ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا** » .

البهتان في رميه البريء والاثم في ارتكابه الذنب الذي رمى به البريء ، وقد احتملهما معه وكأنما هما حمل يحمل ، على طريقة التجسيم التي تبرز المعنى

وتؤكده في التعبير القرآني المصور ، بل هو حمل ثقيل كما يصوره التعبير « **احتمل** » بزيادة الألف والتاء في الفعل .

وبهذه القواعد بينت الآيات الحكم في جناية هذا الجاني وهو حكم عام ينطبق على كل من كان على شاكلته ، كما تقول القاعدة « العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب » ، وبهذا العموم في الصيغة رسم القرآن ميزان العدالة الذي يحاسب كل فرد على ما اجترح ، وأعطى المتهم البريء الأمان ، وشفى قلبه من الظالم لما أبان عن فظاعة ذنبه وأنه « **احتمل بهتانا واثما مبينا** » .

وأخيرا يرجع الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم تكريما وتشريفا له ، وبيان غاية عناية الله به :

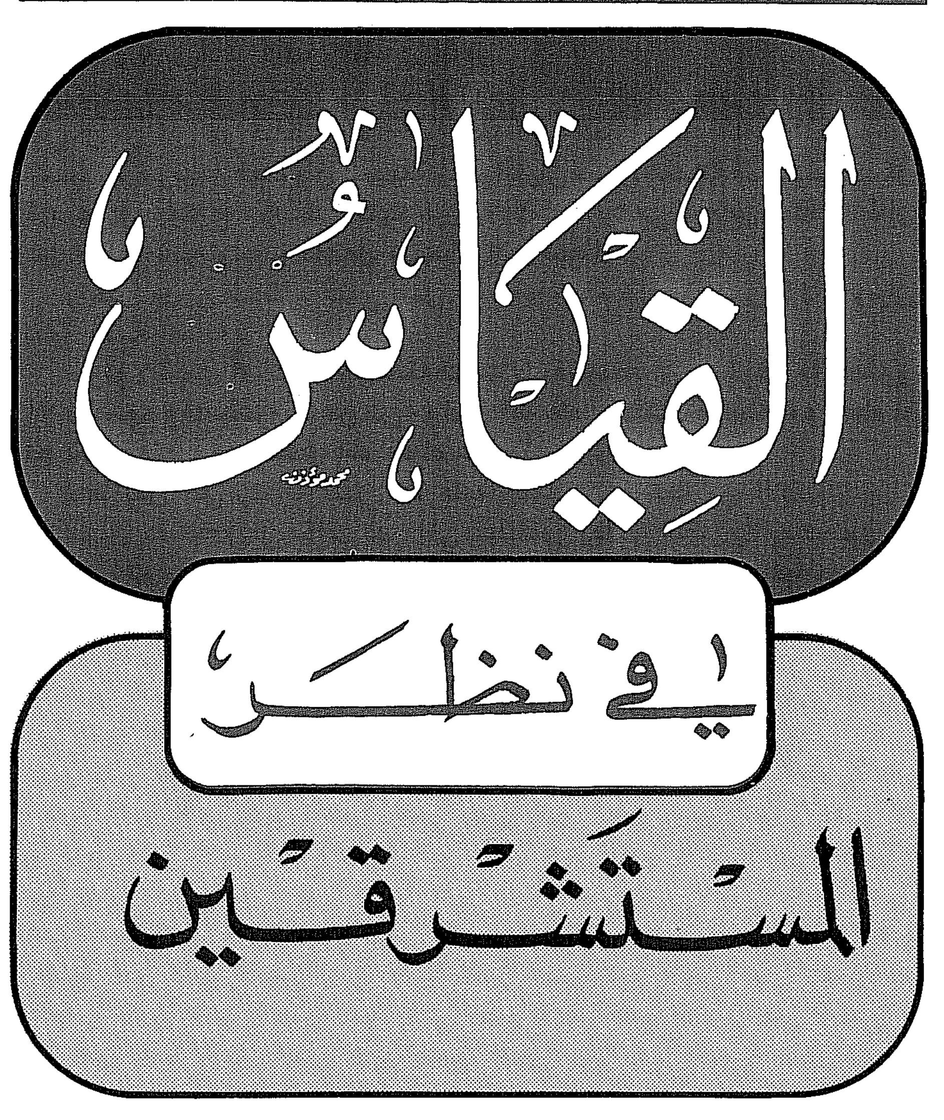
« **ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما** » .

فالله يمنّ على رسوله صلى الله عليه وسلم أن عصمه من الانسياق وراء المتآمرين ، فأطلعه على مؤامرتهم التي يستخفون بها من الناس ولا يستخفون بها من الله ، ثم يمنن عليه المنة الكبرى في إنزال الكتاب والحكمة عليه ، وتعليمه العلوم الدينية والدنيوية الشرعية النافعة ، ولم يكن يعلم شيئا من ذلك ، كما صرح بذلك قوله تعالى : « **ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان** » ، وهذه المنة منة على البشرية كلها ، ولد معها الانسان ميلادا جديدا ، وترقى بها في الطريق الصاعد الى القمة الشاهقة .

وهكذا شملت الآيات الشخصيات والمواقف التي أخذنا من سبب النزول معرفتها بوضوح أكبر وتفصيل أظهر ، ورأينا كيف غطت ببيانها الموجز المعجز كل ما يتصل بتلك الشخصيات والمواقف ، بما جعل القضية تنتقل لتربية الأمة بأسرها .

لقد حققت الآيات واجب العدل الأول بإدانة المجرم ، وتبرئة البريء ، وهذه التبرئة أمر جليل في ميزان الله ، وأشادت بصاحب الرسالة وفضل الله العظيم عليه ، ثم حققت هدفا خطيرا عظيما لا يقتصر على أشخاص ولا على زمان أو مكان ، ذلك هو اقامة الميزان الذي لا يميل مع الهوى ، ولا مع العصبية ، ولا يتأرجح متأثرا بعوامل المودة أو الشنآن أيا كانت الملابسات والأحوال ، وبذلك تطهر المجتمع المسلم من عناصر الضعف البشري فيه ، مع علاج رواسب الجاهلية في كل صورها حتى في صورة التعصب لأهل العقيدة اذا تعلق الأمر بإقامة العدل بين الناس ، وبهذا أقام القرآن المجتمع المسلم الفريد على القاعدة الطيبة النظيفة الصلبة التي لا تدنسها المصلحة الأنانية أو العصبية أو الأهواء .





للدكتور/عجيل النشمي

وهو المصدر **الرابع** من مصادر التشريع ، وأقل المصادر تعرضا للهجوم والتشويه من قبل المستشرقين ، ويقرر المستشرقون بأن القياس مصدر محكم ومأمون للوصول الى الحكم الشرعي ، وأنه قد تكفل برد ومقاومة كثير من السلبيات بعد عصر الامام الشافعي .

ويتهمون الشافعي بأنه لم يقل كلمته الأخيرة في القياس ، كما لم يقلها في

الاجماع من قبل ، وسيأتي الرد على ذلك .

كما يحاول شاخت أن يجعل القياس كالرأي فيقول : « طريقة القياس هي بالضرورة طريقة الرأي ، اصطنعها-أي الشافعي - تحت اسم القياس ، لأن الناس كانوا أقل نفورا من هذا الاسم .

وهذا كلام ليس بصحيح على اطلاقه ، فطريقة القياس ليست طريقة الرأي المجرد غير المستند الى دليل كما هو مفهومه عند شاخت ، بدليل زعمه ان الشافعي اصطنع لفظ القياس ، بدل الرأي لئلا ينفر الناس عنه ، مع ان القياس له ضوابط ، أهمها - كما سنذكر - وجود حكم للأصل وبناء عليه يقاس عليه الفرع ويعطي حكمه ، فالقياس في حقيقة الأمر مرجعه ومستنده دليل من الأدلة المعتبرة .

أما الرأي فهي كلمة عامة ليس لها ضابط مثلما هو في القياس ، فالجهة منفكة بينهما في الجملة .

ثم يقول ان القياس عند الشافعي مرادف للاجتهاد في معناه القديم ، ذلك المعنى الذي كان يجعل الاجتهاد مرادفا للرأي أي استعمال الفقيه لعقله .

ويريد شاخت من هذا القول ان يلزم الشافعي المساواة بين القياس والرأي والشافعي لم يقل ذلك ، وانما قال « الاجتهاد القياس » . وأراد ان يجعل الاجتهاد كالرأي وبالتالي يكون القياس هو الرأي ، وهذه مغالطة لا تحتملها عبارة الشافعي .

والقياس ليس اجتهادا من كل وجه في رأي الشافعي ، ولذلك تكلم عن القياس في مواضع وعقد للاجتهاد بابا . وتكلم في ضمنه عن القياس أيضا باعتباره أعم من القياس فالقياس نوع اجتهاد ويكفي بيانا للقياس والتفرقة بينه وبين الاجتهاد اقتطاع هذا من قوله ، فقد عرف القياس بأنه : « ما طلب بالدلائل على موافقة الخبر المتقدم من الكتاب والسنة » ثم قال : فان قال قائل : فاذكر من الأخبار التي تقيس عليها وكيف تقيس ؟

قيل له ان شاء الله : كل حكم لله أو لرسوله وجدت عليه دلالة فيه أو في غيره معه أحكام الله أو رسوله بأنه حكم به لمعنى من المعاني فنزلت نازلة ليس فيها نص حكم ، حكم فيها حكم النازلة المحكوم فيها ، اذا كانت في معناها .

وهذا التعريف في الجملة هو مراد الأصوليين من بعده من حقيقة القياس وان اختلفت الصياغة في تعريفه . وقد اشترط الشافعي لتحقيق القياس شروطا وضوابط ، تنفي اختلاطه بمفهوم الاجتهاد عامة ، وقسمه الى قياس أقوى وأضعف ومساو وقد سبق بهذا من أتى بعده .

فعبر عن القياس الأقوى وهو ما كان فيه الفرع أولى بالحكم من

الأصلي بقوله : « فأقوى القياس أن يحرم الله في كتابه أو يحرم رسول الله القليل من الشيء ، فيعلم ان قليله اذا حرم كان كثيره مثل قليله في التحريم أو أكثر بفضل الكثرة على القلة ، وكذلك اذا حمد على يسير من الطاعة كان ما هو أكثر منها أولى أن يحمد عليه وكذلك اذا أباح كثير شيء كان الأقل منه أولى ان يكون مباحا » .

وعبر عن القياس المساوي وهو ما كان الفرع فيه مساويا للأصل ويسمى جليا أيضا بقوله : « ... وقد يمتنع بعض أهل العلم من أن يسمى هذا قياسا ، ويقول ، هذا معنى ما أحل الله وحرم ، وحمد وذم لأنه داخل في جملته ، فهو بعينه ، لا قياسا على غيره ، ويقول مثل هذا القول في غير هذا ، مما كان في معنى الحلال فأحل والحرام فحرم . ومفهوم هذا القول ان هناك قسما من القياس هو القياس المساوي .

وعبر عن قياس الشبه ، وهو الذي تكون المشابهة بين الفرع وبين أمور عدة منصوصا عليها فيلحق بأقربها شبها به بقوله : « والقياس من وجهين : أحدهما أن يكون الشيء في معنى الأصل ، فلا يختلف القياس فيه ، وثانيهما أن يكون الشيء له في الأصول أشباه ، فذلك يلحق بأولاها به وأكثرها شبها فيه ، وقد يختلف القائسون في هذا » فهذا الثاني هو

عند الأصوليين بقياس الشبه

اخت عن المنهج العلمي

« أن أهل العراق

اس للتخلص من

الأحاديث الضعيفة وأحاديث الآحاد . وهو ادعاء باطل لم ولن يستطيع ان يقيم عليه دليلا .

وبعد هذا البيان لا يبقى لقول شاخت سند علمي في زعمه ان الشافعي لم يقل كلمته في القياس ، وانه ساوى بينه وبين الاجتهاد .

ولقد حاول المستشرقون أن يجعلوا من القياس دليلا وافدا على الشريعة والفقه الاسلامي وحاولوا أن يعطوه أهمية خاصة كما ذكرنا ذلك في مبدأ الكلام وتوثيقهم له انما هو على حساب اضعافهم وتوهينهم للقرآن الكريم والسنة المطهرة هذا حسابهم وظنهم ، لكن الدائرة ستعود عليهم بالبطلان فان توثيقهم للقياس توثيق للكتاب والسنة لأن مرجع القياس الأصولي السليم اليهما .

وبيان ذلك يستلزم اعطاء فكرة يسيرة عن القياس بالقدر الذي يرد على دعاواهم .

القياس في مفهوم علماء الأصول

عرف علماء الأصول القياس بأنه الحاق ما لم يرد فيه نص على حكمه ، بما ورد فيه نص على حكمه في الحكم ، لاشتراكهما في علة ذلك الحكم . فالقياس في حقيقة الأمر وواقعه لا يثبت حكما جديدا مستقلا بذاته للحادثة المستجدة أو للفرع . وانما يكشف عن حكم كان قد ثبت بالنص للأصل المقيس عليه ، لأن العلة التي نيط بها حكم الأصل موجودة في الفرع فيسوى لذلك بينهما في الحكم . وكل

ما قدمه المجتهد ـ والحال هذه ـ بذل الجهد لمعرفة العلة وتحققها في كل من الأصل والفرع .

فمرجع القياس في الحقيقة الى النص من الكتاب أو السنة أو الاجماع على الراجح ، وحينما ننظر الى الشروط الواجب توافرها في حكم الأصل وشروط الفرع والعلة يظهر بجلاء لصوق القياس بهما واعتماده عليهما ، فمع ان القياس طريق اثباته العقل والاجتهاد ، الا ان الشروط المطلوبة للوصول الى الحكم تسير بهما الى غاية ومرجع واحد للنطق بالحكم وهما الكتاب أو السنة أو هما معا ، فالذي جعل القياس محكما ليس العقل والاجتهاد ابتداء ـ كما قد توهمه عبارات المستشرقين ـ وانما إحكامه يرجع الى اعتماده بطريق سليم على نص الكتاب أو السنة ابتداء وانتهاء ومصداق ذلك ان ننظر في شروط الوصول للحكم .

شروط حكم الأصل :

(١) أن يكون حكما شرعيا ، ثبت بنص من الكتاب أو السنة أو الاجماع على الراجح . فيجوز تعدية الحكم من الأصل للفرع اذا كان بنص من الكتاب أو السنة وهذا واضح أما الاجماع فمنع بعضهم القياس على الحكم الثابت به ، محتجين بأن القياس لا بد له من معرفة علة الحكم حتى يمكن ان يسوى بين الأصل والفرع ، والاجماع لا يشترط فيه ذكر ما استند عليه وحينئذ لا تعرف العلة فلا يتأتى القياس . وقال الأغلب يصح تعدية الحكم وان كان ثابتا بالاجماع ، ذلك ان معرفة علة الحكم يمكن أن تعرف بطريق من طرق معرفة العلة ، كطريق المناسبة بين الأصل وحكمه ، وحينئذ لا يضر عدم ذكر مستند الاجماع .

أما اذا كان حكم الأصل ثابتا بطريق القياس ، فلا يصح ان يكون أصلا وبالتالي القياس عليه ، لأنه في هذه الحالة يجب القياس على الأصل الأول ، اذ لا يخرج الأمر من أن تتحد علة القياسين أم لا .

فان اتحدت لم يكن لذكر الأصل الثاني أية فائدة فيقاس على الأصل الأول ، وان اختلفت العلة فالقياس الثاني باطل قطعا ، لأن علة القياس الأول غير موجودة في الثاني فلا يمكن اعمال القياس والحال هذه .

(٢) ان يكون حكم الأصل معقول المعنى بحيث يستطيع العقل ادراك العلة ثم تحققها في الفرع حتى يتمكن من إلحاق حكم الأصل للفرع .

(٣) ان تكون علة حكم الأصل يمكن تحقيقها في الفرع ، فاذا كانت قاصرة وخاصة بالأصل امتنع القياس لأنه لا بد لتحقق القياس من امكان اشتراك الفرع والأصل في علة الحكم ، لئلا يكون القياس قياسا مع الفارق وكذلك لا يمكن اعمال القياس اذا كان حكم الأصل خاصا به وحده .

(٤) الا يكون دليل حكم الأصل دالا في

ذات الوقت على ثبوت هذا الحكم في الفرع ، فان كان دالا عليه كان حكم الفرع ثابتا بهذا الدليل لا بالقياس ، ولا حاجة لاعمال القياس هنا .

واذا أضفت الى شروط حكم الأصل شروط الفرع والعلة استحكم الأمر وصعب ادخال الهوى والرأي في عملية استنباط الحكم .

شروط الفرع :

- أن يكون الفرع غير منصوص على حكمه أي حادثة مستجدة ، فان وجد له حكم فلا اجتهاد مع النص ولا دخل للقياس اذا وجد نص .
- ان تتحقق العلة في الفرع كما هي متحققة في الأصل حتى يمكن تعدية الحكم من الأصل للفرع ، لئلا يكون قياسا مع الفارق وهو باطل .
- الا يكون هناك مانع في الفرع يمنع من الحاق حكم الأصل به حتى مع وجود العلة ذاتها في الأصل والفرع ، لوجود التعارض بينهما . أما العلة فقد اشترطوا لها :

(أ) ان تكون وصفا ظاهرا : أي يمكن معرفتها والتحقق من وجودها في الأصل والفرع .

(ب) فاذا كانت خفية لا تدرك بالحواس فانها حينئذ لا تدل على الحكم في الأصل فلا يمكن تعديتها الى الفرع من باب أولى .

(ج) أن تكون وصفا مناسبا للحكم : أي انها مظنة تحقق حكمة الحكم ، ومقصد الشارع ، فهي ملائمة لتشريع الحكم على ضوئها .

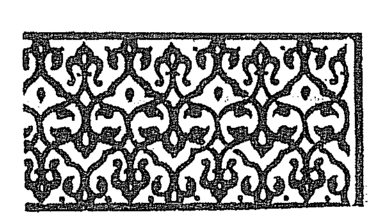
(د) ان تكون وصفا منضبطا : أي أن تكون لها حقيقة ووضع محدد ، لا يختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة والأشخاص أو الأحوال .

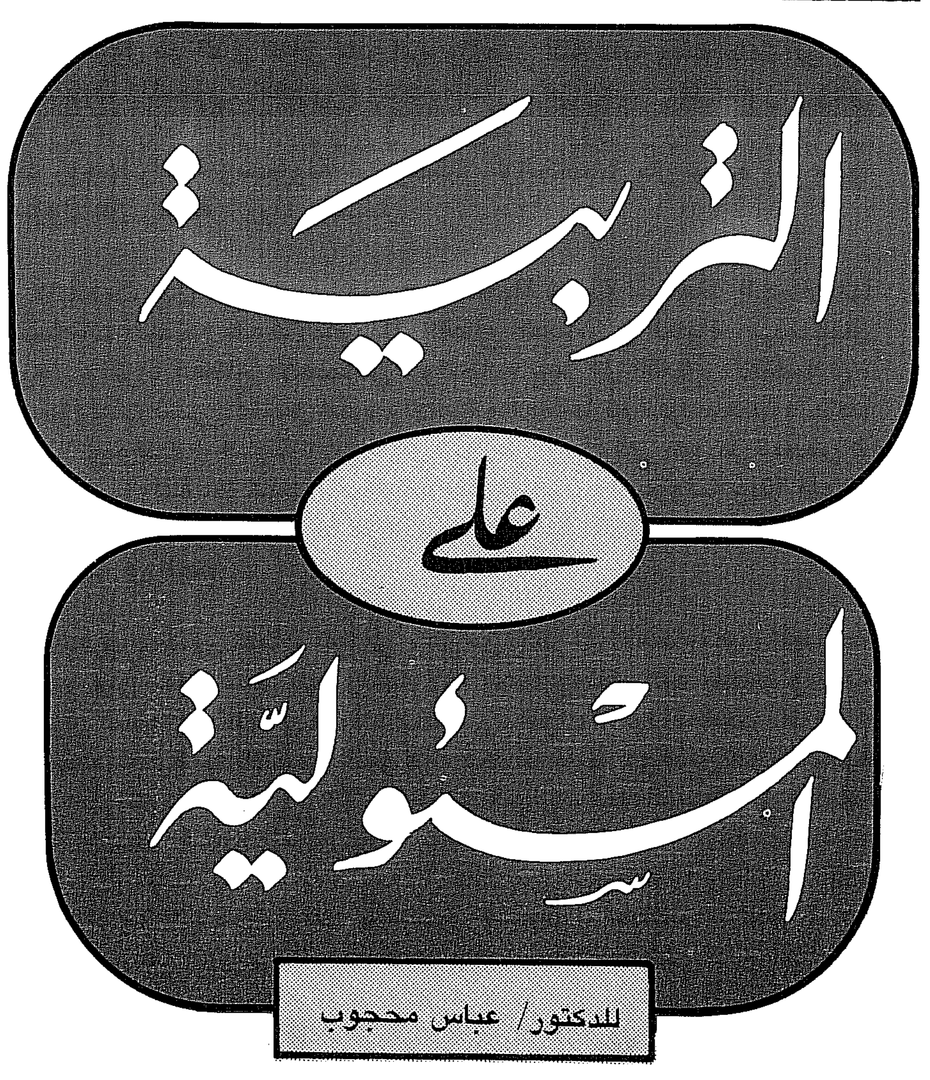
(هـ) ان تكون وصفا متعديا : حتى يمكن تعديته من الأصل للفرع غير قاصرة على الأصل حتى يمكن بها تسوية الحكم .

(و) ان تكون وصفا معتبرا : أي أن الشارع اعتبرها فلم يقم دليل منه على الغائها كعلة ، وهذا يعني ان يتحقق المجتهد أولا من عدم مصادمتها لدليل آخر من النصوص .

أما كيف يثبت المجتهد ان هذا الوصف علة وبالتالي يعدى الحكم فقد وضع له الأصوليون مسالك دقيقة ، ليس هذا مجال طرقها فتطلب في كتب الأصول الموسعة .

وفيما سبق كفاية للتدليل على ان القياس لا مجال فيه لاعمال الرأي والهوى ، وليس نشازا كما توهمه المستشرقون .





تربية الاحساس بالمسؤولية والشعور المستمر بها من الامور التي بنت التربية الاسلامية ركائزها عليها وذلك لما للأحساس بالمسؤولية وغرسها في النفوس وممارستها في واقع الحياة من أثر كبير في تربية الأفراد والمجتمعات ، ويمكن أن نعرف الانسان المسلم بأنه شخص مسؤول لأن المسؤول هو الشخص الذي يتحمل بصفة مستمرة وبوعيه الكامل نتائج اعماله وتصرفاته ، والمسلم مسؤول عن كل خطوة وحركة وعمل امام الله سبحانه وتعالى اولا ثم أمام نفسه ومجتمعه وعلى مدى التزامه بمسؤولياته أو عدم التزامه بها يكون جزاؤه عند ربه أن خيرا فخير وان شرا فشر .

والمسؤول هو الذي اطلق عليه الرسول صلى الله عليه وسلم كلمة الراعي في الحديث المشهور « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ؛ فالامام راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته » رواه الشيخان .

فالحديث يدل على أن المسؤولية في الحياة شاملة لقطاعات الحياة كلها ونشاطات المجتمع كله فالامام يمثل القطاع السياسي في الحياة ، بينما يمثل الرجل والمرأة القطاع الاجتماعي ، والخادم يرمز الى القطاع الاقتصادي ، فالمسؤوليات تتدرج لتشمل الفرد والاسرة والجماعة ثم الفرد باعتباره حاكما وعاملا وموظفا في الدولة الامر الذي يدل على أن الراعي هو كل شخص في موقع المسؤولية ايا كانت المسؤولية المناطة به ، والمسؤولية بهذا المعنى تشمل كل فرد من أفراد الأمة توفرت فيه الأهلية للتكاليف والوعي بنفسه وواجباته في الحياة .

والعرب يطلقون كلمة « الراعي » على من ينظر الى الأشياء بعين المصلحة والخير فمن يملك شيئا فهو راعيه لأنه يحبه وينظر اليه بعطف وعناية والقرآن استعمل الكلمة في معناها الحقيقي « **كلوا وارعوا انعامكم** » طه/ ٥٤ كما استعمله في تعهد الانسان لمسؤولياته وحفاظه عليها « **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** » المعارج/ ٢٢ والأمانة في القرآن ترتبط بالمسؤولية لأن الأمانة شاملة لواجبات المسلم والمسؤوليات المناطة به في الحياة سواء أكانت مسؤولياته ازاء ربه أو نفسه واسرته ومجتمعه وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى « **يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم** » الأنفال/ ٢٧ والأمانة هنا كما يقول سيدنا عبدالله بن عباس هي الأعمال التي أئتمن الله عليها العباد من فرائض وغيرها » ولذلك اشترط الاسلام في الشخص المسؤول شروطا تبين الأهلية كشرط العقل والبلوغ والحرية في الارادة والاختيار والقبول والرفض والقدرة على التحمل فالمجنون خارج عن نطاق المسؤولية وكذلك الصغير الذي لا يملك إرادة نفسه او لا يستطيع تنفيذ اختياراته ، وكذلك اخرج الاسلام من دائرة المسؤولية النائم والناسي والمضطر « **فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه**» البقرة/ **١٧٣** كما اخرج ما يتحدث به الانسان من هواجس ووساوس الا اذا ترجمت احاديث النفس إلى أفعال وأعمال فعندما نزل قول الله سبحانه وتعالى : « **لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير** » البقرة/ ٢٨٤ اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهرعوا اليه يسألون عن مؤاخذتهم على حديث نفوسهم وهواجس قلوبهم فطلب منهم أن

يسمعوا ويطيعوا فنزلت الآية التالية لها قال ابن عباس « فكانت هذه الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين بها وصار الأمر الى أن قضى الله عز وجل أن للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت في القول والفعل فالمسؤولية على قدر طاقة الانسان وقدرته لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » .

وتكاليف الاسلام كلها من واجبات وفرائض وسنن ليس فيها ما هو فوق طاقة الانسان فهي تكاليف ليست من الصعوبة والمشقة بحيث يعجز عنها الانسان كما انها ليست من البساطة والسهولة بحيث يستهتر بها الانسان أو يستهونها وهو مع ذلك غير مخاطب على النسيان والخطأ « **ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** » البقرة/ ٢٨٦ وروى ابن ابي حاتم عن ام الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله تجاوز لي عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» رواه ابن ماجه بل ان الاسلام جعل مسؤولية الانسان عما تحدثه نفسه من معصية في صالحه اذا تخلى عن المعصية التي هم بها خشية لله وتذكرا له ولا تكتب له سيئة الا اذا اخرجها من دائرة الهم الى التنفيذ ففي الحديث القدسي يقول الله عز وجل : « اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها سيئة ، واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشرا » رواه البخاري ومسلم .

والاحاديث حول هذا المعنى كثيرة وكلها تربط المسؤولية بالسلوك العملي ولكن الاسلام يوضح فرقا بين ما تقدم وبين نوع من أحاديث النفس المرتبطة بالارادة وسبق الاصرار كما يقولون ، وهو نوع من السلوك يؤاخذ عليه الانسان في الاسلام سواء ارتبط بالعمل أو لم يرتبط وهو الذي يقول الله سبحانه وتعالى فيه « **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم** » البقرة/ ٢٢٥ وقوله في آية اخرى « **ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان** » المائدة/ ٨٩ وفي هذا المعنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم « اذا التقي المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » رواه البخاري والمقتول كما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم مؤاخذ لأنه دخل تحت طائلة الشروع في القتل وسبق العزم والاصرار على القتل ويستثني من هذا حالة الدفاع عن النفس من القاتل أو المقتول .

وحديث المسؤولية السابق يوضح أن الانسان لا تقتصر مسؤولياته على نفسه بل تتدرج هذه المسؤوليات باعتبارات مختلفة ، باعتباره حاكما أو راعيا وباعتباره مسؤولا عن أسرة وباعتباره فردا في الجماعة .

مسؤولية الامام :

الامام في الدولة الاسلامية يقوم بالنيابة عن المسلمين في تنفيذ شرع الله ، وسيادة منهجه ، وتحقيق مظاهر العبودية له ، وهو ملتزم في سلوكه وأحكامه ومواقفه بالكتاب والسنة ، وهو شخص يختاره المسلمون بمحض إرادتهم ليقيم

فيهم شرع الله ويعمل بسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وهم في مقابل ذلك يمنحونه ثقتهم وسمعهم وطاعتهم ، أما إذا فرض الامام نفسه على الناس وأجبرهم على إمامته وحكمه لم تعتبر امامته ولا تقبل أعماله عندالله وأولها الصلاة ، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « من أم قوما وهم لامامته كارهون لم تجاوز صلاته أذنيه »

ومن أوجب مسؤوليات الحاكم الذي اختاره المسلمون بارادتهم ورغبتهم ان يجعل الشورى أساس عمله فيما لم يرد فيه نص من قرآن أو حديث لأن القران والحديث ملزمان للحاكم والمحكوم ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى « **وأمرهم شورى بينهم** » الشورى/ ٣٨ و ويقول » **وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله** » آل عمران/ ١٥٩ .

وذلك لأن الشورى هي التي تعطى للأمة الضمانات بأ لا يستبد الحاكم بأمره وان يعلم أن الله قد ميزه بتكاليف وواجبات وليس بنفوذ وامتيازات وانه فرد من الأمة يقف امام محاكمها ولا يتميز عنهم بميزة يستمدها من مسؤولياته .

كما أن من أوجب مسؤوليات الامام أن يوفر اجواء الحرية لأمته لأن الشورى لا تمارس الا في ظل الحريات العامة ، ولأن الحرية هي صمام الأمان لانحراف الحاكم أو خروجه عن خط الاسلام وتعاليمه والمسلم يستمد حريته وحرية مجتمعه من عبوديته لله تعالى وتحرره من عبودية الأرض أيا كان نوعها لأن هذا الدين قد أنزله الله على عباده ليخرجهم من الظلمات الى النور ومن أسر العبودية في كل اشكالها الى ظلال الحرية واجوائها كما ربى الرسول صلى الله عليه وسلم جنوده على ذلك ، فالحرية في المفهوم الاسلامي تتمثل في خضوع البشر لخالق البشر وأن الانسان يستمد كامل حريته من هذه العبودية فليست الحرية في الاسلام هي حرية الدولة أو الحاكم او الحزب في أن يشرع ما يشاء ويحمل الناس على ما يريد وليست هي حرية الأفراد في أن يفعلوا ما شاءوا باسم الحرية الشخصية لأنه لا يوجد انسان على الأرض تنفصل حرياته عن حريات الآخرين لأن سلوكه وتصرفاته تنعكس بشكل او بآخر على المجتمع وعلى الأفراد .

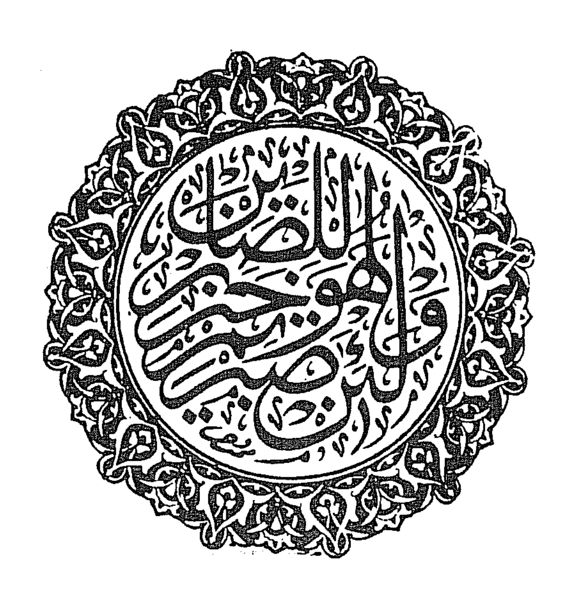
وليست الحرية هي الحرية السياسية التي تؤدي الى تعدد الأحزاب والولاءات ولا حرية المال والاقتصاد وانما هي الحرية في الأطار الانساني الذي يحفظ للفرد والأمة الكرامة والعزة ويكون المسلم واعيا لابعاد حريته لا يرهب حاكما ولا طاغية مهما تجبر وطغى وقد ربى القرآن المسلمين على هذه المعاني كما ركزت السنة على ذلك حتى يمكن للفرد أن يتحمل مسؤولياته فالله سبحانه وتعالى يقول « **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** »

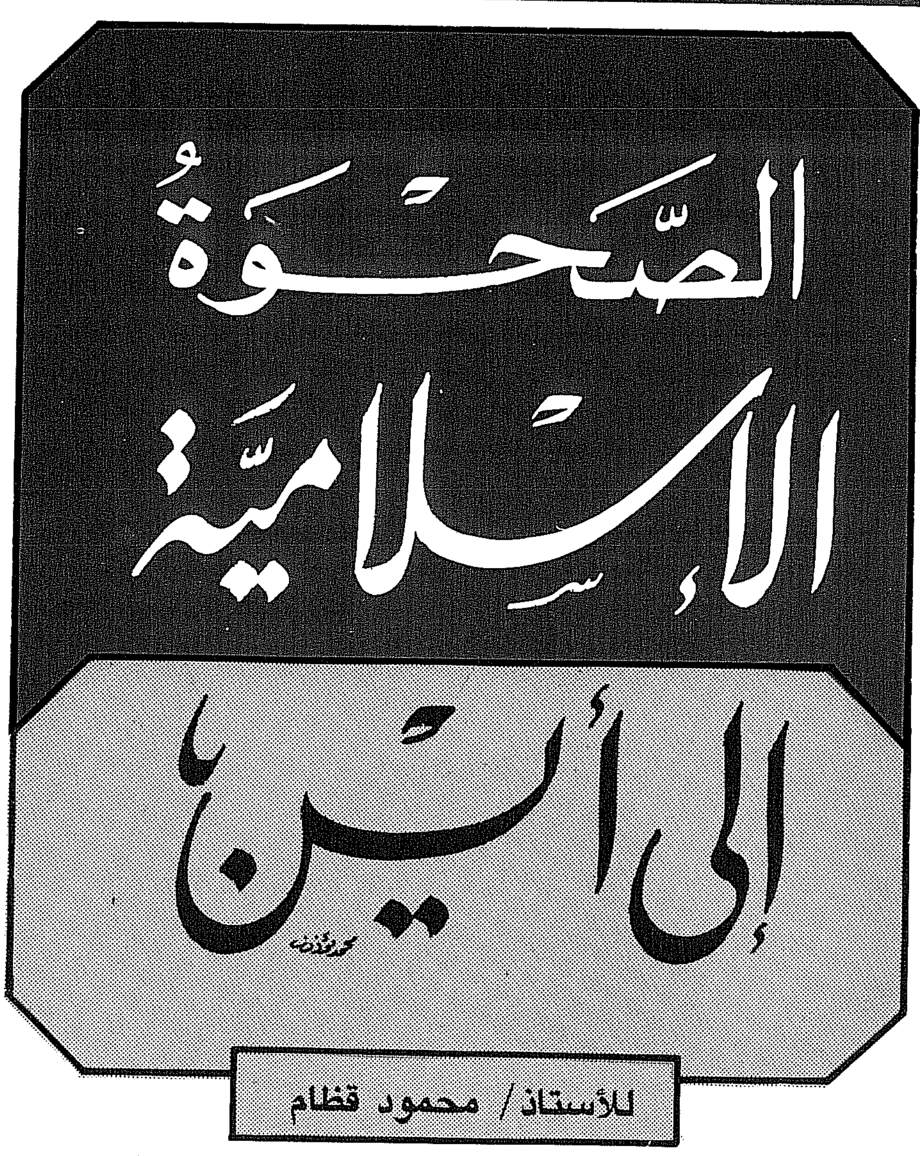
آل عمران/ ١٠٤ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف

الايمان » متفق عليه

والقرآن يذكر من صفات المسلمين الذين يؤدون مسؤولياتهم أنهم « **يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم** » المائدة/ ٥٤» اي لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله وإقامة الحدود ، وقتال أعدائه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا يردهم عن ذلك راد ، ولا يحيك فيهم لومة لائم وليس الأمر بالمعروف هنا أمر دعوى إنما هو امر سياسي مرتبط بتمكين الله لعباده في الأرض ليقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر فالدين لابد له من سلطان ، وشريعة الله لابد لها من أمر بالمعروف حتى تكون حاكمة ومسيرة لحياة البشر ، والقيام بمسؤوليات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس خاصا باصحاب الولايات كما يقول الامام النووي في شرح صحيح مسلم بل ذلك ثابت لأفراد المسلمين فغير الولاة في الصدر الأول والعصر الذي يليه كانوا يقومون بمسؤولياتهم كاملة .

وقد كان علماء السلف يوجهون الحكام ولا يقبلون منهم شيئا مقابل ذلك ، وما كانوا يحملون انفسهم على امر اراده منهم الحكام وفيه مخالفة لرأي رأوه أو دليل استندوا عليه مهما كلفهم ذلك .





للأستاذ / محمود قطام

ان مسـألة اللحاق بركب الأمم المتحضرة والمتقدمة أصبح مسألة وقت ليس الا خاصة لـدى الأمم والشعـوب التي تؤمن بـالـعـزم والتصميم وقوة الارادة كطريق لنفض غبار التخلف والتبعية ..

وأمـة الاسلام بحكم مؤهـلاتهـا وامكاناتها وعقيدتها الديناميكية رائدة بـين أمم الأرض ، فهي الوحيـدة القادرة على تحقيق الانسجام بين الدنيا والآخرة ، سيما وأن عقيدتها لم تقتصر على الشعائر التعبدية وانما

شريعة ومنهاج حياة كامل ومتكامل يغطي كافة جوانب الحياة الانسانية وهنا مربط الفرس ـ في مسألة تميز وتفرد العقيدة الاسلامية عن سائر العقائد الأخرى الأرضية منها والسماوية . لقوله تعالى :(**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**) القصص/٧٧ . من هنا يمكن القول دون تردد ان امة الاسلام ناهضة لا محالة وستأخذ مكانها بين امم وشعوب الارض بمشيئته تعالى لصدق نوايا ابنائها الغيورين والحريصين عليها والعاضين عليها بالنواجذ في إحداث النقلة الحضارية الواعية والمتأنية والتغيير المنشود المنبثق من صلب العقيدة السمحة الحيوية والمكتنزة للقوة الفاعلة والحافزة للهمم .

وبهذا الصدد يقول المفكر الانجليزي « hilaire belloc »حول فاعلية القوة الاسلامية في كتاب الاسلام قوة الغد العالمية « لا يساورني ادنى شك في ان الحضارة التي ترتبط اجزاؤها برباط متين وتتماسك اطرافها تماسكا قويا وتحمل في طياتها عقيدة مثل الاسلام لا تنتظر مستقبلا باهرا فحسب ، بل ستكون ايضا خطرا على اعدائه ، من الممكن ان يعارض المرء هذا الرأي بأن الاسلام فقد سيطرته على بعض الاشياء المادية وخاصة ما يتصل بالحرب ، فهو لم يلحق بالتقدم التكنولوجي الحديث . لا استطيع ان ادرك لماذا لم يعوض الشرق الاسلامي ما فاته في هذا الميدان .. فلا تحتاج علوم الهندسة الحديثة الى طبيعة عقلية خاصة ، بل يتطلب الالمام بها ، والتفوق فيها الخبرة وتوجيه الخبراء ومن الامور المؤكدة أنه غالبا ما يحدث ان تكون حضارة اخرى وذات منزلة عالية في التقدم التكنولوجي أقل درجة من حضارة لم يبلغ بعد تطورها في هذا المجال ما بلغته الاولى ، اذا فهناك احتمال كبير ان يصبح ـ شعب ـ ظهر حتى الآن ان مواهبه في الناحية التكنولوجية ضعيفة في المستقبل ـ سيدا على شعب أخر استولت التكنولوجيا على حواسه ومشاعره فلم ينقذه احد وتحكمت في سلوكه النظريات التي تسلب الانسان الاحساس بالطبيعة .. لماذا لا يتعلم العالم الاسلامي ما تعلمناه في مجال التكنولوجيا ؟ وفي مقابل هذا سوف يكون من الصعب علينا استعادة التعاليم الروحية وهي من العوامل الاساسية لوحدة اوروبية والتي فقدتها المسيحية ، بينما لم يزل الاسلام يحافظ عليها » .

كما أن كل الدلائل تشير الى أن الاسلام قادم لا محالة نظرا لا فلاس وعجز الفلسفات الوضعية وابتداء بالرأسمالية الليبرالية مرورا بالبوذية والمجوسية والوثنية وانتهاء بالشيوعية الالحادية ، ودليل ذلك أن العالم بدأ يحسب الف حساب للأمة الاسلامية ، حيث بدأ يخطب ودها بمناسبة وبغير مناسبة .. والمعروف في السياسة الدولية ان مثل هذا المسلك لا ينم عن اقتناع ، بقدر ما ينم عن خوف ورهبة

واتقاء شر .. ومن الامثلة على ذلك محاولة موسوليني اثناء رحلته في ليبيا سنة ١٩٣٣ كسب الاسلام لجانبه من خلال تصريحاته المتكررة بأنه صديق الاسلام والمدافع عنه .

وهناك محاولة قام بها المندوب البريطاني في مصر في بدايات القرن الحالي حين القي خطبة في أحد مساجد لندن عن وضع الاسلام بين القوى العالمية واهميته وضرورة عودته من جديد الى المسرح حيث قال : « أعتقد أن الامبراطورية البريطانية لا يمكنها البقاء دون حماية كاملة من المسلمين في جميع أنحاء العالم ، فالاسلام على ما أعتقد بامكاناته الروحية والفكرية هو احدى القوى الجوهرية في العالم ، وسوف أعمل دائما كل ما استطيعه لتوجيه انجلترا الى إنشاء علاقات ود وصداقة مع الاسلام في كل مكان في العالم».

ويرى الالماني باول شمتز في كتابه الاسلام قوة الغد العالمية بأن الأمة الاسلامية ستعود الى سابق مجدها اذا هي احسنت صنعا واستفادت من حالة التراجع والتقهقر والجفاء التي اصابت الحضارة الغربية - وهكذا يرى المسلمون حالة تفكك الاوروبين أعدائهم بالامس فتستيقظ امام هذه الصورة الثقة بالنفس ، وتزداد مطامعهم ، وينسج خيالهم أمالا عريضة يندفعون إلى تحقيقها ، فينمو لديهم حب واشعال النضال والكفاح ضد اوروبا .. وبينما تزداد صورة البلاد الغربية تمزقا يقترب الشرق الاسلامي من الوحدة التي ينادي بها المسلمون ، فيتفادى السقوط في هوة الصراع السياسي التي سقطت فيها اوروبا اليوم » .

ويخلص شمتز أخيرا الى ان المسلمين اذا أحسنوا استثمار مصادر قوتهم وامكانياتهم المتاحة فانهم سيعودون من جديد حاملي لواء الحضارة والتجديد ومشاعل النور للبشرية معيدين بذلك مسيرتهم الأولى حين سادوا العالم،وسيعيد التاريخ نفسه مبتدئا من الشرق الاسلامي عودا على بدء من المنطقة التي قامت فيها القوة الاسلامية العالمية في الصدر الأول للاسلام وستظهر هذه القوة التي تكمن في تماسك الاسلام ووحدته العسكرية وستثبت هذه القوة وجودها اذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والعمل على الافادة منها وستقلب موازين القوى لأنها-أي قوة الاسلام-قائمة على أسس لا تتوفر في غيرها من تيارات القوى العالمية .

ويحذر شمتز من الصحوة الاسلامية داعيا العالم الغربي الى الوحدة لمواجهة الخطر المحدق بهم والمتمثل بالاسلام حيث يقول « ان انتفاضة العالم الاسلامي صوت نذير لأوروبا وهتاف يجوب آفاقها يدعو الى التجمع والتساند الأوروبي لمواجهة هذا العملاق الذي بدأ يصحو ويزيل النوم عن عينيه هل يسمعه أحد ؟ ألا من يجيب ؟ ويعيد شمتز الى الأذهان بأن سر قوة المسلمين تكمن في القرآن وحيويته واستمراريته رغما من عهود الجمود والركود الطويلة فيقول ، « وتتضح ان قوة القرآن في جمع شمل

المسلمين لم يصبها الوهن ولم تنجح الأحداث التي مرت بالمسلمين في القرون الأخيرة في زعزعة ثقتهم به كقوة روحية تستطيع ان تجمع التيارات المختلفة التي نادى بها رجال يعتبرون من الصفوف الأولى التي صارعت الاستعمار الغربي على الصعيد السياسي .. ان الروح الاسلامية ما زالت تسيطر على تفكير القادة وعواطفهم وستظل كذلك ما دامت هناك شعوب اسلامية ربطت مصيرها بتعاليم الاسلام واعتقدت ان الرباط الجامع بين أجناسها المختلفة هو الاسلام فروح التعاطف والتواد بين المسلمين هو السبب الرئيسي في تجميع القوى الوطنية على طريق القومية الاسلامية ..

ويعتقد شمتز بأن مصدر القوة لدى المسلمين يكمن في الزيادة المطردة في السكان وكذلك وفرة المواد الخام هما مصدرا القوة النامية في العالم الاسلامي ..

ومما يؤكد ان المسلمين سيصبحون قادة العالم مستقبلا كما كانوا في الماضي القريب ، ان المعركة بدأت تكون لصالحهم . وبهذا الصدد يقول رولاند أوليفر « انهم يكسبون السباق » .

أما مجلة التايم الأمريكية عدد الحادي عشر من كانون الثاني سنة ١٩٦٢ فقد أشارت الى ان : « الانتشار السريع الذي يحققه الاسلام في افريقيا اليوم ظاهرة لم يسبق لها مثيل منذ أن نشر المحاربون العرب عقيدة محمد عبر ثلاث قارات .. وفي القارة المظلمة اليوم مائة مليون مسلم ، ولكن تعاليم محمد البسيطة تضيف اليهم ٩ ملايين مسلم جدد كل عام .. ومع انتشار الإسلام تنمو أحلام الوحدة الاسلامية » وعلق الصحافي البريطاني الخبير بأزمة الشرق الأوسط ديفيد هيرست في مقال له في صحيفة الجارديان بتاريخ ١٩٧٩/١٢/٢٧ تناول فيه تحليلا لمختلف الأوضاع السياسية التي مرت بمنطقة الشرق الأوسط منذ بداية السبعينات أقر فيه : « ان صحوة الاسلام لا تخرج عن كونها مجرد مقياس لفشل العقائد العلمانية المتعددة التي حاول دعاة التحديث فرضها » .

وعلق الخبير الصهيوني ابينوفتش على ظاهرة اليقظة الاسلامية بالقول : « انهم يتحدثون عن أوسع صور لليقظة كارتفاع درجة الوعي الديني على المستوى الفردي والجماعي وورع يجد تعبيره بالتردد على المساجد ونشر الكتب الدينية . وظهور حركات معارضة للأنظمة القائمة تتبع أساليب تنظيمية المضامين الاسلامية تسعى الى تقويض الأنظمة .

كذلك اعتبار الاسلام وسيلة أو نقطة لقاء مع أنظمة قائمة ، اضافة الى البعد الدولي لليقظة ومحاولات تنظيم حركات تضامن اسلامية للدعم السياسي .

ومضى رابينوفيتش الى القول بأن غياب الرد حيال اليقظة سيؤدي الى تعاظم التيار الثوري في المنطقة . أما مستشار الرئيس الأمريكي السابق

جيمي كارتر ـ بريجنسكي ـ فيرى ان العالم الاسلامي بعد مئات السنين التي قضاها في ظل الديمقراطية الأجنبية المباشرة بدأ يدخل في طور اليقظة الدينية والسياسية ، وهذه اليقظة أو الانتفاضة يمكن أن تتخذ مظاهر ايجابية أو سلبية ومن الواضح ان المصلحة الأمريكية تقتضي ان تكون هذه المظاهر ايجابية » .

ويقول رئيس أساقفة الانجليكانيين بكندا السيد دونالد كوجان «ان القلق يساورني من تقدم الاسلام كما أعلن عن الاستعداد المسيحي لمواجهة هذا التقدم » .

ويؤكد المفكر الاسلامي الشهير عمر بهاء الدين الأميري بأن المستقبل سيكون للاسلام حيث يؤكد ايمانه بان نور المستقبل الانساني هو العودة الى هدى الله بقوله :

النواميس في ركابك يا اسلام تمضي وتستحث الزمانا
سترى أعين العصور انبلاجا من دياجيرنا لنور هدانا
موعد مبرم اذا مات عنه شيخنا القرم فيه ينمو فتانا
علم الكون في غد ونشيد الكون طرا وخطنا وخطانا
ونجاة الوجود في القدر المرصود أمر يحكم القرآنا

ان اليقظة الاسلامية في طريقها الى الأوج فمحال ان يخدعها احد عن اهدافها الحقيقية ، التي تتمثل في طرد الاستعمار من الرقعة الاسلامية وتحقيق عدالة اجتماعية على الطريقة الاسلامية وهي أعدل طريقة عرفتها البشرية » .

كما أن تأثير الصحوة الاسلامية لن يقتصر على البلدان العربية والاسلامية فحسب بل سيمتد الى جميع البلدان «انه البعث الجديد .. لا للعالم الاسلامي وحده ولكن لهذه البشرية البائسة ، التي حولتها الكتلة الغربية الى مجموعات من الذئاب والغنم وحولتها الكتلة الشرقية الى معتقل ضخم والاسلام وحده هو القادر على أن يحيلها مجتمعا اسلاميا كريما ولكن أي اسلام .. انه ليس اسلام الرقي والتعاويذ ولكنه اسلام النظام والاعتزاز » .

ويقول المستشرق والمؤرخ وعالم الاجتماع الفرنسي رودنسون « ان الاسلام يتصف بوجهتين اساسيتين : دينية قوامها الايمان والورع ، وسياسية بصفته يؤلف منذ القرون الوسطى تكوينا يدعو الى حزب حديث ويضيف ان الغرب يبهره الاسلام منذ نشأته ذلك ان الغرب يجد فيه ليس منافسا وخصما بل عدوا في اغلب الاحيان فلقد برز الاسلام منذ بداياته الاولى كخصم كبير في اوروبا المسيحية وانتزع منها السيطرة على عدد كبير من المناطق في العالم لكنه تراجع من ثم امام الحملات الصليبية والاستعمار الاوروبي الا ان الاسلام مازال يقلق الغرب ، يبهره ويخيفه في آن واحد . واعتبر رودنسون ان الاسلام في ذاته غير ملازم للتخلف ولما يسمى بالدول النامية على عكس ماهو شائع لدى الدوائر الغربية من ان الاسلام

يتصف بالرجعية والتخلف والجمود ومرحلة حضارية بدائية انتهت مع مسيرة التطور الحضاري للبشرية ويشير رودونسون الى ان قدرة الاسلام قد خفت وتراجعت على مر الزمن الا ان دلائل عودتها للعب دور جديد بدأت تلوح في الافق .

ان اعداء الاسلام لم ولن يتركوا الاسلام واهله وشأنهم بل انهم مستمرون ومصرون على عدائهم السافر والصريح له من خلال محاولات التشكيك بكل حركة اسلامية وبعث اسلامي جديد فقد اشارت صحيفة الشرق الاوسط مؤخرا الى ان ولاة الامور في وزارات الخارجية الغربية اصبحوا يستبعدون قدرة الاسلام كقوة سياسية ويبحثون بدلا من ذلك عن نقاط الضعف لتمزيق التضامن الاسلامي ..

وبعد فان شمس الاسلام لا يمكن ان تغطي بحجاب فكل المعطيات الموضوعية تشير الى أن الاسلام قادم وأنه سيحطم كل الاصنام والطواغيت وشياطين الارض .

خلاصة القول فان الصحوة الاسلامية تسير في **خطين متقابلين** :

يتمثل **الخط الاول** لهذه الصحوة في الالتزام التام والاتباع الكامل والتسليم المطلق والعمل الجاد والبذل والتضحية مع كثرة العراقيل وصعوبة السير ، كل هذا من اجل ان تحقق الارادة العليا لتكون كلمة الله هي العليا وهذا الخط يتمثل تمثلا واضحا وظاهرا فيما نراه اليوم من تطبيق عملي مظهرا ومخبرا عند افراد المسلمين رجالا ونساء وهم تواقون الى ان يصبح هذا الالتزام تاما حينما يقيض الله للاسلام من ينفذ احكامه ويقيم حدوده .

اما الخط الثاني : لهذه الصحوة فاننا نجده يتمثل في إماطة الاذى ورد الشبه التي يلقيها شياطين الانس والجن الذين يوحي بعضهم الى بعض زخرفا يموهونه وباطلا يزوقونه وهذه الشبهات وان كانت قديمة في واقع الامر إلا ان مروجيها ارادوا ايرادها بأثواب جديدة كي يتمكنوا من إغراء البعض فحينا يظهرون مايريدون بمظهر الجدة ويستعيرون له خاتم العلم والجدة،والعلم من كل ذلك براء ويظهر ان هذه الشبهات التي تحمل بطلانها بين طياتها اعطت اصحابها نتائج عكسية غير التي يتوقعون وصدق الله العظيم :«**لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم** » النور / ١١ فلقد شحذت همم المسلمين وايقظت عقولهم فجعلتهم يعدون للامر عدته .

ويرى د . يوسف القرضاوي ان أول مايجب علينا نحو هذه الصحوة ان نقترب منها ونحاول ان نفهم حقيقتها وسبر أغوارها وحقيقة دوافعها واهدافها ومناهجها خاصة وان هذه الصحوة في عمومها من آيات الاسلام في هذا العصر ، فقد ظن خصوم الاسلام ان هذا الدين قد طويت صفحته بعد اسقاط قلعته الاخيرة التي كانت تمثل وحدة آمنة تحت راية العقيدة الواحدة لا القوميات ولا الاقليميات المتعددة فاذا هو يظهر في حركات تجاهد لتحرير ارضه وتحكيم

شرعه وتبليغ رسالته .

فيظهر الشباب المسلم الملتزم ويحيل الجامعات المدنية الى جوامع ربانية ولا يقتصر الامر على الفتيان بل يدخل الى ميدان المرأة فيجتذب آلاف الفتيات المثقفات ، ونرى بأعيننا هذا المد الاسلامي الذي أذهب الراصدين يده من وراء البحار .

ويقول الأستاذ أبو الحسن الندوي « والقرآن وسيرة محمد صلى الله عليه وسلم قوتان عظميان تستطيعان أن تشعلا في العالم الاسلامي نار الحماسة والايمان وتحدثا في كل وقت ثورة عظيمة على العصر الجاهلي وتجعلا من أمةمستسلمة منخذلة ناعسة أمة فتية ملتهبة بحماسة وغيرة وحنقا على الجاهلية وسخطا على النظم الخائرة .. إن علة علل العالم الاسلامي اليوم هو الرضا بالحياة الدنيا والاطمئنان بها والارتياح إلى الأوضاع الفاسدة والتبذير الزائد في الحياة فلا يقلقه فساد ولا يزعجه انحراف ولا يهيجه منكر ولا يهمه غير مسائل الطعام واللباس .. ولكن بتأثير القرآن والسيرة النبوية إن وجدا إلى القلب سبيلا يحدث صراع بين الايمان والنفاق واليقين والشك ، بين المنافع العاجلة والدار الآخرة ، وبين راحة الجسم ونعيم القلب وبين حياة البطولة وموت الشهادة . صراع أحدثه كل نبي في وقته ولا يصلح العالم إلا به حينئذ يقوم في كل ناحية من نواحي العالم الاسلامي في كل أسرة إسلامية : (**فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا**) الكهف/ ١٣ و ١٤ هنالك تفوح روائح الجنة وتهب نفحات القرن الأول ويولد للاسلام عالم جديد لا يشبه العالم القديم في شيء .

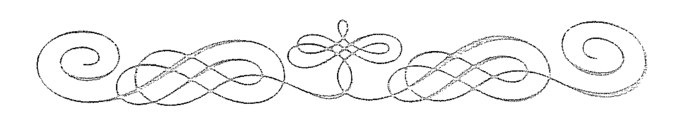
وبعد فإن الهجرة إلى الله أصبحت جماعية سواء بين الجماعات المسلمة ويبدو ذلك من خلال عودة العديد من الشباب المسلم إلى رشدهم ودينهم لاخلاص أمرهم وصلاح دنياهم وآخرتهم في كافة بقاع وأصقاع الوطن الاسلامي . أو بين غير المسلمين أصلا كما حدث مؤخرا في الهند فقد أدلى السيد زايل سينغ وزير داخلية الهند أمام مجلس النواب الهندي بتصريح لوكالة فرانس برس قال فيه إن ألفين من طبقة المنبوذين الهندوس هاريجان بولاية تاميلنادو وجنوب الهند اعتنقوا الاسلام في شباط ١٩٨١ وقال إن أعدادا أخرى تدخل في الاسلام في أماكن أخرى من الهند .

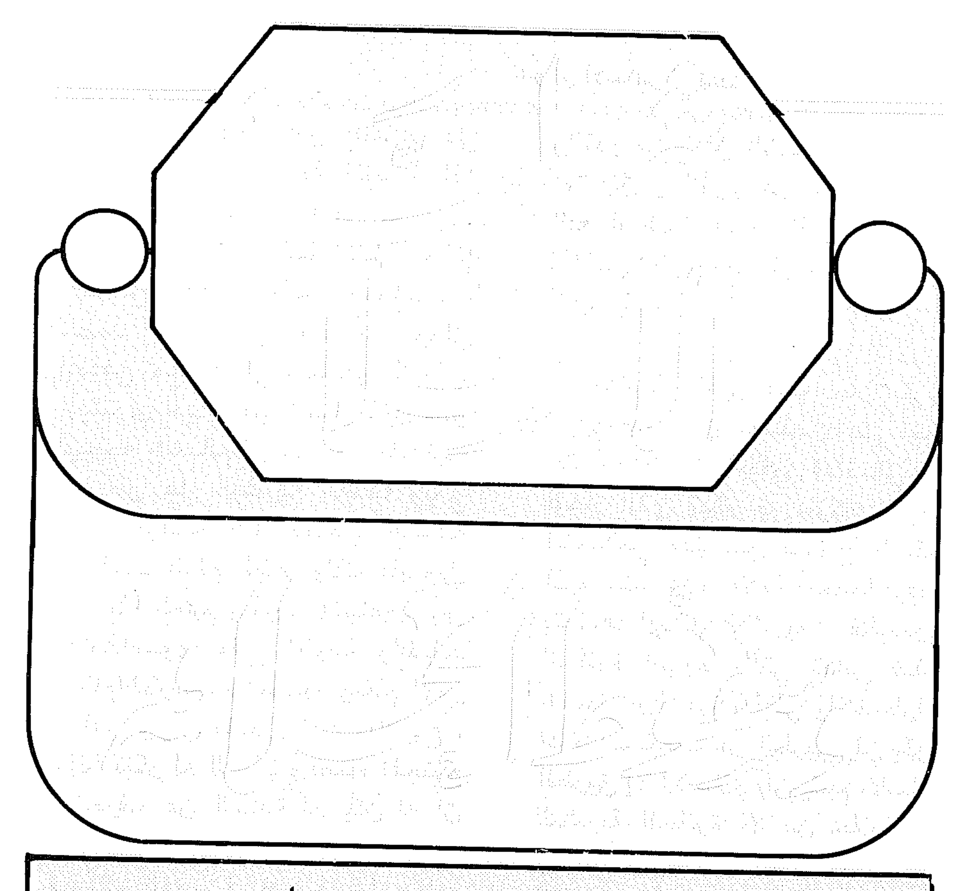
إضافة إلى اعتناق العديد من الأوروبيين للاسلام خصوصا في المانيا الغربية والولايات المتحدة الأميركية وكوريا الجنوبية وغيرها من بلدان العالم

وبعد فإنه لا بد من التأكيد على الذاتية الاسلامية في كل أعمالنا وتصرفاتنا وسلوكاتنا مع انفسنا ومع

الآخرين ، ولا بد من التأكيد على الاستقلالية الاسلامية المتميزة إذا أردنا أن نأخذ مكاننا من جديد في قيادة الانسانيـة كما فعـل سلفنا الصالح ، يقول شاعر الاسلام د . محمد إقبال : « إن المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار ويسـاير الـركب البشري حيث اتجه وسار ، بل خلق ليـوجه العـالم والمجتمع والمـدنيـة ويفرض على البشرية اتجاهه ويملي عليها إرادته لأنه صاحب الرسالة وصاحب العلم اليقين ولأنه المسؤول عن هذا العالم وسيره واتجاهه فليس مقامه سوى مقام الامامة والقيادة ومقام الارشاد والتوجيه ومقام الآمر الناهي وليس مقام التقليد والاتباع ، وإذا تنكر له الزمان وعصاه المجتمع وانحرف عن الجادة لم يكن له أن يستسلم ويخضـع ويضـع أوزاره ويسالم الدهر بل عليه أن يثور عليه وينازله ويظل في صراع معه وعراك حتى يقضي الله في أمره ، إن الخضوع والاستكـانـة لـلأحـوال القـاسـرة والأوضاع القاهرة والاعتذار بالقضاء والقدر من شأن الضعفاء والأقزام ، أما المؤمن القوي فهو بنفسه قضاء الله الغالب وقدره الذي لا يـرد ، فالمؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف».

خلاصة القول فإنه حين يتربى جيل جديد من المسلمين على منهج التربية الاسلامية يكون قد تحقق هذا الخير الذي تبشر به حركات البعث الاسلامي وهو خير مزدوج لا يقف أثره عند هذه الأمة وحدها وإنما يتعداها إلى كل البشرية .. فالبشرية الحائرة اليـوم والتي تعاني لـذع الضياع والحيرة والقلق والاضطراب قد بدأت تبحث عن الطريق ولن يكون الطريق إلا الاسلام ولن يقدم الاسلام للبشرية الحائرة إلا من خلال بشر يؤمنون به ويحملونه عقيدةمستقرة في القلب وقيما ومبادىء متمثلة في واقع سلوكي مستمد من هذه العقيدة ، وعنـدئذ ينشـرح صدر البشـريـة الحائرة للاسلام وتجد فيه طـريق الخلاص .





للأستاذ : محمد سعدي عامر

أرسل الله رسوله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم برسالة الاسلام إلى العالم أجمع وجعله آخر الرسل وخاتم النبيين ، وجعل شريعة الاسلام خاتمة الشرائع وناسخة لها ، وجعل الاسلام هو الشريعة الباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد قام الاسلام على العقيدة الاسلامية التي توجب الايمان بوجود خالق للكون والانسان والحياة ، وتوجب الايمان بنبوة محمد ورسالته ، وتوجب الايمان بأن القرآن كلام الله ، وأنه أنزله على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وتوجب الايمان بكل ما جاء به وأن الانسان مقيد في هذه الحياة الدنيا بأوامر الله ونواهيه ، وأنه يجب عليه أن يسير جميع أعماله في هذه الحياة الدنيا حسب هذه الأوامر والنواهي .

وعليه فان الاسلام نزل نظاما كاملا شاملا للحياة ، وكان نظامه منبثقا عن العقيدة الإسلامية ، وكانت أحكامه تتناول العقائد والعبادات ، وتتعلق بتنظيم علاقة الإنسان بخالقه ، كما تتناول أحكام الاخلاق التي تتعلق بتنظيم علاقة الانسان بنفسه ، كما تتناول أحكام نظام الحكم ، والنظام الاقتصادي ، والنظام

الاجتماعي ، والنظام التعليمي ، والسياسة الخارجية ، وهي الأحكام التي تتعلق بتنظيم العلاقة بين البشر ، كما تتناول **أحكام الأهداف** العليا لصيانة المجتمع ، من المحافظة على العقيدة والدين ، وعلى الدولة والأمن ، وعلى المال والكرامة الانسانية ، وعلى النفس والنوع الانساني ، وعلى الملكية الفردية ، ووضع للمحافظة على هذه الاهداف العليا لصيانة المجتمع الحدود والعقوبات .

وقد الزم الاسلام المسلمين جميعا بأن يقوموا بتنفيذ جميع هذه الأحكام في جميع مناحي الحياة ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، سواء أكانت هذه الاحكام متعلقة بالعقائد والعبادات ، أم متعلقة بالأخلاق ، أم متعلقة بأنظمة الحكم والاقتصاد والاجتماع والتعليم والسياسة الخارجية ، أم متعلقة بصيانة الاهداف العليا للمجتمع ، أم متعلقة بغير ذلك من الأحكام التي جاء بها الشرع .

وقد أناط الله تنفيذ هذه الأحكام بالأفراد فيما هو متعلق بالناحية الفردية كالعقائد والعبادات والأخلاق ، كما أناط بالدولة تنفيذ جميع الأحكام التي تتعلق بتنظيم العلاقات بين البشر ، من أنظمة حكم واقتصاد واجتماع وتعليم وسياسة خارجية ، والأحكام التي تتعلق بصيانة الأهداف العليا للمجتمع ، واجبار الأفراد على تنفيذ الأحكام المتعلقة بالناحية الفردية حين تقصيرهم في القيام بها ، أو الامتناع عن أدائها ، أو الانحراف عنها ، أو عدم التخلق بها .

لذلك كانت الدولة أمرا أساسيا في تطبيق جميع هذه الأحكام ، وكان وجودها هو الطريق الشرعي الذي عينه الاسلام وحدده لتطبيق هذه الأحكام وتنفيذها ، (ولحمل الاسلام رسالة إلى العالم ، باعتبار أن الاسلام رسالة عالمية تنتظم البشرية جمعاء) . وقد طبقت جميع هذه الأحكام تطبيقا عمليا في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . فقد كان هو الرسول وكان هو الحاكم ، فنفذ وطبق جميع هذه الأحكام تطبيقا عمليا ، وقاد الجيوش ، وكان هو الذي يعلن الحرب والسلم ، ويعقد الاتفاقيات حسب مقتضيات حمل الدعوة .

وكان الخلفاء الراشدون من بعد قد طبقوا هذه الأحكام تطبيقا عمليا كاملا ، وبقي تطبيق جميع أحكام الاسلام مستمرا في جميع العهود الإسلامية ، أيام الأمويين والعباسيين والعثمانيين ، ولم يطبقوا غير الاسلام مطلقا ، إلا أن إساءات في التطبيق كانت تحصل .

وللدلالة على استمرار تطبيق الاسلام عمليا ، لا بد من ادراك أن الذي يطبق الأحكام في الدولة شخصان : أحدهما القاضي الذي **يفصل الخصومات** بين الناس ، والثاني الحاكم الذي يحكم بين الناس . أما القاضي فانه نقل بطريق التواتر أن القضاة الذين يفصلون الخصومات بين الناس منذ عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى نهاية الخلافة العثمانية في استانبول ، **كانوا يفصلونها** حسب الاحكام الشرعية في جميع أمور الحياة ، سواء بين المسلمين وحدهم ، أم بين المسلمين وغيرهم . وقد كانت المحكمة التي تفصل جميع الخصومات من حقوق وجزاء وأحوال شخصية ، وغير ذلك محكمة واحدة تحكم بالشرع الاسلامي

وحده ، ولم يرو أن القضاء كان يسير على غير أحكام الاسلام ، كما لم يرو أن قضية واحدة فصلت على غير الأحكام الشرعية ، أو أن محكمة ما في البلاد الاسلامية حكمت بغير الاسلام قبل فصل المحاكم إلى شرعية ونظامية بتأثير الكفار المستعمرين ، وسجلات المحاكم المحفوظة في المدن القديمة كالقاهرة وبغداد ودمشق والقدس واستانبول دليل يقيني على أن الشرع الاسلامي وحده هو الذي كان يطبقه القضاة ، حتى إن غير المسلمين من اليهود والنصارى كانوا يدرسون الفقه الاسلامي ويؤلفون فيه مثل سليم الباز النصراني شارح المجلة . أما تطبيق الحاكم للاسلام فانه يتمثل في خمسة اشياء : في الأحكام الشرعية التي تتعلق بالحكم ، والاقتصاد ، والاجتماع ، والتعليم ، والسياسة الخارجية .

أما بالنسبة للحكم ، فقد حدد الشارع شكل الحكم ، وجعله هو الخلافة ، وهي رئاسة عامة للمسلمين جميعا ، في الدنيا ، لاقامة أحكام الشرع الاسلامي ، وحمل الدعوة الاسلامية إلى العالم ، وهي عينها الامامة كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة ، وقد أقامها المسلمون منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وكلما ذهب خليفة بايع المسلمون خليفة آخر ، ولم يمر عليهم زمن لم يكن لهم فيه خليفة ، واستمر حالهم على ذلك إلى أن أزال الكفار الخلافة ، على يد كمال أتاتورك سنة ١٣٤٢ هـ/ ١٩٢٤ م . أما قبل ذلك فقد كان خليفة المسلمين دائميا ، لا يذهب خليفة إلا ويبايع المسلمون خليفة آخر بدله ، حتى في اشد عصور الهبوط . ومتى وجد الخليفة فقد وجدت الدولة الاسلامية ، لأن الدولة الاسلامية هي خليفة يطبق الشرع . وقد كان الخليفة ينصب بالبيعة من أهل الحل والعقد من المسلمين ، وكانت تؤخذ أحيانا من أهل الحل والعقد ، وأحيانا من المسلمين ، وأحيانا تؤخذ من شيخ الاسلام في آخر العصر الهابط . والذي جرى عليه العمل في جميع العصور الاسلامية أنه لم ينصب أي خليفة إلا بالبيعة ، ولم ينصب بالوراثة دون بيعة على الاطلاق ، غير أنه كان يساء تطبيق أخذ البيعة ! فيأخذها الخليفة من الناس في حياته ، لابنه ، أو لأخيه ، أو لابن عمه ، ثم تجدد البيعة لذلك الشخص بعد وفاة الخليفة ، وهذه اساءة في التطبيق ، وليست ولاية عهد . لذلك كان شكل نظام الحكم في الاسلام متميزا عن غيره من أنظمة الحكم في العالم .

وجهاز الحكم في الدولة الاسلامية يقوم على ثمانية أركان : هي الخليفة وهو رئيس الدولة ، والمعاونون وقد كانوا موجودين في جميع العصور الاسلامية وكانوا معاونين للخليفة ، ومنفذين ، ولم تكن لهم صفة الوزارة الموجودة في الحكم الديمقراطي ، بل كانوا معاونين ، وهيئة تنفيذية فقط ، والصلاحيات كلها للخليفة . وأما الولاة والقضاة وأمير الجهاد والجهاز الاداري فان وجودها ثابت في جميع العصور الاسلامية . وأما الجيش فانه كان جيشا اسلاميا ، وكان العالم يتركز في ذهنه أن الجيش الاسلامي لا يغلب . أما الشورى فقد كانت موجودة من أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، والخلفاء الراشدين من بعده ، ومن أتى بعدهم ،

هذا بالنسبة لنظام الحكم . أما النظام الاقتصادي فيتمثل في ناحيتين :

إحداهما كيفية أخذ الدولة للمال من الأمة ، لتعالج مشاكل الناس ، والثاني كيفية إنفاقه ، أما كيفية أخذه فقد كانت الدولة تأخذ الزكاة على الأموال والأنعام والزروع والثمار باعتبارها عبادة وتوزعها فقط على الأصناف الثمانية ، الذين ذكروا في القرآن الكريم ، ولا تستعملها في إدارة شؤون الدولة ، وتأخذ الأموال لادارة شؤون الدولة الاسلامية ، ولتجهيز الجيش حسب الشرع الاسلامي .

فكانت تأخذ الخراج على الأرض ، وتأخذ الجزية من غير المسلمين وتأخذ العشور من ثغور الدولة ، على التجارة الخارجية والداخلية . وما كانت تحصل المال إلا حسب الشريعة الاسلامية . وكان انفاق المال يجري وفق أحكام الشريعة الاسلامية ، وان كان يحصل في ذلك بعض إساءات في التطبيق .

أما النظام الاجتماعي الذي يعين علاقة الرجل بالمرأة وما يترتب على هذه العلاقة أي الأحوال الشخصية ، فانها كانت تطبق وفق أحكام الشرع ، وما زالت الى اليوم تطبق وفق أحكام الاسلام بالرغم من القضاء على دولة الخلافة ، وبالرغم من وجود القوانين الغربية في بلاد المسلمين .

أما التعليم فان سياسته كانت مبنية على أساس الاسلام ، لتكوين العقلية الإسلامية ، والنفسية الإسلامية ، لايجاد الشخصية الاسلامية وتزويد الناس بالعلوم والمعارف ، المتعلقة بشؤون الحياة . فكانت الثقافة الاسلامية هي الأساس في منهاج التعليم ، والثقافة الأجنبية كان يحرص في عدم أخذها إذا تناقضت مع الاسلام . وكانت تؤخذ العلوم التجريبية ، والرياضيات ، وعلم الصناعة دون حرج . وقد كانت البلاد الإسلامية وحدها محط أنظار العلماء والمتعلمين وكان للجامعات في قرطبة وبغداد ودمشق والقاهرة والاسكندرية أثر كبير في توجيه التعليم في العالم . وما حصل من تقصير في فتح المدارس ، في أواخر الدولة العثمانية إنما كان لوجود الانحطاط الفكري الذي بلغ نهايته .

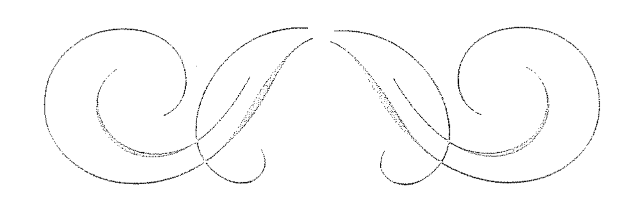
أما السياسة الخارجية فانها كانت مبنية على اساس الاسلام . فكانت دولة الخلافة تبنى علاقاتها مع الدول الأخرى على أساس « الاسلام » ، وحمل الدعوة الاسلامية . وكانت جميع الدول تنظر إليها بوصفها دولة اسلامية ، وكانت علاقاتها الخارجية كلها مبنية على أساس «الاسلام» ، ومصلحة المسلمين ، وقد كان ذلك مشهورا في العالم شهرة واسعة .

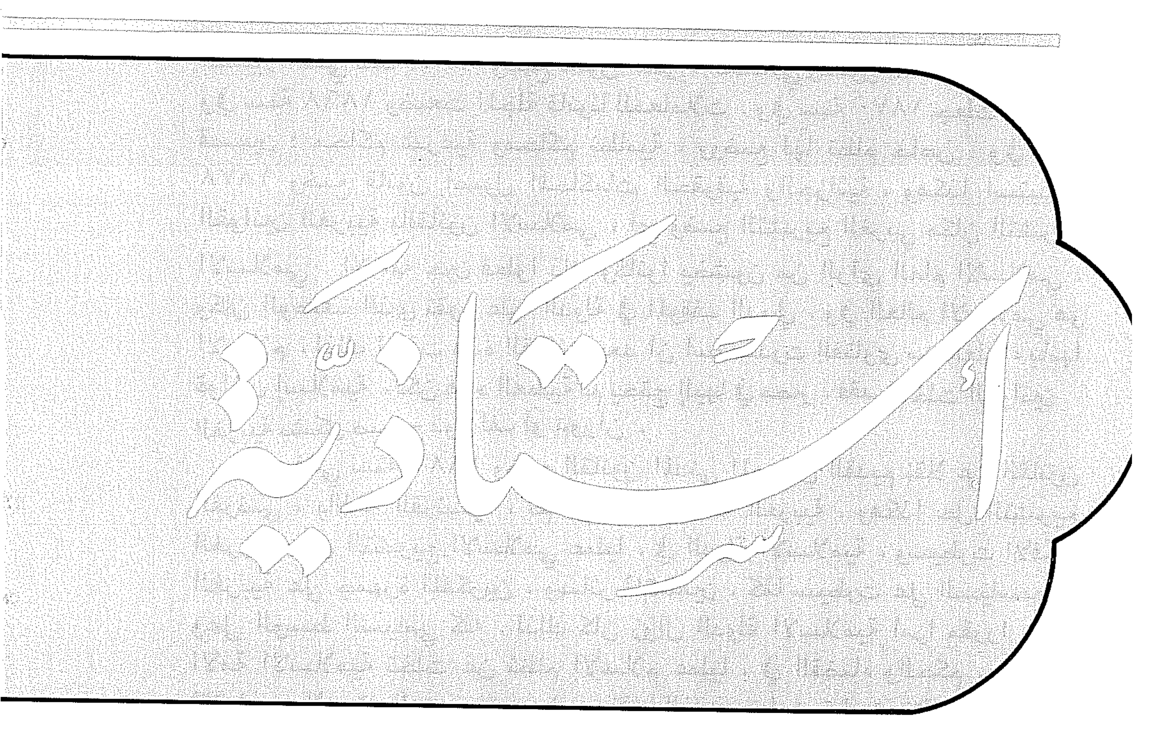
ومن ذلك كله نرى أن نظام الاسلام طبق عمليا على الأمة الاسلامية بكاملها ، عربا وغير عرب ، منذ أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وظل يطبق وحده إلى ان قضى على دولة الخلافة .

وفي أواخر الدولة العثمانية ؛ في القرن التاسع عشر عندما انحطت فيها الناحية الفكرية ، وبدأ فيها الوهن ، فإن الكفار بعد أن يئسوا من غزو الدولة الاسلامية وتحطيمها ، وصار عندهم رأي عام بأن الجيش الاسلامي لا يغلب ، عمدوا إلى غزو الأمة الاسلامية ، بالأفكار الغربية ليزعزعوا كيانها ، حتى يتمكنوا من تحطيم الدولة الاسلامية ، لأنه اذا زعزع كيان الأمة فقد تزعزع كيان هذه الدولة ، وسهل تحطيمه بعد ذلك . ومن أجل وصول الكفار الى هذه الغاية ، عمدوا الى الغزو الفكري ، بالارساليات التبشيرية ، والمدارس والمستشفيات والكتب والنشرات ، والجمعيات السرية ، وقد غزوا جميع الأوساط ، إلا أنهم كانوا يركزون على الأوساط السياسية والأوساط الفكرية ، حتى استمالوا كثيرا من شباب الجامعات والمدارس وكثيرا من المثقفين الذين يشغلون مناصب في الدولة ، وفي الجيش ، فكان لهذا أثره في بعث حب الثقافة الغربية والتشريع الغربي في نفوس المسلمين وتشكيكهم في الاسلام وصلاحيته للعصر الحديث . فبدأ حب الاستفادة مما عند الغرب مع اصطناع المحافظة على الاسلام ، وبدأ السوس ينخر في جسم الأمة ، كما بدأ ينخر في جسم الدولة ، وانتقلت الدولة الاسلامية من دور المد الى دور الجزر ، لما انتقلت الأمة الاسلامية من دور حمل الدعوة الاسلامية الى دور ان يحمل الكفار اليها دعواتهم الى الكفر . وكان هذا بدء الوهن في الأمة ، وبدء الوهن في الدولة ، وقد لعبت الأوساط الفكرية والأوساط السياسية بتوجيه من الدول الكافرة ، وعلى رأسها انجلترا وفرنسا دورا مؤثرا في ذلك . ولما استفحل أمره وأيقنت الدول الكافرة ولا سيما انجلترا وفرنسا ان الانحلال بدأ في الأمة الاسلامية ، وأن الوهن قد تغلغل في الدولة الاسلامية ، بدأت تغير على أطراف الدولة ، فتقتطع منها أجزاء ، وقد عم الطمع جميع دول أوروبا ، وصارت روسيا وألمانيا تحاولان الاشتراك في هذه الغنائم . وبالرغم من اختلاف الدول الكافرة على اقتسام الدولة الاسلامية وصراعهم عليها ، فإن هذه الدول جميعها كانت متفقة على إزالة نظام الاسلام ، والقضاء على الخلافة . لذلك فكرت كلها في إجبار دولة الخلافة على التخلي عن نظام الاسلام في الحكم ، والمجتمع والسياسة ، وإكراهها على تطبيق التشريع الغربي في القضاء ، والنظام الرأسمالي في الاقتصاد ، والنظام الديمقراطي في الحكم ، فكان مؤتمر برلين الذي عقد سنة ١٨٥٠ بين الدول الكافرة في أوروبا ، وكان منها رأس الكفر انجلترا الممثلة برئيس وزرائها حينئذ اليهودي الخبيث درزائيلي ، ومنها المانيا الممثلة برئيس وزرائها بسمارك ، واتفق المؤتمر على ارسال مذكرة الى خليفة المسلمين ، يطلبون فيها منه أن يترك النظام الديني ، وان يأخذ بالنظام المدني ، وبعثت هذه المذكرة بلهجة تهديدية ، وما ان سلمت هذه المذكرة الى الخليفة ، حتى نشط المثقفون والسياسيون الذين تأثروا بالغزوة الفكرية ـ في الدعوة إلى ايجاد النظام المدني والسير مع العصر ، فأثر ذلك على الخليفة ، ووجد في الأوساط السياسية والأوساط المتعلمة رأي عام لتغيير الأحكام الشرعية ، وجعل القوانين الغربية مكانها ، وما هي الا فترة قصيرة حتى بدأ هذا

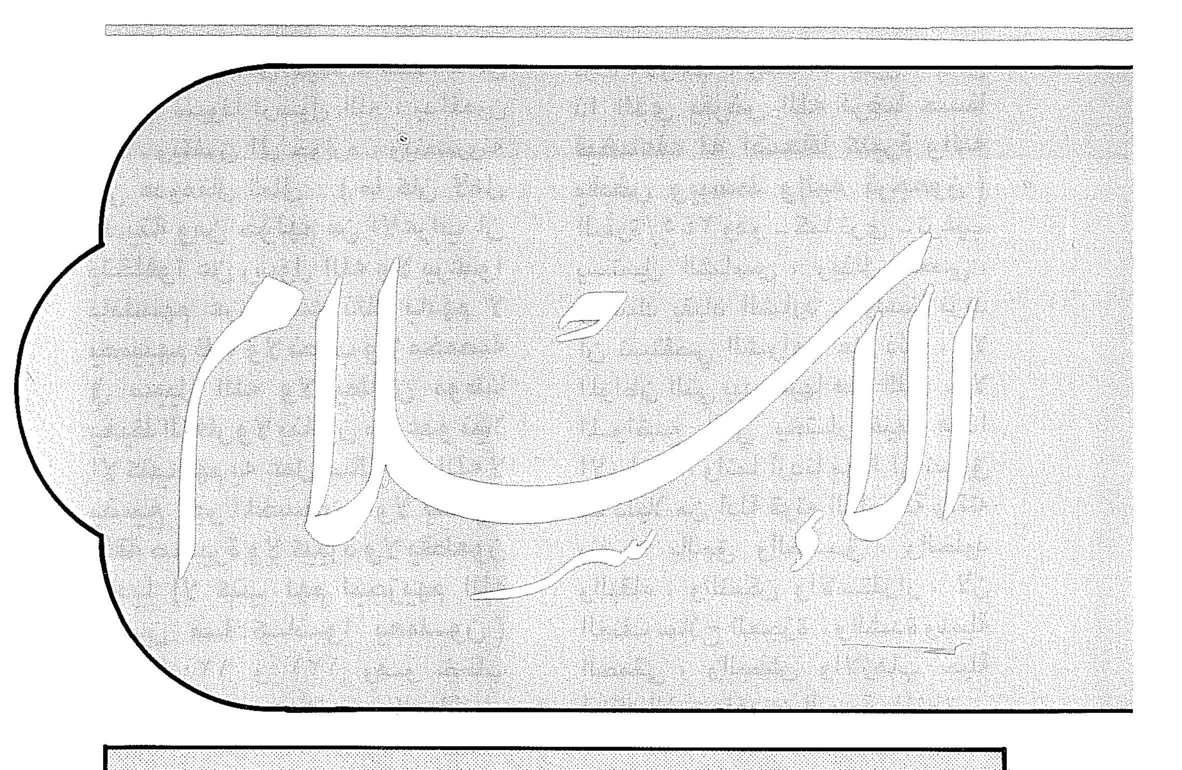
التغيير ، ففي سنة ١٨٥٨ وضع قانون الجزاء العثماني وقانون الحقوق والتجارة ، وفي سنة ١٨٦٨ وضعت المجلة قانونا للمعاملات . وفي سنة ١٨٧٠ جعلت المحاكم قسمين : محاكم شرعية ومحاكم نظامية ، ووضع لها نظام خاص . وفي سنة ١٨٧٨ وضع قانون أصول المحاكمات الحقوقية والجزائية ، وهكذا استبدلت القوانين الغربية بالقانون الاسلامي ، أي وضع التشريع الغربي مكان التشريع الاسلامي . إلا أنه حين فعلوا ذلك وكانوا يخشون من الرأي العام الاسلامي ، وكان الوصف الذي تقوم عليه الدولة في الموقف الدولي ، وفي العالم الاسلامي هو الاسلام ، لذلك أخذت هذه القوانين بعد أن استصدرت الفتاوى من العلماء بأنها قوانين إسلامية ، لكن هذه العملية لم يحتج إليها في مصر ، فقد أدخلت القوانين الغربية بشكل صريح دون لف أو دوران .

ففي سنة ١٨٨٣ وضع القانون المدني المصري القديم نقلا عن القانون الفرنسي ، باللغة الفرنسية ، ثم ترجم إلى اللغة العربية ، وهكذا حل التشريع الغربي محل التشريع الاسلامي عمليا ، في الدولة الاسلامية ، وسيطرت الأفكار الغربية على جمهرة المفكرين ، وسائر المتعلمين ، كما سيطرت على السياسيين ، وعلى الوسط السياسي كله . لذلك كان زوال الدولة الاسلامية أمرا مقررا ، لأن الأمة الاسلامية تخلت عن نظام الاسلام عمليا ، في القضاء والحكم ، وزعزعة ثقتها بصلاحيته للعصر الحديث ، ولأن الذين يتولون تطبيق نظام الاسلام ، صاروا يرون ضرورة تركه وأخذ النظام الرأسمالي . ولهذا لم يكن سقوط الدولة الاسلامية وزوال الخلافة أمرا مفاجئا ، لأنه لم تعد الخلافة عندهم قضية مصيرية ، ليس لها إلا إجراء الموت والحياة . لذلك عندما أعلن مصطفى كمال إلغاء الخلافة لم يلق الا معارضة قليلة ، لأن الخلافة سقطت عن أن تكون قضية مصيرية عند المسلمين ، ولم يقم أحد من المسلمين لقتاله ، والقضاء عليه لاعادة الخلافة وإعادة الحكم بأحكام الاسلام ، مع انهم يعلمون انه انما ينفذ إرادة الكفار ، وأنه عميل للانكليز .





الاسلام في علاجه للمشاكل ومداواته للجراح ، وقضائه على الشرور ووقوفه في وجه الفساد ، يستعمل الرفق والهوادة ، والأناة واللين ، والحلم والهدوء ، فتراه مثلا وهو يتحدث عن المرأة باعتبارها زوجة ، يضفي على الأسلوب معنى من الحنان والعطف ، والانسانية والذوق ، والأدب والاحترام ، حتى لا تكون الصلة عرضة للجفوة أو القطيعة ، وهدفا للانفصال ، وغرضا للاساءة والأذى ، أو الايلام والارهاق ، فيقول تعالى : (**وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما**) النساء/٣٥ وهو بهذا الأدب الحلو ، والخطاب الرقيق ، والأسلوب الهادىء ، والمنطق الذي ينضح بالحكمة ، يهيىء الجو للصفاء ، والقلوب للرضا ، والنفوس للترابط ، ويذلل ما عساه يكون هنالك من أشواك ... وان لم يجد ذلك كله وأراد الرجل أن يصر على موقف العنف ، أو يرفع السوط ، أو يمسك العصا ، قلب له صفحة الماضي ، وأثار له ذكريات التاريخ ، يقول تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** . وإن



للدكتور/ابراهيم علي أبوالخشب

أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا) النساء ١٩ ـ ٢١ ، ووراء أفضى بعضكم الى بعض هذه ، وأخذن منكم ميثاقا غليظا كذلك ، صفحات من البلاغة ، ومسيرة طويلة من المنطق ، كلها تفيض بالأدب العالي ، والفصاحة الرائعة ، والذوق الناضج ، والحديث الشهي ، والموسيقى الهادئة ، والمياه العذبة ، والهواء العليل ، والجنة التي تجري من تحتها الأنهار ، وعودة الصفو والحب واللقاء والود ، وفتح باب جديد للوفاق والرضا ، والسعادة والاستقرار .

ويعاتب أهل المدينة عتابا رقيقا في تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، وهم الذين هاجر اليهم واحتمى بهم ، واطمأن الى جوارهم ، وأنس بقربهم ، والمروءة العربية تقضي بنصرة الحليف ، وعدم خذلان المولى ، والوفاء بالعهد ، والتفاني في بذل المعونة للجار ، وهم مع هذا آمنوا عن طواعية ، وأسلموا

بالرغبة ، والأمل فيهم - هكذا - أن يكونوا سيوفا لرسول الله ، يدافعون عنه ، ويقفون الى جواره ، وينصرونه على عدوه قال تعالى : **(ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون)** التوبة/ ١٢٠ و ١٢١ وهو خطاب العاتب الآمل ، والمحب الراغب ، يستل به سخيمة النفس ، وغضب القلب ، ليبذر بذور المودة ، ويدعو الفؤاد الجامح ، الى الرضا والارتياح ، والاقبال والصفو ، واستئناف علاقة طيبة ، وصلة متينة ، ورباط وثيق ، وصراحة لا تعرف الالتواء والدخل ، ولا اللف والدوران ..

ويحث على الانفاق والبذل ، والصدقة والاحسان ، والجود والعطاء ، ودفع كابوس الحاجة عن البائس ، ومد يد العون للمضطر ، وتفريج الكربة عن المكروب ، فيسمى ذلك قرضا بين الباذل وربه الذي له ملك السماوات والأرض وهو الغني الحميد ، ومن هو هذا الذي يتأبى ان يكون له هذا الشرف ، وتلك الصلة برب الأرباب ، وذلك اذ يقول : **(من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون)** البقرة/ ٢٤٥ وهو - كما ترى - ترغيب يستميل الشامس ، ويذلل العصى ، ويمسك بقياد الشارد .. ولسنا نريد أن نستقصي الشواهد على ذلك ، ولا المواطن التي يبدو فيها هذا اللين ، ولا المواضع التي يختار فيها هذا الأسلوب ، وانما أردنا بهذا أن نسوق لك دليلا من أدلة قوته الراسخة وثقته بنفسه بالحق والصدق ، والخلود والبقاء ، والتمكن والاستقرار ، لأن العنف سلاح العجزة ، والشدة وسيلة الحمقى ، والبطش والارهاب حيلة أولئك الذين يفقدون الحجة والمنطق ..

ولعل هذه الثقة انما جاءت من ناحية كونه يساير الفطرة ، ويستجيب للميول والطبائع ، حتى لا يكاد الانسان يجد فيه شيئا نابيا ، ولا أمرا غريبا ، ولا حكما يجافي الغرائز ..

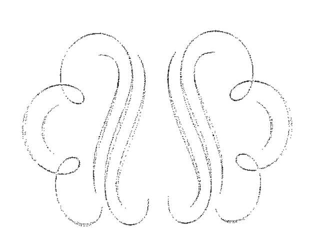
وأنت اذ تنظر الى اعتباره جريمة الزنا - مثلا - منكرا من السلوك وفاحشة في العلاقات ، لا تشك في سلامة هذا الاعتبار ، وصحة هذا التقدير ، وصواب هذا الحكم ، لأن للأعراض عند الناس منذ الجاهلية حرمة وصونا . ودفاعا وحرصا ، وحمية واباء وبذلا وفدية ، وقد كانوا يريقون في سبيلها الدماء ، ويخوضون الحرب ، ويركبون الصعب ، ويهتكون حجاب الشمس .. ابقاء على النفوس

من الضياع ، وعلى الأمن من أن يذهب ، وعلى السلامة من أن تطيح بها الطوائح ، وعلى البشرية من أن يختل نظامها .

وتنظر - كذلك - الى قطع يد السارق أو رجله في قوله سبحانه : **(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله)** المائدة/٣٨ ويهولك هذا الصنيع ، ويزعجك ذلك العنف ، وتقول بينك وبين نفسك ، أهذا هو الانسان الذي سخر الله له البر والبحر والأرض والسماء ، والهواء والماء ، وجعل له ما في الأرض جميعا يناله هذا التشويه ، ويصيبه ذلك العطب ، ويقضي عليه القانون ، ويعتريه هذا الشلل والعجز ، باسم الشريعة ، وبعنوان التهذيب ، وبحجة الاصلاح ، والله يعلم انه صار عالة على المجتمع ، ونقطة سوداء في وجه المدنية ، قد يقول هذا بعض الناس .. ولكن الاسلام انما يفعل ذلك كله ردعا لغيره ، وموعظة لسواه ، واصلاحا للأمة ، وتقويما للسلوك ، وتوجيها للناس ، واحتراما للقانون ، ومراعاة لاستقامة حال الرعية ..

وربما نظرنا - بعد هذا وهذا - الى قضائه في النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن والسن بالسن ، والى **(أنه من قتل نفسها بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا)** المائدة/٣٢ فقلنا هذه فلسفة العمران في أعمق جذورها . وسياسة الملك في أدق فصولها ، وعبقرية السلطان في أوضح أصولها ، ويخطر بالذهن أن بعض الخلفاء أفتى بقتل جماعة في واحد ، لأنهم ساهموا في اراقة دمه ، وازهاق روحه ، وقال والله لو أن أهل صنعاء اشتركوا جميعا في قتله لقتلتهم كلهم فيه .. وذلك لأنهم كانوا يؤمنون ان هذا هو الحزم ، وذلك هو الرأي ، وتلك هي الحكمة ، وان الشدة في أخذ المعتدي صلاح للجميع : **(ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب)** البقرة/ ١٧٩ .

وبهذا الذي قدمناه لك تزداد يقينا بأن هذا الدين صالح لكل زمان ومكان ، لأنه يساوق الفطر ، ويساير الغرائز ، ولا يختلف مع طبائع الناس ، وانه لا يدعو الى عمل ، ولا يحث على أمر ، أو يكلف بفريضة ، من غير ان يكون وراء ذلك كله خير مجلوب ، أو مصلحة مترقبة ، وهكذا يستقيم حال الشعوب ، ويصلح نظام العمران : **(والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)** يونس/٢٥ وهكذا كانت أستاذية الاسلام .



لماذا نأخذ

قد يسود عرف بين الناس يعارض مصالحهم في الحاضر ويهدد حياتهم في المستقبل ومع ذلك يهتمون به ويحتكمون إليه ويحرصون عليه .

ويذهب بهم هذا الاهتمام وهذا الاحتكام وهذا الحرص إلى أن يجعلوه شريعة مقررة يكون مخالفتها عصيانا وقانونا نافذا تعتبر معارضته جريمة .

وكثيرا ما يتسلل إلى جسم المجتمعات أنظمة يحسب الناس أن فيها صلاح أمرهم واستقرار حياتهم ، وبطول ممارستهم لها وتعودهم عليها تصبح جزءا من كيانهم وعنصرا من عناصر وجودهم وإن كانت تعمل في الوقت نفسه على هدم هذا الكيان والقضاء علي هذا الوجود ، كالمخدرات تتسلل إلى جسم الانسان بتعاطيه لها ثم تصبح من شدة تعلقه بها جزءا من حياته وعنصرا من عناصر ذاته مع أن فيها حتفه والقضاء عليه .

المجتمعات المعاصرة :

والمجتمعات المعاصرة تعيش الآن في حالة يرثى لها من الأمراض الفتاكة والآلام القاتلة ، ومع ذلك تتلذذ بهذه الآلام وتأنس لهذه الأمراض . وربما تقوم بعض الفئات بين الفينة والفينة بالمعارضة لذلك أو الاستنكار له أو الاحتجاج عليه ، ولكن هذه المعارضة أو هذا الاستنكار أو هذا الاحتجاج كنبض بعض الخلايا في جسم مات الاحساس بالألم فيه .

والتلذذ بالألم قد يكون رغبة قوية في نفوس الكثيرين عندما تنقلب الموازين وتضطرب القيم ، حيث تأنس



المجتمعات إلى ما سادها من تقاليد فاسدة وأعراف مضللة استجلبتها أولا ثم اعتقدت صلاحها فحرصت عليها واستمسكت بها : **(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل)** النساء/ ٤٤ . **(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا . أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا)** النساء/ ٥١ و ٥٢ .

وعندما تنتشر الآفات وتعم البلوى يتعود معظم الناس على التعايش معها والأنس بها ويتناسون ما فيها من شرور ويغمضون العيون عما تحدث من فساد ، بل يبررون أحيانا ـ في حماس ـ تقبل هذه الشرور وضرورة هذا الفساد .

مجافاة الحق :

وفي غيبة الحق أو مجافاته تصطلى البشرية بنار الشرور وجحيم البلايا وعظيم الآفات ، ويتولى قيادتها وتوجيهها شذاذ الآفاق وأشرار الخلق ، وربما ظن هؤلاء في أنفسهم أنهم سادة الزمان وعباقرة الدنيا وأن في يدهم أسباب الحياة ومقاليد الملكوت ، وأنهم يستطيعون إدراك ما ينشدون بجودة قرائحهم وجميل صنعهم وحسن سعيهم ، وهم في الواقع يسوقون العالم إلى مستقبل مظلم ومصير مخيف : **(قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين**

ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) الكهف/١٠٣ - ١٠٥ .

المنطق والتناقض :

فهل من المنطق أن يتناقض الناس مع أنفسهم فيتذوقوا المرارة على أنها حلوى ، ويعيشوا في العلل والأمراض على أنها الصحة والعافية ؟ قد يكون منطق الفكر عند هؤلاء سقيما فانقلبت به المفاهيم واختلت المعايير ، ولكن منطق الواقع يكشف أمام كل ذى بصر هذا الاختلال وهذا التناقض ، فالحلو حلو والمر مر والمرض مرض والعافية عافية ، ولن يتحول الحنظل إلى عسل مصفى ولن يكون المرض العضال عافية سابغة ، وإذا فلابد أن يتبع المنطق العقل والواقع ولا يجري وراء الخيال والوهم ، فإن الفكر إذا تعلق بالأوهام وزحمته صور الخيال كان ذا حكم عجيب ومنطق غريب .

النظريات التي تحمل التناقض :

وهذا الفكر الواهم الذي يسبح في الخيال مازال يفرض على الناس نظريات ثبت بطلانها لما تحمل من تناقض ، فالنظرية المالتسية التي تهدد بالفقر والضيق وتدعو الى تحديد النسل قد أثبت الواقع بطلانها فقد أصبحت البلاد التي هددها بالفقر والضيق على النقيض من ذلك من حيث الغنى والسعة وإن كان شبح هذه النظرية يعيش في كثير من الأذهان . والضيق الذي تعيش فيه بعض البلاد اليوم ضيق مفتعل تفتعله البلاد المتقدمة صناعيا لتلتهم خيرات هذه البلاد وتسخر أبناءها ليكونوا دائما المطايا الذلول التي تسارع في تلبية أهوائها .

والنظرية الداروينية التي تذهب في اصل الانسان مذهبا يدعو الى تفاهة شأنه وتحقير منشئه قد ثبت بطلانها ، لأنها لم تستطع أن تقنع الباحثين بمذهبها ، وظهر على النقيض من ذلك دعوات تقوم على تمجيد الانسان وتقديسه والوصول به إلى درجة الألوهية .

والنظرية الماركسية التي قامت على محاربة الملكيات الخاصة فشل دعاتها فشلا ذريعا . فمازال أمر هذه الملكيات قائما وجانبها راجحا ، لأن التكوين النفسي والتركيب الاجتماعي يرتبطان بهذه الملكيات ارتباطا وثيقا .

قوانين الجنسية :

وينضم إلى قائمة هذه النظريات وأمثالها نظرية الجنسية التي تنادي بتوزيع الناس على مساحات محدودة من الأرض ثم وضع الحدود والفواصل والفوارق والحواجز بين جنس وجنس أو بين جماعة وجماعة على حسب هذا التوزيع ، وتتدخل في هذا التوزيع الأراء المختلفة أو الأهواء المتضاربة ، ثم يصبح ذلك مفروضا

على الناس بقانون أو قوانين ما تفتأ تتغير وتتبدل في أوقات متقاربة حسب الأراء أو الأهواء .

وهذه النظرية التي تنادي بتوزيع الناس على دوائر محدودة من الجنسيات يعارضها بل يناقضها الآن مبدأ له أهميته وخطورته ، وهو مبدأ العالمية . وقد تبلور هذا المبدأ في المنظمات الدولية التي تكاثر عددها واتسع نطاقها وتنوعت مجالاتها ، وهذ التكاثر والتنوع والاتساع لا يقف عند حد ، ولذلك يقف دعاة الجنسية أمام هذا المبدأ موقف المستسلمين ، حيث ينصون في قوانينهم على سريان أحكام المعاهدات الدولية ، فماذا يكون الحال لو استغرقت هذه الأحكام كل مجالات الحياة للجماعات التي توزعتها قوانين الجنسيات ؟ ماذا بقى لنظرية الجنسية من معنى ؟

الأسرة الدولية :

والحقيقة التي لا يشك فيها أحد هي شدة التقارب بين أجزاء العالم وسرعة الاتصال بين هذه الأجزاء ، حتى ان التعبير بالأسرة وإطلاقه على هذا العالم بأسره اصبح تعبيرا مأنوسا في الاسماع ومسلما في العقول . وبتقارب اجزاء العالم وسرعة الاتصال بينها تنمو العلاقات وتتسع وتكثر الحاجات وتتضاعف ، ويشعر كل طرف من هذا العالم ـ مهما بعد موقعه ـ بأنه مرتبط ببقية الأطراف ارتباطا وثيقا ، ويزداد الشعور بهذا الارتباط يوما بعد يوم كما يحدث بين أعضاء الأسرة الواحدة ، وتعمل الكوارث العامة عملها في تقوية الشعور كما حدث في الحربين العالميتين اللتين جرَّتا على العالم كثيرا من الويلات والنكبات في النصف الأول من هذا القرن الذي نعيش فيه .

ونمو العلاقات واتساعها وكثرة الحاجات وتفرعها وتضاعفها يقتضي الاسراع في وضع ضوابط للتنظيم والتنسيق وتنظيم العلاقات الدولية وتنسيق الاحتياجات بين أجزاء العالم يجنب الناس كثيرا من المنازعات الحادة احيانا والتي سببتها أو أحدثتها قوانين الجنسية .

تنازع القوانين :

فقد نشأ بسبب الجنسية مشكلات متعددة ومنازعات في مجالات مختلفة على مستوى الأفراد والأسر والمجتمعات والحكومات ، وقد شغلت هذه المشكلات وهذه المنازعات أذهان فقهاء القانون ، وأقلقت بال القضاة ، وأثارت المتقاضين ، وترتب على ذلك تنازلات عن مبدأ الجنسية وترحيب بمبدأ العالمية ، لكنه ترحيب على حذر ، فلابد أن يدافع دعاة الجنسية عن وجودهم وكيانهم . وهذا ما يجعل حجم المشكلة يكبر ويتضاعف ، وحلها يعسر ويتباعد ، ومعنى ذلك ان يستمر الناس في حيرة من امرهم : أيفضلون الجنس وراء اسوار الجنسية ام ينطلقون مع مبدأ العالمية إلى أفقه الرحيب دون قيود أو أسوار ؟

في العالم القديم :

ولم تكن الجنسية ومشكلتها إحدى مشكلات العالم القديم ، فعلى الرغم من تعدد المشكلات التي منى بها العالم القديم - والتي كان منها بطبيعة الحال تفكك أجزائه وبطء الاتصال أو انعدامه بينها - لم تكن الانتماءات بالمعنى الذي تركز عليه قوانين الجنسية اليوم ، مع أن تفكك الأوصال وبعد الاتصال كان من شأنهما أن يدفعا إلى ذلك .

فإذا كان العالم القديم لم يحفل بهذه الجنسية على الرغم من الظروف التي كان يمر بها والتي تدعوه إلى الأخذ بنظامها ، فكيف بالعالم الحديث يتعلق بهذه الجنسية ويدعو إليها ويقنن لها ويحرص عليها مع أن الظروف المحيطة به تدعو إلى إهمالها وصرف النظر عنها ، والمشكلات التي أصابته من جرائها تدفع إلى طرحها والتخلص منها ؟

في عصور أوروبا الوسطى :

والحق أن نظام الجنسية كان وليد تطور خاص بالبلاد الأوروبية في عصورها الوسطى ولا سيما عهد الاقطاع ، فقد كان الاقطاعي يملك الأرض والناس معا ، وكان كل اقطاعي في إقطاعيته صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في تحركات عبيده أو عبيد الأرض التي يملكها ، فلا يخرج أحد إلا بإذنه ولا يدخل إلا بإذ نه . وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر بدأت تحل الملكية محل هؤلاء الاقطاعيين ، وبدأت تستقطب الناس حولها بوضع أنظمة جديدة تخفف عنهم بعض الشيء ويلات الاقطاع وإن كانت سمته مازالت باقية حتى في عهود الملكيات .

تطور مرحلي :

ومع أن هذا التطور خاص ببيئة معينة استجابة لظروفها فهو كذلك تطور مرحلي يؤدي الغرض منه في وقته ولا يتعداه ، فإذا تعدى وقته أو مرحلته زالت فعاليته وذهبت فائدته . وكل الأنظمة المرحلية أنظمة غير مستقلة بذاتها حتى تصلح لكل زمن ، بل هي أنظمة مرتبطة بأزمنتها ، فلا تظهر جدواها ولا ينتفع بها إلا في زمنها الذي ارتبطت به .

خصيصة هذا العصر :

وخصيصة عصرنا هذا هي إباء التقوقع والانعزال أو التجزؤ والانفراد ، فالمنظمات الدولية تكاد تستغرق كل المجالات وتتبنى حل جميع المشكلات . ولعل الكثير من الدول أحس بمرارة التقوقع والانفراد نتيجة الانحباس في قوانين الجنسية فاندفعت للدخول في تكتلات سياسية أو اقتصادية حتى تتخلص من متاعبها أو تخفف من مشكلاتها . وكأن هذه المنظمات والتكتلات والتجمعات تعلن في صراحة أن أسوار الجنسيات يجب أن تزول فإن زمانها

قد ولى ، ولم تعد الشعوب اليوم تطيق وجود حواجز أو عوائق بينها أو حجرات عثرة في سبيل تقاربها وائتلافها ، ولا سيما الشعوب التي يدعو إلى تقاربها وتآلفها أو ائتلافها عوامل كثيرة وأسباب متضافرة من اللغة والدين والتاريخ والعادات والتقاليد والتطور والمصير .

التأرجح والثبات :

وإذا كان الناس يرضون بما يراد بهم – أو يرضى معظمهم بذلك – مهما كان هذا الذي يراد بهم ، لأنهم يؤثرون السلامة بالرضا – فإن أولى الألباب لابد أن ينبهوهم إلى أن التأرجح في النظم التي يراد لهم الحياة فيها والعيش عليها يهدد مستقبلهم بزوال الأمن والاستقرار ، فليس من شأن النظم المتأرجحة ضمان الأمن والاستقرار .

والنظام الثابت هو النظام الذي تتجمع فيه الخصائص التالية :

١ – ألا يكون نظاما بيئيا ، أى خاضعا لظروف بيئة معينة وخاصا بها .

٢ – ألا يكون مرحليا ، أي مرتبطا بفترة محدودة من الزمن اقتضاها تطور شعب ما من الشعوب .

٣ – أن يتجاوب وآمال الناس في تحقيق مصالحهم والحفاظ على أمنهم واستقرارهم ونشر العدالة والمساواة بينهم .

٤ – أن يكون مناطا للثقة والاطمئنان بشهادة الواقع والتاريخ .

وهذا النظام بهذه الخصائص يغالب الأحداث ويصمد مع تقلبات الأيام

ومهما تكالبت عليه تحديات الذين يريدون العوج والتأرجح للعالم فلن ينالوا منه إلا ما لا يتعدى القشور الظاهرة ، وليس في استطاعتهم أن ينفذوا إلى القلب واللباب .

الانتصار المهزوم :

وقد ينتصر أهل الباطل على أهل الحق عندما يأنسون منهم ضعفا أو يلمسون فيهم انحرافا ، ويحاولون بانتصارهم أن يطمسوا معالمه ويبدلوا نظمه ، وقد يفلحون في ذلك شيئا ما ، ولكن هذا الانتصار كما هو هزيمة لأهل الحق هو في الوقت نفسه هزيمة لأهل الباطل ، فإن هذا الكون الذى نعيش فيه قد قام على الحق والحق وحده : **(ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق)** الروم/ ٨ . وتغلب أهل الباطل ضياع لأهل الحق وأهل الباطل معا ، فإن تغلبهم إنما هو تغلب الهوى ، والهوى فساد وإفساد لهذا الكون : **(ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن)** المؤمنون/ ٧١ .

القيادة لمن

وحرصا على صلاح هذا الكون وصلاح من فيه – يجب أن يلتزم الناس دائما بمنهج الحق ، وأن يبحثوا دائما عن أهل الحق ليسلموهم

قيادتهم وتوجيه شئونهم ، وأن يتنبهوا دائما إلى ألاعيب أهل الباطل ، وتلبيسهم الحق بباطلهم ليتملكوا القياد ويعيثوا في الأرض الفساد ، فإن في هذا الحرص الملتزم والانتباه اليقظ تحقيقا لارادة الله : (**ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون**) الأنفال/ ٧ و ٨ .

الألبسة البراقة :

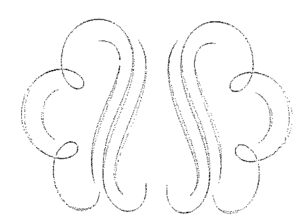
وينبغي الحذر من الألبسة البراقة ، فقد تلبس بعض النظم أو المناهج ألبسة براقة تغري بها ضعاف العقول فيفرحون بها ويتحمسون لها :(**ويحسبون أنهم على شيء**) المجادلة/ ١٨ ، إذ يعتقدون أن الباطل غير ما هم عليه ، وأن أي منهج آخر يخالف ما هم عليه من معارف تحقق لهم الكثير من اللذات والشهوات يعتبر أمرا نكرا يستحق الاعراض والانكار والاستهزاء والازدراء : (**فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون**) غافر/ ٨٣ .

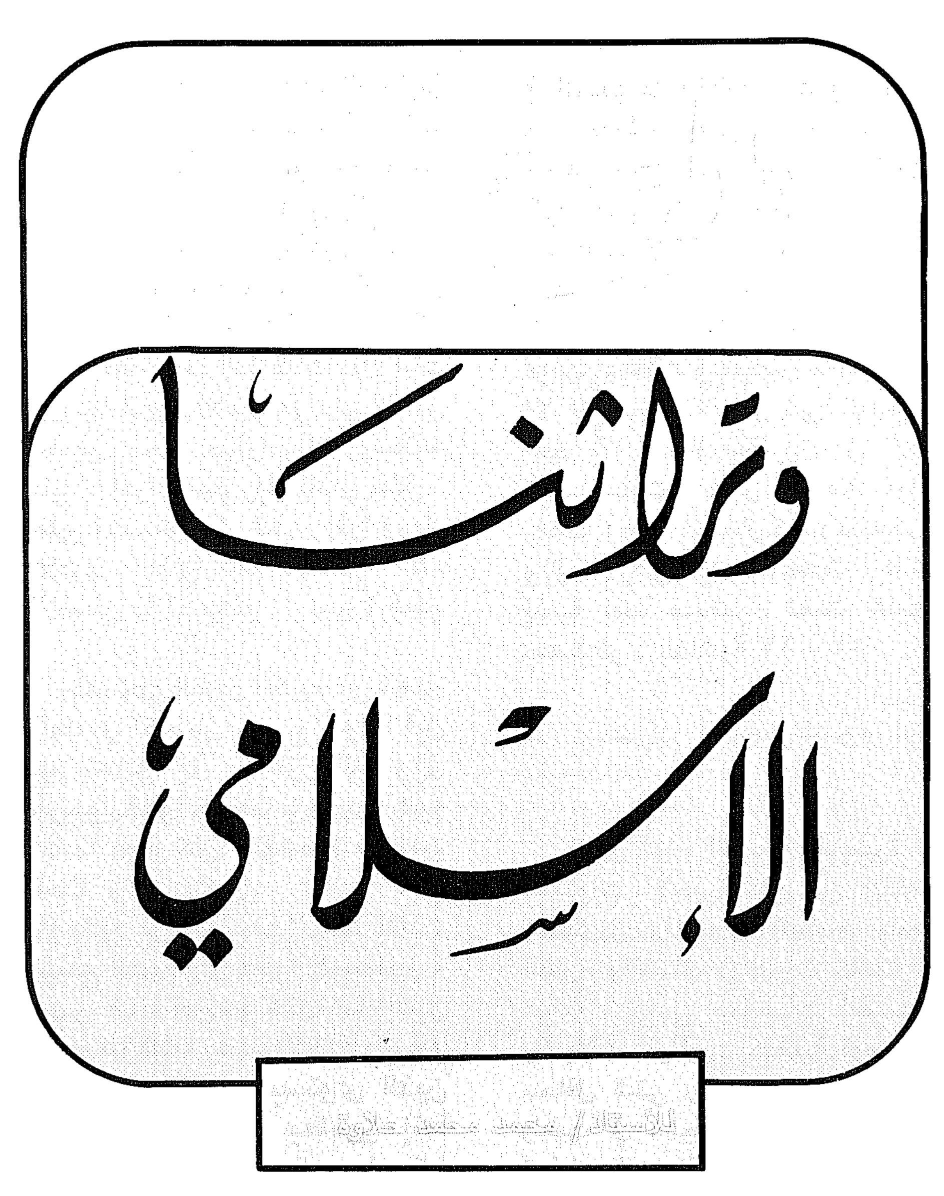
ومهما كان أمر العلم والمعارف التى يغرق الانسان بسببها في اللذات والشهوات ويصبح متمكنا في الأرض مسيطرا عليها وعلى مقدراتها فإن ذلك لن يحول منهج الباطل إلى حق ويجعل من منهج الحق باطلا . فإن العلم أو المعارف التي لا ترتبط بهدف ثابت دائم علم سطحي لا يعمق عمق الفطرة ، ومعارف ذات ألبسة براقة لا يدوم بريقها طويلا :(**يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**) الروم/ ٧

ولذلك لا تغني هذه المعارف عن الانتماء إلى دعوة الحق والحياة على منهج الحق ، فإن الذين استغنوا عن هذا المنهج وجحدوا دعوته زالت عنهم دنياهم ولم يغن عنهم ما كانوا فيه من سيطرة وتمكين : (**ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون**) الأحقاف/ ٢٦ .

القول الثابت :

فالنظم التي تمكث في الأرض وتنفع الناس هي النظم التي تستمد وجودها من شريعة الله ، لأنها هي التي جاءت بمنهج الحق ودلت الناس عليه :(**والله يقول الحق وهو يهدى السبيل**) الأحزاب/ ٤ . وإذا لابد أن ترتبط بها انتماءات الناس ولا ترتبط بغيرها ، حتى يثبتهم الله بها في الدنيا والآخرة ، فلا يضطرب في الدنيا معاشهم ولا تتزلزل في الآخرة أقدامهم :(**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة**) ابراهيم/ ٢٧ .





أهمية القراءة :

القراءة باب المعرفة ، والمعـرفة طريق الحق ، والحق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة ، وهي أغلى وأعز ما يحرص عليه الانسان الذي كرمه الله بالعقل ، فبها يميز بين الخبيث والطيب ، والجميل والقبيح ، ويفرق بين الحق والباطل ، والصالح والطالح ، والصواب والخطأ .

وإذا تتبعنا تاريـخ البشريـة منذ نشأتها حتى اليوم لتأكد لدينا بما لا يدع مجالا للشك أن المعرفة كانت ـ ولا تزال ـ سبب كل تقدم ، وأساس كل حضارة ورقي .

وقد جاءت الرسالات السماوية كلها لتعرف الناس بربهم ، وتنظم لهم شئون حياتهم ، وترسم لهم طريق أمنهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ؛ فأخذت بيد المؤمنين منهم ، وأخرجتهم من ظلمات الجهل والضلالة إلى نور العلم والهداية ؛ ولذلك فلا عجب إذا كانت أول آيات نزل بها الروح الأمين على سيد الخلق أجمعين محمد صلوات الله وسلامه عليه « **اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم .** » سورة العلق

ولقد نعى القرآن الكريم على الجهل وأهله في أكثر من موضع « **وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون** » المائدة ١٠٤ « **ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون** » يونس ٤٢ « **أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعملون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب** » الزمر ٩ ، كما حث على النظر والتأمل في كثير من آياته « **قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون . فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين** » يونس ١٠١ ، ١٠٢ « **وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون** » يوسف ١٠٥ « **أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** » الحج ٤٦ « **أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير** » الملك ١٩ « **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت . فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر** » الغاشية ١٧ - ٢٢ .

لماذا ينصرف أبناؤنا اليوم عن القراءة ؟

عرض لهذه القضية الخطيرة في السنوات الأخيرة كثير من الكتاب والمفكرين والمربين والمهتمين بأمور النشء والشباب في ندوات خاصة أو عامة ، وعلى صفحات الصحف والمجلات ، وأثيرت كقضية قومية في محافل شتى رسمية وغير رسمية ، ولست في حاجة هنا إلى أن أثير تحليلهم للمشكلة ، أو أذكر ما أوردوه من أسباب لها ، أو وصلوا إليه من حلول بشأنها ، فقد نشر ذلك في حينه ، واطلع عليه القراء ، وتابعه المختصون ، وعقب عليه المعقبون ، وإنما أريد أن أعرض وجهة نظر خاصة هي أن أبناءنا ينصرفون عن القراءة أو لا يهتمون بها ؛ لأنها لا

تحقق لهم متعة ولا نفعا ، وإنما كانت كذلك لأن ملكة القراءة لم تتكون لديهم ، فضلا عن أن تتأصل فيهم ، وإلا لعشقوها عشقا يملك عليهم نفوسهم ، ويستحوذ على أفئدتهم وأسماعهم وأبصارهم ، وقد يبدو ذلك غريبا أو مبالغا فيه ، ولكنها الحقيقة ، والحقيقة المرة ، فلقد خلق الانسان بطبيعته ، وبما ركب فيه من غرائز الأنانية ، وحب الظهور والاستعلاء حريصا على أن يعلن عن مواهبه ، وأن يتباهى بها ، لأنها ترضى كبرياءه وغروره ، ويجد فيها متعة ولذة ، فمن وهبه الله بسطة في الجسم وكمالا فيه يسعده أن يكشف عنه في مناسبات مختلفة ، وأن تكتب عنه الصحافة ، وتستضيفه وسائل الاعلام ، ومن منحت جمالا وفتنة يلذ لها أن تعرض هذا الجمال وهذه الفتنة على لداتها وأترابها ، وأن تبديهما كلما سنحت فرصة لها بذلك ، ومن آتاه الله قوة خارقة يطيب له أن تراه الجماهير وهو يرفع الأثقال ، ويتفوق على الأقران والأبطال .. وهكذا .

أذكر - ونحن طلبة في المرحلة الثانوية - عندما كان يكلفنا أستاذ اللغة العربية بكتابة موضوع التعبير ، ثم يحين الموعد المحدد لتقديمه كان موقفنا كما يلي : كثرة كاثرة لاتقدم شيئا ، وفئة تحجم وتتردد ، وقلة قليلة هي التي تسرع بتقديم ما كتبت وهي فرحة راضية مزهوة ، ولو أننا أجرينا دراسة على هذه الحالات الثلاث لا تضح لنا أن طلاب الحالة الأولى لم يستطيعوا الكتابة لأنهم لم يملكوا وسائلها فهم يتوارون ، وأن طلاب الحالة الثانية خجلون مما كتبوا ، لأنهم غير راضين عنه ، إذ هو دون المستوى . أما طلاب الحالة الأخيرة فقد كتبوا لأنهم يملكون القدرة عليها ، ولذلك فهم جد سعداء .

يقول الأديب الكبير العقاد في مقال له بعنوان (**لماذا هويت القراءة**) : (لا أحب أن أجيب عن السؤال كما أجاب قارىء التاريخ في البيت المشهور

ومن وعى التاريخ في صدره
أضاف أعمارا إلى عمره

فليست إضافة أعمار الى العمر بالشيء المهم إلا على اعتبار واحد هو أن يكون العمر المضاف مقدارا من الحياة ، لا مقدارا من السنين ، أو مقدارا من مادة الحس والفكر والخيال لا مقدارا من أخبار الوقائع وعدد السنين التي وقعت فيها ؛ فإن ساعة الحس والفكر والخيال تساوى مائة سنة أو مئات من السنين .

لست أهوى القراءة لأكتب ، ولا أهوى القراءة لأزداد عمرا في تقدير الحساب ، وإنما أهوى القراءة لأن عندي حياة واحدة في هذه الدنيا ، وحياة واحدة لا تكفيني ، ولا تحرك كل ما في ضميري من بواعث الحركة .

والقراءة دون غيرها هي التي تعطيني أكثر من حياة واحدة في مدى عمر الانسان الواحد ؛ لأنها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق ، وإن كانت لا تطيلها بمقادير الحساب ، انتهى كلام العقاد ، وليس لما قال معنى إلا أن

القراءة تكسبه لذة غامرة ، ومتعة مضاعفة بما تزوده به من زاد فكري وخيالي وحسي لا ينتهي .

ماذا يقرأ أبناؤنا اليوم

يقرأ الشباب ـ غالبية الشباب ـ اليوم ما يرضي غرورهم ، ويشبع أهواءهم ، ويحقق لهم متعا زهيدة . إنهم يقرءون القصص الرخيص ، وربما يشترى الواحد منهم القصة ولا هم له من قراءتها إلا أن يعثر فيها على كلمة ، أو عبارة ، أو فقرة ترضي غريزته ، ويقرءون كذلك الروايات البوليسية التي تغذي فيهم نزعات الفتوة والحماس والتوثب والاندفاع ، أو تقوى فيهم نزغات الهوى والشرور ؛ كما يقرءون من الصحف الأحداث اليومية ، ويتابعون فيها بانتظام وفي لهفة أخبار الرياضة ، « والفيديو » ، والسينما ، والمسرح ، وبرامج الأذاعة والتليفزيون ، فأين هذا كله من تراثنا الاسلامي : الكتاب ، والحديث ، وأمهات الكتب في الفقه واللغة والتشريع والأدب والتاريخ والفلسفة والاجتماع ، وغيرها !!

إن الذي يقرأ تراثنا اليوم قلة من أبنائنا الصغار الذين يترددون على الكتاتيب أو معاهد تحفيظ القرآن ، وقلة مثلها من الكبار تتخصص في كليات الآداب والتربية ودار العلوم ، واللغة العربية ، والدراسات الاسلامية ومثيلاتها من الكليات في جامعات الدول العربية ..

ومن هنا يمكن القول ، بل الجزم بأن الصلة بين أبناء هذا الجيل وبين تراثنا الاسلامي أصبحت واهية إن لم تكن مفقودة ، وأن مسافة البعد بينهم وبينه واسعة وسحيقة ، وسوف تزداد مع الأجيال القادمة ضعفا وعمقا واتساعا ، وإنها حينئذ للكارثة !!

إننا نهتم بترميم الآثار الاسلامية من مساجد وقصور وحصون وغيرها ، وننقب عن هذه الآثار ونعتز بها ، ونقيم لها المتاحف الضخمة ، ولكننا غفلنا عن أعز تراث لنا ، التراث الذي به قوامنا ، ومنه حياتنا ، وبدونه لا نكون ولن نكون .

ماذا نصنع ؟!

يمكن أن نحدد ذلك في الخطة الاتية :

أولا : تكوين ملكة القراءة الهادفة لدى النشء والشباب بالطرق التربوية السليمة ، وبالتوجيه الواعي الامين ، وبالمتابعة الدقيقة الحذرة .

ثانيا : تربية الثروة اللغوية المناسبة لكل سن ومرحلة من كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اولا ، ثم من أدبنا في العصور القديمة ثانيا ، وما أكثر وأجزل وأجمل مايضمه هذا التراث العظيم من هذه الثروة ، ويكفي ان تعلم أن **جزء عم** وحده يحتوي من هذه الثروة على مايزيد على خمسمائة وخمسين كلمة ، ليست فيها كلمة مكررة .

ثالثا : تعديل المناهج الدراسية الحالية وفقا لما يلي :

أ ـ حفظ أبنائنا لاجزاء كاملة من

القرآن الكريم في سنى دراستهم الاولى تجمع بين قصار السور وطوالها ، ويتم اختيارها بما يتفق وطبيعة السن والصف والمرحلة .

ب ـ تحفيظ أبنائنا عددا مناسبا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمع بين العقائد والعبادات ومكارم الاخلاق ، تتضح به العقيدة ، وتسلم العبادة ، ويستقيم السلوك ، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المجالات كثيرة ومتنوعة ، والاختيار لن يصعب على المختصين .

جـ ـ زيادة حصص التربية الاسلامية بالقدر الذي يحقق الغايتين السابقتين أ ، ب .

د ـ تعديل مناهج النصوص الادبية الحالية ، فقد لوحظ بعد الاستقراء والدراسة ان مناهج المحفوظات والنصوص الادبية المقررة تتجه أكثر ماتتجه الى انتاج العصر الحديث بحجة ان أدب التراث يمتلىء بالكلمات اللغوية التي تحتاج في فهم معناها الى الكشف في القواميس ، هذا الى انه لايتصل بواقع الحياة التي نحياها ، ولا يتفق ولغة العصر ، ومن الصعب على أبنائنا قراءته فضلا عن فهمه وهضمه وتذوقه ، وهذا خطأ كبير لا أدري كيف سكتنا عليه كل هذه السنين الطويلة ، خطأ جسيم نرتكبه في حق تراثنا وفي حق أجيالنا الحاضرة والمقبلة ، اذ كيف يمضي التلميذ سنى دراسته بعيدا عن أدب التراث الذي هو الاصل والمعين ، ولا علاج لهذا الوضع الا بأن يكون نصف النصوص المقررة على الاقل في المرحلتين الابتدائية والاعدادية من أدب العصور القديمة ، ويختار النصف الباقي من أدب العصر الحديث ، اما المرحلة الثانوية فتجعل مرحلة تخصيص بحيث يدرس التلميذ في الصف **الاول** نصوصا من العصرين الجاهلي والاسلامي ، وفي الصف **الثاني** نصوصا من العصر العباسي ، وفي الصف الثالث نصوصا من العصر الحديث .

هـ اعادة النظر في الموضوعات المقررة على الطلاب في مادة القراءة ، فمن يطلع على كتب القراءة الحالية يجد أن أكثر من ثمانين في المائة من موضوعاتها مقالات لكتاب معاصرين ، ومن عجب ان هذه الموضوعات لاتقل صعوبة في أفكارها ، وألفاظها ، وأساليبها ، وطريقة عرضها عن موضوعات التراث ، ويعاني ابناؤنا منها ولاسيما في المرحلة الثانوية مايعانون : قراءة ، وفهما ، وتحصيلا ، ومن المضحك حقا أن يحال الطالب في نهاية كل موضوع الى عدد من الكتب او المقالات التي رجع اليها الكاتب كأن الطالب فهم مايكتب ، او كأنما هو طالب في الجامعة ... يالله !

أين ماتزخر به كتب تراثنا : الاغاني للاصفهاني ، والعقد الفريد لابن عبدربه ، ومعجم البلدان للحموي ، والبخلاء للجاحظ ، والبيان والتبيين ، وألف ليلة ، وكليلة ودمنة ، وغيرها كثير وكثير !!!!

و ـ **الغاء القراءة السرية** في حصص القراءة المدرسية ، فليس هذا مكانها ، والاخذ بنظام القراءة الجهرية الذي كان متبعا من قبل ، فما بغض أبناءنا في القراءة ، وما أفسد نطقهم فيها الا هذا النوع من القراءة الذي تعطلت فيه عضلات النطق عن أداء وظيفتها فكلت وتعثرت واعوجت ، وانعدمت فيها رقابة الاستاذ ، وغاب عنها انتباه التلميذ وحذره . اما الجناية الكبرى التي جنتها القراءة السرية فهي جنايتها على قواعد اللغة العربية ، وفي ادق مرحلة من مراحل تحصيلها وتطبيقها فرفع المجرور ، وجر المرفوع ، وجزم المنصوب ، والذين لايزال عندهم بعض الوفاء والحياء يلجأون الى تسكين اواخر الكلمات ، ويمكن ان نتأكد من صدق مانقول بمتابعة قراءة ابنائنا وهم في **الصف السادس الابتدائي** ، ثم وهم في نهاية كل من المرحلتين **الاعدادية** والثانوية لنرى الى اي حد انحدرت قراءتهم الى الدرك الاسفل . وقد يكون لهم بعض العذر في ذلك فكم تلميذاً يمكن ان يقرأ قراءة جهرية في ظل القراءة السرية ، والى أي مدى يمكن تقويم ألسنتهم ، وهل تتسع الحصة بهذا للضبط الصحيح ، والوقف السليم ، والالقاء الذي يمثل المعنى !!!

ز ـ مضاعفة الاهتمام بقواعد اللغة ، والتدريب المستمر والملح عليها حتى تؤتي ثمرتها في تيسير مايقرأ وفهمه ، وسرعة حفظه وتحصيله . وهل قواعد اللغة العربية اصعب من قواعد اللغة الانجليزية والفرنسية ، وهل هي اصعب من قوانين الجبر وحساب المثلثات وغيرهما من فروع الرياضيات !!! ان شكوى الطلاب المستمرة منها لتؤكد لنا بالدليل القاطع ان التدريب على القواعد بصورته الحالية لا جدوى منه ، **وعلى معلمي اللغة العربية** ان يراجعوا انفسهم مرة ومرات ، وان يحاسبوها حسابا عسيرا لانهم المسئولون وحدهم عن هذه المأساة الاليمة ، فما أسهل قواعد اللغة لو انهم دربوا عليها تدريبا صحيحا متصلا ملحا ، وقوموا **الطلاب فيه** تقويما هادفا مستمرا .

رابعا : التعريف بأعلامنا المشهورين من الادباء والعلماء تعريفا يوضح مناهجهم ، وطرائق تفكيرهم ، ومميزات اساليبهم العلمية والادبية ليتخذ ابناؤنا منهم امثلة يحتذونها ، ويسيرون على منوالها ـ كل حسب مايهوى ـ في كتاباتهم ، وقد كان لكل منا كاتب يترسم خطاه ، ويتأثر به ، فيحرص على اقتناء مؤلفاته ، والعكوف على قراءتها ودراستها ، والرجوع اليها بين الحين والحين ، وقد تعجب اذا عرفت اننا كنا نرجع قبل كتابة موضوع ما الى كاتبنا المختار فنقضي بين كتبه بعض الوقت نقرأ له ، ونستلهمه ، ونقتبس من افكاره وأساليبه وأخيلته .

خامسا : التركيز على تراثنا الاسلامي في مدارسنا ومعاهدنا ، وفي ندواتنا ومعارضنا ، وفي وسائل الاعلام المختلفة من صحافة واذاعة وغيرهما تركيزا يجلو جوهره ،

ويكشف اصالته ، ومايحتوي عليه من سحر وبيان ، ومايزخر به من حكمة ومعان ، ويدعو اليه من مثل وقيم ومبادىء .

سادسا : القصد فيما يقدم لاطفالنا من قصص باللغة العامية ، فاللغة العربية قادرة على ان تقدم لهم هذا الزاد بلغة سهلة حلوة جذابة ، وعلى من يكتبون للاطفال ان يحاولوا ، وسوف يجدون في أكناف اللغة العربية كل مايريدون ، وأكثر مما يتصورون .

سابعا : تخليص كتاباتنا الادبية قصة او مسرحية ، شعرا او نثرا من العبارات والمواقف التي تثير الغرائز ، او تشط في الخيال ، او تبتعد بنا عما لا يتفق مع أصالتنا ، وعاداتنا ، وماجاء به ديننا الاسلامي الحنيف من تعاليم ومثل .

ثامنا : التأكيد على مواطن الجمال ، وبيان اسراره في كل مانقرأ ونسمع ، وعلى من يعلمون أبناءنا في كل مكان مراعاة ذلك بدقة وأمانة ، وذلك لتربية التذوق الجمالي في النفوس ، فبهذا التذوق ندرك اسرار الجمال في الحياة ، وتتحقق لنا المتعة الكاملة فيها .

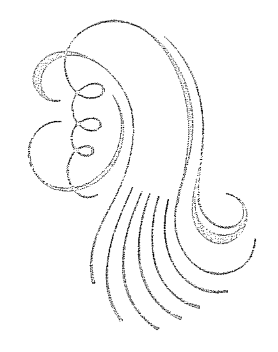
تلك هي الخطة في ايجاز ، ولا ينقصها الا التنفيذ ، وبتنفيذها نربي الثروة اللغوية الاصيلة لدى أبنائنا ، ونحبب اليهم تراثنا ، ونكون فيهم ملكة القراءة الجادة الهادفة ، فيقبلون عليها اقبالا يشغلهم عن كل ماعداها ، وذلك لانهم صاروا يفهمون ويتذوقون ويستمتعون ... وعندئذ يدركون سرلغتهم وجمالها ، وعظمة تراثهم وأصالته ، ونكون بذلك قد فتحنا الطريق امام مواهب جيل جديد من الادباء يعيد لنا عصر ذلك الجيل الذي ندر ان يتكرر والذي لم يصل الى ماوصل اليه من مجد وشهرة الا بفضل هذا التراث الخالد ، وذلك بشهادتهم هم انفسهم .

عبء عظيم ومسئولية أعظم :

ان عبئا عظيما وثقيلا يلقي على عاتق الاباء والمعلمين ، ومن يهمه أمر الشباب والنشء في كل مكان ينتظر منهم الكثير والكثير ، وان مسئولية أعظم تقع على أجهزة التخطيط لمناهجنا تناديهم ان يصلوا ما انقطع من تراثنا ، وان يجددوا مابلي ، وان يحيوا ما اندثر ، وان يتداركوا الخطر قبل أن يستفحل امره ، ولا يجدي معه حسرة ولا ندم .

والله الموفق ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

ذلك الفضل من الله والله ذو الفضل العظيم .



قال تعالى : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » .

فلان نسيج وحده

مثل قاله العرب أصله : أن الثوب الرفيع النفيس لا ينسج على منواله غيره ، واذا لم يكن نفيسا عمل على منواله سدى - عدة أثواب - فقيل ذلك لكل كريم من الرجال .

أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الطفيل بن عمرو الدوسي - بعد هزيمة هوزان - لهدم صنم اسمه « ذو الكفين » كان يتعبد عنده الدوسيون . فهدم الصنم وجعل يحش النار في وجهه ويحرقه ويقول :

يا ذا الكفين لستُ من عبادكا
ميلادنا أقدم من ميلادكا
إني حششت النار في فؤادكا

فكم من الأصنام في عالم اليوم في حاجة الى أمثال الطفيل رضي الله عنه ؟ !

إياك والظلم

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا	فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه	يدعو عليك وعين الله لم تنم

نعمتان

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ »
فالخاسر هو الذي لا يستغل صحته ووقته فيما هو مشروع ومفيد له في آخرته ودنياه .

سبحان الله

كان أبو جهل شديد العداوة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وللمسلمين .. بل كان عدو الاسلام الأول ولكن الرسول الكريم يرى بعين النبوة أن لأبي جهل عذقا في الجنة .. كيف ذلك ؟ . تقول أم سلمة زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأم المؤمنين : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :«رأيت لأبي جهل عذقا في الجنة » فلما أسلم عكرمة . قال : « هذا هو » . سبحان الله يخرج من ظهر العدو الأول بطل من أبطال المسلمين نادى في معركة « اليرموك » بين المسلمين والروم : « من يبايعني على الموت » .

خير الأمور الوسط

روي أن أعرابيا قال لابن عباس رضي الله عنهما : إن العرب تقول : حب التناهي شطط ، خير الأمور الوسط

فهل تجد ذلك في القرآن ؟

قال : نعم ، في أربعة مواضع

○ في قوله تعالى ـ في وصف بقرة موسى ـ : « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي. قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك » أي وسط بين الكبر والصغر في السن

○ وفي قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط » أي فتوسط بين الأمرين في الإنفاق .

○ وفي قوله تعالى : « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » وهذا السبيل هو الوسط في القراءة .

○ وفي قوله تعالى : في مدح المعتدلين من كرماء المؤمنين ـ « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » أي وسطا في المعيشة .

فلسطيني يتحدى

للأستاذ / محمد محمد عبد العزيز صادق

اقتلوني * كم قتلتم أنبياء
واذبحوني واسفكوا مني الدماء
إن جسمي ليس من طين وماء
إنني باق وشعبي للبقاء

شردوني واطردوني في العراء
واسرقوا أرض جدودي الأوفياء
واملؤوها بالطغاة الأشقياء
إنني باق وشعبي للبقاء

وَأَحْرِقُونِي وَاجْعَلُوا جِسْمِي هَبَاءْ
أَخْنِقُونِي وَامْنَعُوا عَنِّي الهَوَاءْ
إِنَّ ذَرَّاتِي لَيْسَتْ لِلْفَنَاءْ
إِنَّنِي بَاقٍ وَشَعْبِي لِلْبَقَاءْ

اجْعَلُوا الظُّلْمَةَ تَغْتَالُ الضِّيَاءْ
وَادْفِنُوا فِيهَا الضَّحَايَا الأَبْرِيَاءْ
وَازْرَعُوا المَوْتَ بِأَرْضٍ وَسَمَاءْ
إِنَّنِي بَاقٍ وَشَعْبِي لِلْبَقَاءْ

عَرْبِدُوا مَا شِئْتُمُ يَا أَغْبِيَاءْ
وَاهْدِمُوا لِي كُلَّ عَالٍ مِنْ بِنَاءْ
سَوْفَ يَبْقَى الحَقُّ خَفَّاقَ اللِّوَاءْ
إِنَّنِي بَاقٍ وَشَعْبِي لِلْبَقَاءْ

إِنَّ دِينِي هُوَ دِينُ الكِبْرِيَاءْ
وَرَسُولِي كَانَ أُسْتَاذَ الفِدَاءْ
مَجْدُهَا دِينِي مَا لَهُ قَطُّ انْتِهَاءْ
إِنَّنِي بَاقٍ وَشَعْبِي لِلْبَقَاءْ



الحضارة المعاصرة في الميزان :

قبل الحديث عن أنواع الحضارات التي مرت بالعالم منذ بدأنا نترسم خطوات التاريخ ، وظروف ومقومات كل من هذه الحضارات ، وارهاصات ضعفها وهي في طريقها الى الزوال فإنه قد يكون لزاما أن نحاول بداية رسم صورة من واقع الحضارة المعاصرة ، وما إذا كانت هذه الصورة تنبع من مقومات أصيلة وما إذا كان الوهن قد تسرب إليها ؟ وهل يمكن اعتبار ذلك من أنواع الأمراض العارضة التي قد تنهض منها آجلا أو عاجلا أم أنها بداية النهاية كما يقال ؟! إن تقدم « التكنولوجيا » العلمية قد أتاح لدول ذات نوعية خاصة من الحضارة وفي مقدمتها أميركا أن تدرك اتجاهات أكثر أمورها بميزان وحساب وإحصاء دقيق فلقد أصبحوا يستطيعون بذلك معرفة حدود نجاح أو فشل المشروعات والشروط التي ينبغي أن

تحيط شركات الانتاج بها علما ، وكثيرا ما تأتي النتائج قريبة قربا كبيرا من الصواب شأن كل ما يقوم على الدراسة العلمية والبحث المنهجي الدقيق ، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر أنهم يحددون عدد السباع في أحراش أفريقيا ، وعدد الحيتان في البحار ، وعدد ما يصاد منها كل عام ، وإلى أي مدى قد ينتهي بقاء هذا النوع أو اندثاره ، وغير ذلك من أنواع الحيوان حتى استطاعوا تحريم صيد نوع من الانواع التي يثبت البحث التكنولوجي أنها في سبيلها الى الانقراض ، كما استطاعوا بهذه التكنولوجيا العلمية ان يدرسوا أعماق البحار بالأقمار الصناعية وبوسائل أخرى لتقدير ما في باطن المحيطات من أنواع المعادن ، بل لقد أصبح القمر الصناعي يستطيع من ارتفاع مئات الأميال أن يحدد مكان وجود أشياء خفية من نبات أو تجهيزات حربية مخبأة في أماكن نائية سحيقة من الصحراوات .

العالم المعاصر ينفق مليونا من الجنيهات كل دقيقة لانتاج الأسلحة :

وان ما يهمنا من المقدمة السالفة هو أنهم قد أسرفوا في جميع أنواع الأسلحة التي لم يعرف عصر من العصور السابقة عشر معشارها .

بل ظهرت أنواع من المهلكات المدمرات لم يكن العقل البشري فيما سلف من الأزمنة يستطيع تصورها ، واذا كان عدد سكان الكوكب الأرضي البئيس يقترب حاليا من الخمسة آلاف مليون نسمة ، فلقد ظهر من إحصاء يقرب من الصواب أنه يوجد على المستوى العالمي مدفع رشاش لكل أربعة اناس من بني الانسان كما توجد له في المخازن ألف رصاصة ، وهناك قاذفة قنابل على المستوى العالمي لكل الفين أو نحو ذلك من البشر .. كما أنه يوجد من القنابل الذرية ما يكفي لنسف الكرة الأرضية بضع مرات .. ويتفاوت عدد ما تملكه الدول الكبرى بالقياس الى درجة تقدمها بالمقياس العصري فهي أكثر تقدما، لأنها تقدمت سواها فيما تملكه من أسلحة الدمار، وما دامت الأسلحة العالمية بهذا المقياس أو نحوه فإن كل إنسان الآن يتربص بأخيه ، ولذلك أصبح الخوف شعارا ، وأصبحت الكراهية هي التي تحكم أكثر بقاع العالم المعاصر .

زعماء في قبضة يمينهم امكانات تدمير العالم :

ولقد يتحرك زعيم دولة عظمى في أي بقعة من بقاع الأرض طائرا أو مبحرا وتحت يمينه أزرار يستطيع بها في لحظات إعطاء الاشارة الفورية العاجلة للصواريخ النووية المعدة بكل تكنولوجيات العلم للانطلاق على الفور لتدمير نصف الكرة الأرضية دون النصف الآخر الذي فيه دولة هذا الزعيم على حين يتربص الطرف الآخر

بصواريخ أخرى أشد هـولا للرد وتدمير ذلك النصف الأول .. وبذلك يمكن أن نقرر بحق أن الدنيا الآن قائمة في كف عفريت أو عفريتـين أحدهما في الشرق والآخر في الغرب وبينهما عفاريت أخرى تتفاوت قدرا وحجما .

وما زالت صور مدينتي هيروشيما وناغازاكي اللتين دمرتا عن آخرهما بما فيهما من خلق الله قائمة في الأذهان ، ولقد ثبت أن مدمرات هاتين المدينتين هي حصاة بالنسبـة الى الجبل في تقدير ما تم تطويره وابتكاره بعد ذلك من أنواع أشد هولا عشرات أو مئات المرات .

وقد لا يكون الأمر لتدمير الكوكب البائس في حاجة إلى إشارة من زعيم فإن هذه المهلكات قد اتضح أنها تستطيـع أن تتسرب عـلى صورة اشعاع ولقد انفجرت في أميركا منذ شهور محطة من هذا النوع ، وسقطت من سنوات طائرة تحمل قنابل ذرية على مقربة من أسبانيا.وتسربت من كل هذه المدمرات النووية اشعاعات لا يعرف غير الله ماذا بقى من آثارها مهما كان هناك من ادعاء بمحاصرة اشعاعاتها المهلكة ومن ذلك ندرك أن الخطر الفاجع قائم على كل صورة من الصور .

خطر آخر مدمر يزحف يوما بعد يوم :

وإلى جوار هذا البلاء الخفي فان هناك بلاء نعانيه كل يوم فقد ثبت أن هناك كارثة من نوع آخر يقترب منها العالم يوما بعد يوم وأن هول هذه الكارثة قد يتكامل في خلال العشرين القادمة من الأعوام .. ففي تقرير خطير اشترك فيه عدد من كبار العلماء والخبراء العالميين جاء فيه بيان لحجم ما يعتور العالم النامي بصفة خاصة من نقص في الطعام وتدهور في موارد الماء وزيادة في تلوث الهواء .. ويقول هؤلاء الخبراء انه في الوقت الذي يعاني فيه ثلث سكان العالم من سوء التغذية ويمـوت كل يـوم عشرات الألوف جوعا ، نجد أن الدول المتقدمة صناعيا والتي تستخدم مهارتها في وفرة الانتاج كثيرا ما نسمع أنها تلجأ الى اتــلاف مقصــود لجبــال من اللحوم .. وأنهار من الحليب .. وآلاف من أطنان القمح والخضار والفاكهة وذلك لمنع انخفاض أسعارها دون أن يفكر الانسان المتخم في أخيه الذي يموت جوعا .. وقد جاء في إحصاء أن الطفل في أميركـا يتكلف ما يكفي لخمسين طفلا في الهند واكثر من ذلك في المناطق التي تتهددها المجاعات ..

وأن عشر ما ينفقه الانسان في محاولة قتل أخيه قد يكفي لتلافي هذه الكارثة ويعيش الجميع أخوة آمنين .

براهين على تآكل الحضارة المعاصرة :

هناك اذن ارهاصات تدل يقينا على أن هذه الحضارة في طريقها إلى التآكل

أو أنها تأكل نفسها يوما بعد يوم ، أو أن بعضها يأكل بعضا .

وقبل أن نخوض في حديث عن الحضارة التي لابد أن تنهض في اعقاب ذلك مصداقا لقوله تعالى : (**أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**) الانبياء / ١٠٥ علينا قبل ذلك أن نحدد المواصفات التي تضمن لحضارة ما البقاء والدوام وما أساليب الضعف التي قد تعترض مسيرتها .. ولكي ندرك الفرق بين الحضارة المعاصرة والحضارة المرتقبة وما الاسباب التي اخذت بها الى الانحدار الدريجي نقول ان هناك خلطا في الفهم كثيرا ما يحدث في الفرق بين الحضارة والمدنية والعامل المشترك بينهما وهو الثقافة .. أو المقومات التي تجعل من المدنية حضارة سليمة ، والتي بدون هذه المقومات تفقد الحضارة أسباب دوامها .. ولقد يمكن أن يقال بما هو صواب أو ما يقرب منه أن المدنية هي الشكل ، وأن الحضارة هي الشكل محتويا للمضمون الذي لا تكون الحضارة سليمة إلا به ، فذلك المضمون هو اللباب الذي بدونه تصبح الحضارة مجرد هيكل ظاهري فالمدنية تنهض على توفير كل أسباب الراحة والاستمتاع بثمرات العقول والاختراع كالمنجزات الكهربائية والمبردات (الثلاجات) والمسخنات والسيارات والطائرات فن بناء العمائر التي قد تناطح السحب ، فكل هذه هي من ثمار عقول فكرت فيها وانتجتها واتاحت الفرصة للجاهل .. والعالم .. والتقي والشقي ان يستمتع بها ما دام يملك ثمنها دون شرط ان يكون للمستمتع بها أو المستهلك لها أي ارتباط بقيم أو بفضائل من أي نوع .. بل إن ساكن الاحراش الذي قد لا يستطيع أن يخط خطا ، والذي قد يكون وثنيا أو عابدا لحجر فانه إذا كان يملك مالا أكثر من أي عالم يقيم في المدينة فإن ساكن الأحراش هذا تتاح له كل فرص الاستمتاع بهذه المنجزات .. وهذه بصفة عامة هي المدنية وليست الحضارة .

أثر القيم في صلاح الحضارات :

أما إذا أضفنا للمدنية مقومات معنوية من الفضائل الخلقية التي تنبع اساسا من ينبوع ثابت وهو الدين ، فان هذه المدنية تصبح حضارة جديرة بالبقاء والدوام ما بقيت صلتها بهذه القيم .. والأمر في شرحه ميسر وبسيط فان الاستمتاع المجرد بمنجزات المدنية بغير وجود قيم كثيرا ما يغري بالفردية .. والانتهازية .. دون أن يحتاج الانسان إلى عون أخيه أو يمد اليه يدا مالم تكن هناك مصلحة متصلة بهذا الاستمتاع المدني الاستهلاكي .. بل ربما يكون هناك صراع في سبيل الاستحواذ على المزيد ولا يقف هذا الصراع بين فرد وآخر دائما وانماقد يمتد إلى الجماعات ثم الدول فتقوم الحروب بين دول قوية وأخرى مستضعفة للاستئثار بخيراتها كما هو حادث

الآن ، حتى أنك لو اتيت بخريطة للعالم ورحت تتأملها امامك فانه قد يبدو من هذا التأمل أن كل جزء من اجزاء هذه الخريطة العالمية ينزف دما من اعتداء الانسان على أخيه ليسلبه ما في أرضه .. ومن هنا تصبح القوة المادية الغاشمة هي الفيصل وتتوارى القيم والفضائل الخلقية الأصيلة وتحل محلها شعارات زائفة بل إن هناك أسلوبا عجيبا معاصرا في النظام الحضاري وهو اغراء أهل البلد الواحد من البلدان النامية والضعيفة لكي ينقض بعضهم على بعض ليكون الجميع فريسة سهلة للدولة القوية التي قادت هذه الصراعات بين الاخوة من وراء ستار، ولقد وجد في إحصاء احدى الدول النامية الفقيرة التي تعاني من المجاعة أنها تنفق أربعين في المائة من ميزانيتها في صراع وقتال الاخوة محليا ..

متى تكون الحضارة جديرة باسمها ؟ :

فالحضارة لا تكون جديرة باسمها الحق الا حين تكون قائمة على فضائل خلقية أصيلة تربط بين العقل الذي أبدع والانسان الذي ينتفع بهذا الابداع بروح أخوية جماعية ، وبغير هذه الروح يصبح الصراع المادي حتما هو الفيصل الأعلى .. والتفوق المادي شأنه شأن أي عنصر لابد أن يتفكك وينهار مهما طال به الأمد متى استنفذ اغراضه، وهذه هي الارهاصات المعاصرة التي بدت الآن في طريق النهاية .

لماذا دامت بعض الحضارات آلاف الاعوام :

ولالقاء المزيد من الضوء فانه يمكن حصر الحضارات التي كانت في التاريخ العالمي منذ عرف التاريخ تحت نوعين من الحضارة، الأولى: هي الحاضارة الزراعية التي امتدت مئات القرون عبر آلاف السنين ، حيث كانت الأرض هي العامل المشترك الذي لايتم أمر استغلالها إلا بتعاون الانسان مع أخيه، ثم جاء القرن الثامن عشر الميلادي فبدأت خيوط الحضارة الصناعية حيث اصبحت القدرة المادية هي الأساس لأسلوب الحياة ، وانتقلت روح الآلة الصماء إلى نفس العامل الذي يديرها ، وإذا كانت الحضارة الزراعية القائمة على التعاون الانساني قد امتدت آلآف السنين فإن عمر الحضارة الصناعية القائمة على القدرة الفردية لا يزيد عمرها عن قرنين أو أكثر قليلا ، ثم بدأت تتفكك شأن كل شيء مادي ، فالمادة لها اجلها المحدود .. وقد بدأت إرهاصات حضارة الفضاء واستغلال طاقات جديدة بانتصار الانسان في الوصول الى القمر والمحاولات القائمة الآن نحو الاتجاه إلى بعض كواكب المجموعة الشمسية، ويبدو أن هذه الحضارة المرتقبة سوف تستلزم نوعا قويا من التعاون وهذه الحضارة المرتقبة سبق الاسلام إلى الدعوة في التفكر فيها، والفكر دائما يتبعه تنفيذ لما يتفتق عنه الذهن ولنرجع الى قوله

تعالى : (**الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك ...**) آل عمران/١٩١

إن الله سبحانه لم يخلق شيئا باطلا كما تشير الآيات . ولم يوجه العقول إلى التفكر من باب الترف الذهني وإنما لتثبيت الايمان في هذا الكشف وكل ايمان يجب أن أن يتبعه عمل .. فالاشارة الربانية إلى التفكر في الكون المحيط بنا هي من هذا القبيل ـ وكل ما كشف عنه الانسان كالكهرباء وغيرها ليس اختراعا أو جده الانسان من العدم .. وإنما كانت الكهرباء مثلا كامنة في كون الله حتى أذن الله أن يحين حين الانتفاع بها فألهم بعض العقول إلى التفكر فيها .. وماذكرنا الكهرباء إلا من باب المثل الذي ينطبق على سواها

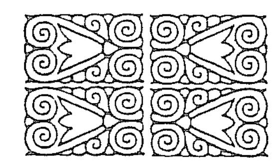
المهم أن الحضارة القادمة لن تتحقق إلا بالعودة إلى التعاون البشري على نطاق مخالف للفردية الذاتية .. وهنا لابد أن تؤدي القيم من جديد خصائصها .. وما من خصائص أعظم مما استودعه الله في الاسلام .. فهل آن الأوان كي يرث الاسلام الأرض لإصلاحها كما هي آيات الله ؟

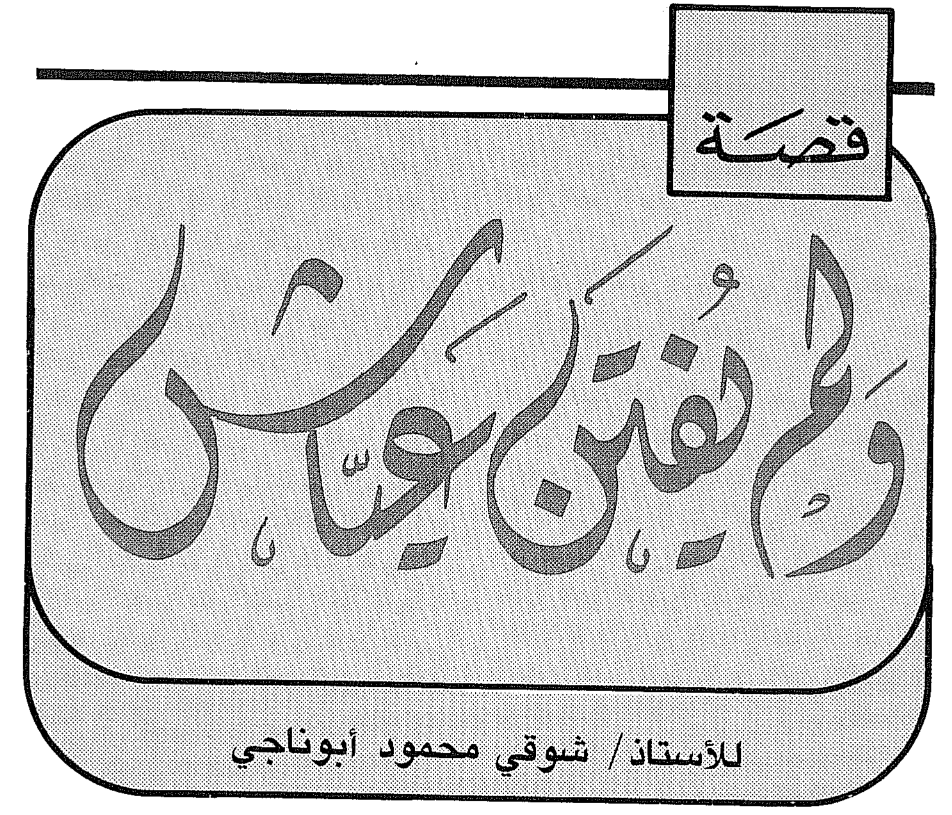
ولكن هل معنى وجود هذه الخصائص في الفطرة الاسلامية أن الناس سينامون ذات مساء لينهضوا في الصباح ليجدوا الفضائل قد فرضت نفسها تلقائيا لتهذيب الوجود البشري .. إن هذا الظن اقل من أن يكون ساذجا .. وليس من طبيعة الاشياء .. ولا من سنة الوجود

وهذه هي مسؤولية الجيل الاسلامي المعاصر :

وعلينا أن ننهض بهذه المسئولية افرادا قبل الجماعات في تأصيل الفضائل في انفسنا .. ابتداء من إعداد الطفل في البيت والشارع والمدرسة .. ويسبق ذلك ضرورة بذل كل جهد لتطهير المنطقة العربية من الالغام التي زرعها الاستعمار ابتداء من نشر التخلف (والبروقراطية) والجمود الفكري .. والنزاعات والصراعات ومخططات الصهيونية .. والأفكار الهدامة أو الضالة المستوردة .

لقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتخذ لنفسه شعارا يعمل تحت ظله ويواجه به نفسه دائما وهو (ماذا تقول لربك غدا يا عمر) ؟ فحبذا لو جعل كل منا هذا الشعار أمامه في عمله .. في بيته .. في اعداده لأهله .. في أن يكون قدوة خلقية حيث وجد في حله وترحاله .. في وطنه .. في كل أرض .. يسافر إليها في كل درهم ينفقه فيما لا يليق .. (ماذا سيقول لربه غدا) ؟





كما يمرق السهم : اندفع عياش بن أبي ربيعة نحو الحارث بن يزيد عندما رآه يسير بظهر قباء وهو يصيح :

ـ لم أترك الهدى يا بن يزيد !

وقبل أن يتنبه الى المفاجأة الخاطفة كان الحارث بن يزيد في الغابرين .

وتعالت الأصوات :

ـ جن عياش .. قتل رجلا مسلما .

ـ أي شيء صنعت يا عياش ؟ انه قد أسلم ,

ـ يا عياش .. أنت امرؤ لا تزال تحتفظ ببقايا جاهلية .

ـ ـ أيقتل المسلم أخاه يا عياش ؟

ـ اذهبوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم فيه بما أنزل الله .

والتف جماعة حول عياش الذي وقف واجما فاغر الفم من الدهشة ، وكأنما أصاب تفكيره الجمود فلا يحير جوابا ولا يجد ما يقول .. وشده أحدهم من ذراعه .. وتبعه آخرون الى المسجد ليقول في صوت حزين واهن :

ـ يا رسول الله .. كان من امري وأمر الحارث ما علمت .. واني لم أشعر بإسلامه حين قتلته .

وأطرق النبي صلى الله عليه وسلم .. وشق على عياش ان يكون أول مسلم يرفع سيفه في وجه اخيه في مجتمع تسوده المحبة والاخاء .. مجتمع جعله النبي صلى الله عليه وسلم مثاليا ، في الحب والمودة والإيثار وكل ما هو طيب يقرب الانسان من ربه ويوطد علاقته بأخيه الانسان .

وجلس عياش في المسجد لا يبرحه .. يفكر في جرمه الذي لا يعتقد ان

تقديم نفسه لسيف القصاص كاف لمحوه .. وقرر أن يعتزل الناس منزويا في أحد أركان المسجد .

وبينما كان عياش في ركنه من المسجد أرسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم ليقول له حكم الله في فعلته :

« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى اهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما » النساء/ ٩٢ .

استراح عياش الى حكم الله وان كانت الحادثة التي احفظت عياشا على يزيد لا تزال بين الحين والآخر تتراءى في أفق خياله كلما نظر الى عمر بن الخطاب صديقه ورفيقه في رحلة الهجرة .. وناصحه الذي لم يطعه !

شق على أسماء بنت مخربة سيدة نساء بني مخزوم وصاحبة الكلمة المسموعة فيها ، والمنافسة الوحيدة لأبي طالب بن عبد المطلب في تجارة العطور ، والتي تعد من أغنى أغنياء قريش ، شق عليها أن يخرج عن طاعتها أحب أبنائها الى قلبها «عياش» ، وهي التي كانت تعده مع اخوته : أبي جهل بن هشام والحارث ابن هشام وعبد الله وعياش ابني أبي ربيعة ليكون أحدهم سيد قريش ، ومع أنها لم تكن مخزومية الا أنها تحب أن تكون سيادة قريش في احد ابنائها «المخزوميين» ، ولن يعوزها الجاه ولا المال لتحقيق هذا الهدف ؛ الذي بدأت منذ حين تعد له العدة وتعمل جاهدة على تحقيقه ، ولهذا كان اسلام أحد أبنائها .. «عياش» صدمة قاسية قوضت آمال هذه الداهية الطموح ، فدعت ابنيها : أبا جهل والحارث ابني هشام وجعلت تستثير فيهما النخوة وتذكرهما بمكانة عمهما أبي ربيعة والد عياش صاحب الرمحين في حرب الفجار ، وابنه العِدل عبد الله بن أبي ربيعة الذي كان يكسو الكعبة من ماله عاما وتكسوها قريش عاما فهو عدل لقريش كلها . وأقسمت بالآلهة جميعا الا يمس رأسها مشط والا تستظل من شمس حتى ترى عياشا .

لم يمض على وصول عياش وعمر ابن الخطاب الى المدينة غير يومين حتى وصل الاخوان أبو جهل والحارث ابنا هشام ، أخوا عياش لأمه وابنا عمه وجعلا يرينان له العودة ، ويذكرانه ان دينه الذي اتبعه يدعو الى بر الوالدين ، وأخبراه بقسم أمه وتعهدا الا يحولا بينه وبين العودة الى المدينة مرة أخرى .. وظهر من عياش ميل الى تصديقهما ، فقال له عمر بن الخطاب ناصحا :

- يا عياش .. انه والله ان يريدك القوم الا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم فوالله لو قد آذى أمك القمل لإمتشطت ، ولو اشتد عليها حر مكة لاستظلت .

فقال عياش وقد نمت نبرات صوته عن ضعف ورقة :

ـ أبر قسم أمي ولي هناك مال فآخذه ..

ـ والله انك لتعلم اني من أكثر قريش مالا ، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما

ولما رأى اصرار عياش على مخالفته واتباعهما قال له :

ـ أما اذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فانها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان رأبك من القوم ريب فانج عليها ، فخرج عليها معهما .

مضى الثلاثة الى مكة وعياش مطمئن الى وعد اخويه .. ولم يدر بخلده ان يكونا قد خدعاه .. حتى اذا كان بينهم وبين مكة بضعة أميال قال أبوجهل لعياش :

ـ والله يا أخي لقد استغلظت بعيري هذا .. أفلا تعقبني على ناقتك هذه ؟ فأناخ وأناخا ليتحول عليها ، فلما استووا بالأرض عدوا عليه وربطاه .

كان شعور الزهو يرسم قسمات أبي جهل عند دخولهم مكة نهارا وهو يشير الى عياش المربوط فوق ناقته ويصيح :

ـ هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا .

ولم يكن الألم النفسي الذي عاناه عياش بأقل من ألم السياط التي كانت تهوي على ظهره من أبي جهل وصديقه الحارث بن يزيد من بني كنانة والذي لم يكتف بأن يساهم في جلد عياش بل سخر منه وبكته بقوله :

ـ يا عياش : لئن كان الذي كنت عليه الهدى لقد تركت الهدى .. وان كان ضلالة لقد كنت عليها .

فنظر اليه عياش وقال متوعدا :

ـ والله لا ألقاك خاليا الا قتلتك يا حارث بن يزيد .

كان عمر يجلس واجما في المسجد وهو يستعيد أحداث رحلته مع عياش ، وكيف احتمله اخواه ليفتناه ، وان ذلك ليضيف حزنا الى حزنه على هشام بن العاص الرفيق الثالث الذي كان مفروضا ان يهاجر معهما وحبس في مكة .. ولكنه تنبه على صوت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

ـ من لي بعياش بن أبي ربيعة وسلمة ابن هشام ؟

فنهض الوليد بن الوليد خفيفا ليقول :

ـ أنا لك بهما يا رسول الله .

طالت غيبة الوليد بن الوليد حتى كان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا ما رفع رأسه من الركعة الأخيرة من وتره دعا :

ـ اللهم انج سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد .

كان الوليد بن الوليد في مكة يتظاهر بالاهتمام بوالده الوليد بن المغيرة الذي يعاني سكرات الموت ، ولكنه ظل دائب البحث عن المحبوسين حتى رأى امرأة تحمل طعاما فقال لها :

ـ أين تريدين يا أمة الله ؟

ـ أريد ذينك المحبوسين .

فأدرك انها تريد عياشا وصاحبه فتبعها حتى عرف محبسهما وكانا محبوسين في بيت لا سقف له ، فلما كان المساء تسور الجدار ووضع مرة «حجرا» تحت قيدهما وضربه بسيفه فقطعه ، وانطلق بهما الى المدينة .

تنويه

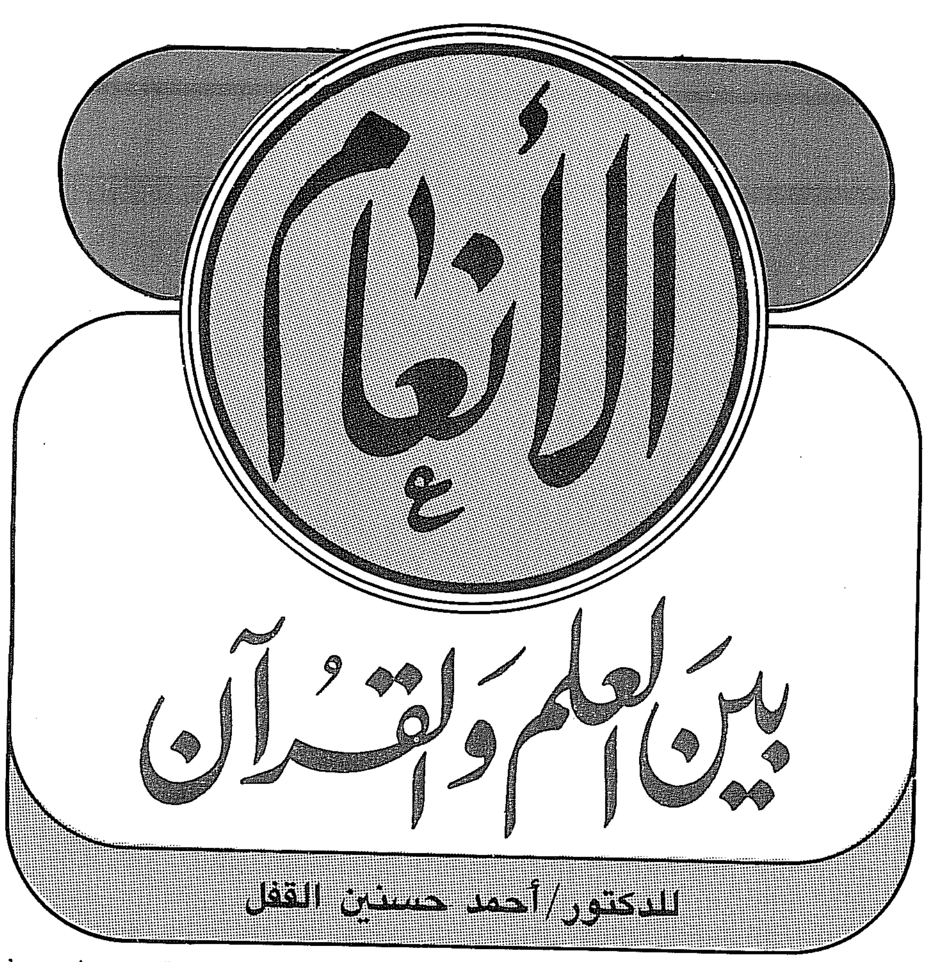
تروي بعض كتب السيرة ـ الموثوق في رواياتها مثل ابن هشام والسيرة الحلبية والبداية والنهاية وغيرها ، ان الذي كان محبوسا مع عياش هو هشام بن العاص أخو عمرو بن العاص ولكننا نرجح الرواية التي تقول : ان الذي كان محبوسا مع عياش هو سلمة بن هشام بن المغيرة وهما مخزوميان حبسهما بنو مخزوم ، اما هشام بن العاص فهو اموي والأولى ـ اذا حبس ـ ان تحبسه بنو امية ولا يعقل ان يتركه الأمويون لبني مخزوم وفي بني أمية داهية هو اخوه عمرو بن العاص وكان يومئذ مشركا وقد سبق لقريش ان ارسلته الى النجاشي ليعود بالمهاجرين المسلمين الذين فروا بدينهم الى الحبشة ، كما ان هذه الكتب تروى ان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ارسل الى هشام بن العاص قوله تعالى : (قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم . وانيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) ٥٣ ـ ٥٥/الزمر وتروى هذه الكتب عن هشام بن العاص أنه قال : فلما اتتني ـ اي هذه الآيات ـ جعلت اقرؤها بذي طوى أصعد بها وأصوب ولا أفهمها حتى قلت : اللهم فهمنيها ،

قال : فألقى الله في قلبي انها نزلت فينا ، وفيما كنا نقول لأنفسنا ويقال فينا ، قال : فرجعت الى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذه رواية ابن هشام نقلها عن ابن اسحق وأخذها عنه ابن كثير وغيره من السلف وأبو زهرة في «خاتم النبيين وغيره من الخلف» وتعرض لجوانب منها بالنقد السيرة الحلبية ، وبعض هذه الكتب أوجز القصة ولم يذكر طريقة عودة عياش مثل ابن حزم في جوامع السيرة وبعضها لم يتعرض لها على الاطلاق مثل ابن جرير الطبري الذي انتقل من قصة أبي سلمة الى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة في الجزء الثاني من «تاريخ الرسل والملوك» .

اذا فقد أوردت هذه الكتب روايتين لا تتفقان : مرة ان الوليد فك عياشا وهشاما واحتملهما معه الى المدينة ، ومرة أخرى ان هشاما لحق ـ وحده ـ برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قراءته الآيات التي أرسلها اليه عمر بن الخطاب وعلى هذا فنحن نرجح رواية «أسد الغابة» ومن رأي رأيه من ان الذي كان محبوسا مع عياش هو سلمة ابن هشام بن المغيرة .

ونسأل الله أن يجعل لنا من سيرة السلف الصالح قدوة حسنة ليعود الاسلام والمسلمون مكان الريادة والهداية في العالم



للدكتور/أحمد حسنين القفل

سميت إحدى السور الطوال في القرآن بسورة « **الأنعام** » وتكرر ذكر هذه الحيوانات في آيات عديدة ومتفرقة من آي الذكر الحكيم ، تشتمل على مناسبات مختلفة ، لكنها جميعها توضح أهميتها ومنافعها بالنسبة للانسان الذي سخرت له . والملاحظ أنه حين يسجل القرآن الكريم مكانة هذه الحيوانات ومنافعها ، يوضح لقارئه (**الانسان**) مخلوقات لها سلوكها الخاص الذي ينم عن الاعجاز في الخلق والتسخير بل إن الله سبحانه وتعالى حين يشبه غفلة الكافرين بغفلة الأنعام ، تكون غفلة الكافر بالنسبة له نقمة ، بينما هي في حق الأنعام نعمة كما سنوضح ذلك فيما بعد .

ولقد جمع الله صنوف الأنعام في آيتين كريمتين هما :

○(ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئوني بعلم إن كنتم صادقين . ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على

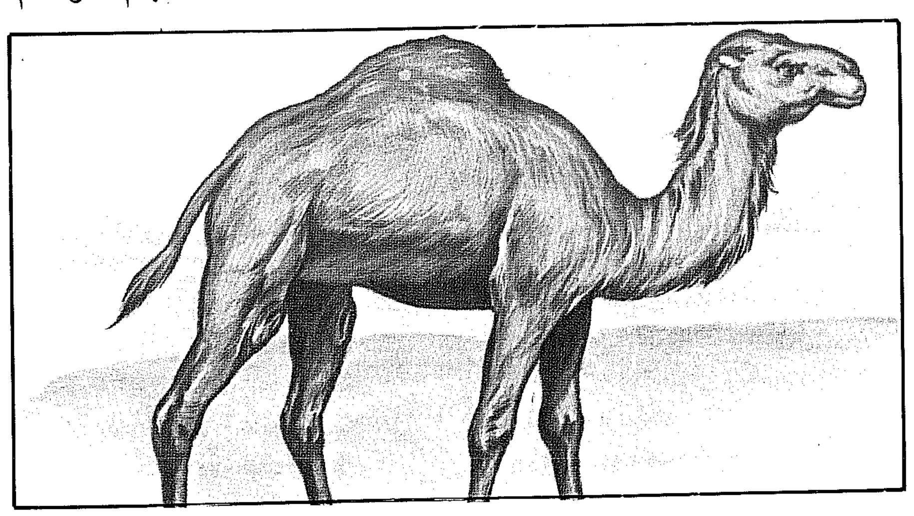
الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) الأنعام/ ١٤٣ و ١٤٤

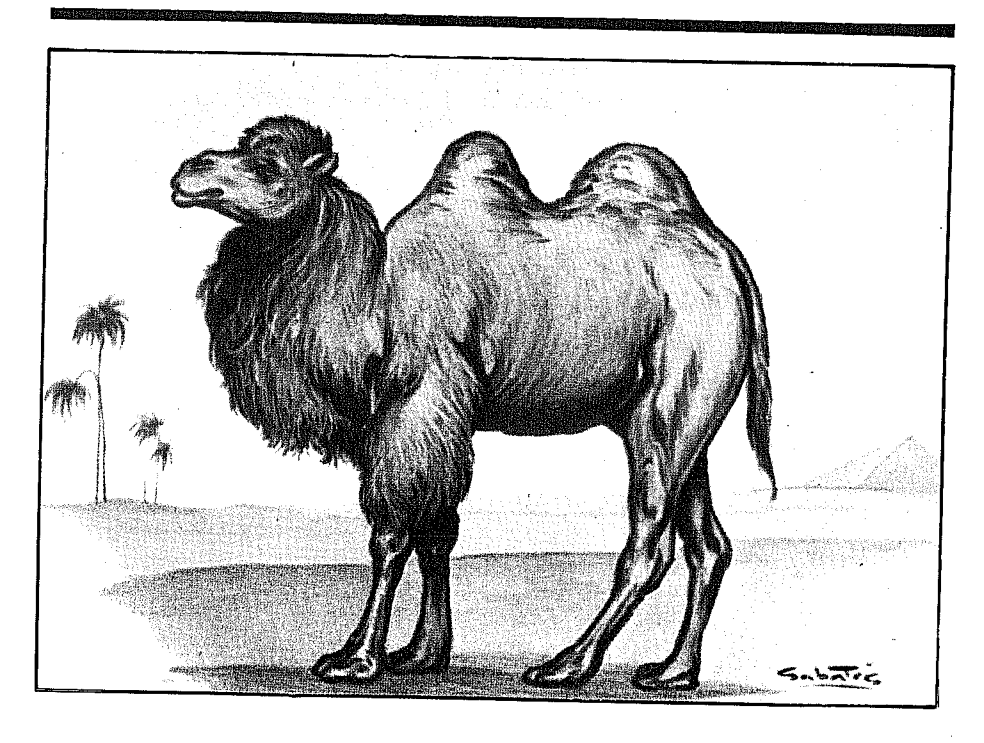
والآيتان الكريمتان السابقتان تحددان الأنعام بأنها ثمانية أزواج ، أي أربع مجاميع ، كل مجموعة تتكون من ذكر وأنثى ، والمجاميع الأربعة هي : الضأن (**الغنم**) **والمعز** ، والابل (**الجمال**) **والبقر** . والآيتان تناقشان مزاعم المشركين بخصوص تحريمهم لأفراد من الأنعام أو أجزائها جزافا ودون مستند علمي سليم يعتمد عليه وهذا تبكيت لهم ، وسخرية منهم .

وفي علم الحيوان Zoology نجد أن شعبة الحبليات Chordata تضم فيما تضم طائفة الثدييات Mammals نسبة إلى امتلاك « الثدي » التي تفرز اللبن - ومن ثم سميت أيضا باللبونات - ومن الثدييات توجد مجموعة ذوات الظلف أو الحافريات Ungulata ومن هذه مجموعة المجترات (زوجية الحافر) Ruminants التي تضم الأنعام التي نحن بصدد الكلام عنها حاليا . والمجترات حيوانات تتميز على سائر الحيوانات الأخرى بقدرتها على الاجترار وبامتلاكها لمعدات مركبة (من أربع حجرات) - وسنعرف بعد لماذا حباها الله بهذا التمييز ويطابق العلم القرآن في تصنيف الأنعام فيقسمها كالآتي :

١ - **فصيلة الجمال** (الابل) Cam-leidae وتشمل الجمال ذات السنام الواحد والجمال ذات السنامين . كما يشمل حيوانات شبيهة بالجمال ، لكنها أصغر منها حجما تعرف باللاما Lama ولا سنام لها ، ومنها أنواع مستأنسة في بيرو وبوليفيا وأنواع تربى على نطاق واسع في جبال الأنديز .

٢ - **الفصيلة البقرية** Bouidae : وتضم حيوانات تنتشر في كل بقاع العالم ، وهي تشمل أجناسا وأنواعا عديدة مختلفة الأحجام . وتضم





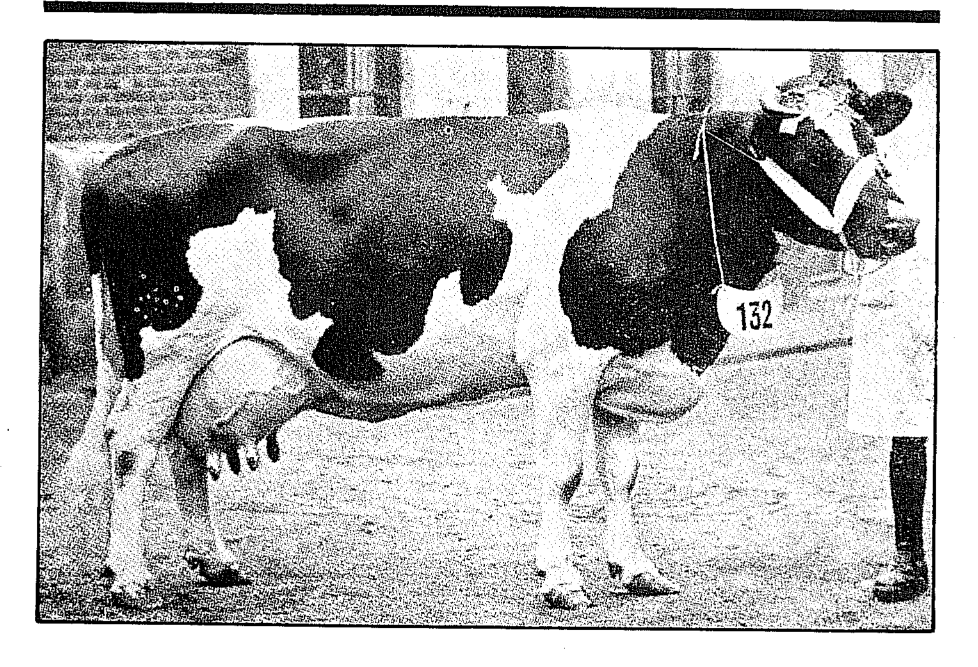
الفصيلة البقرية : البقر المنزلي والجاموس والماعز والضأن (الغنم) .

وتقف الأنعام موقف الصدارة بين مجاميع الحيوانات الأخرى ، من حيث تعدد منافعها ، وتنوع فوائدها ، وهذا ما يسجله جليا القرآن الكريم ، ويطابقه فيه العلم الحديث - علم تربية الحيوان - وإني لأرجو من القارىء الكريم أن يستعرض معي بعض الآيات الكريمة التي سأسجلها في هذا المقام ، مسجلا في تدبر وتفكر الأوجه المختلفة للمنافع المتعددة التي تسديها الأنعام للانسان ، وكيف أن الله تباركت آلاؤه يسبغ نعمته على خلقه ، المؤمن منهم والكافر ، والشاكر منهم والجاحد ، يقول سبحانه :

○ **(ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)** الأنعام/ ١٤٢

○ **(والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين)** النحل/ ٨٠

○ **(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم)** النحل/ ٥ - ٧ .



○ (**وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين**) النحل/ ٦٦

○ (**وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون . وعليها وعلى الفلك تحملون**) المؤمنون/ ٢١ و ٢٢

○ (**الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون . ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون . ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون**) غافر/ ٧٩ ـ ٨١

○ (**أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون . وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون . ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون**) يس/ ٧١ ـ ٧٣

وإذا اقتصرنا على تسجيل الآيات الكريمة السابقة ـ مع وجود كثير غيرها ـ ثم تدبرناها مليا ، اتضح لنا أن الأنعام تفيد في نواح متعددة أهمها :

١ ـ انتاج اللبن : (**نسقيكم مما في بطونها**)

٢ ـ انتاج اللحم : (**ومنها تأكلون**)

٣ ـ استخدامها في العمل :(**وعليها وعلى الفلك تحملون ـ لتركبوا منها ـ ومن الأنعام حمولة ـ وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه الابشق الأنفس**)

٤ ـ منافع أخرى كثيرة : كتصنيع الجلود والأوبار والأشعار .. الخ

(**وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا ـ ومن أوبارها وأشعارها**

أثاثا ومتاعا ـ فرشا)

والأوجه السابقة من المنافع هي بحذافيرها التي جعلها علم الانتاج الحيواني هدفا جوهريا له ، يعمل علماؤه جاهدين لتحقيقها وعلى نطاق واسع . الحق إن علماء الوراثة وعلماء تربية الحيوان ليبذلون الجهد تلو الجهد في إجراء أبحاث مستفيضة ، ودراسات مستنيرة ، وكل أهدافهم هي تطويع الأنعام ـ وخاصة الأبقار والأغنام لقوانين الوراثة التي توصلوا إليها على أسس علمية بحيث تلبي هذه الحيوانات رغباتهم في تحقيق انتاج بمستويات عالية كما وكيفا . فعلم الانتاج الحيواني الحديث يزاول المهام التالية :

١ ـ **تربية الأبقار ـ** وكثيرا ما يطلق عليها علميا وزراعيا لفظ « الماشية Cattle » وتهدف تربية الماشية إلى تخصص عال في انتاجها . وقد تحقق حاليا انتاج ماشية متخصصة في الانتاج على النحو التالي :

(أ) ـ **ماشية اللبن** : وهي التي تربى خصيصا ـ بعد تركيز العوامل الوراثية فيها ـ لانتاج اللبن كهدف أصيل ـ بجانب المنافع الأخرى . ومن أصناف أبقار اللبن المشهورة حاليا وعالميا أبقار « الفريزيان » ، وأبقار الجرسي وأبقار شورتهورن اللبن وأبقار الايرشير وغيرها .

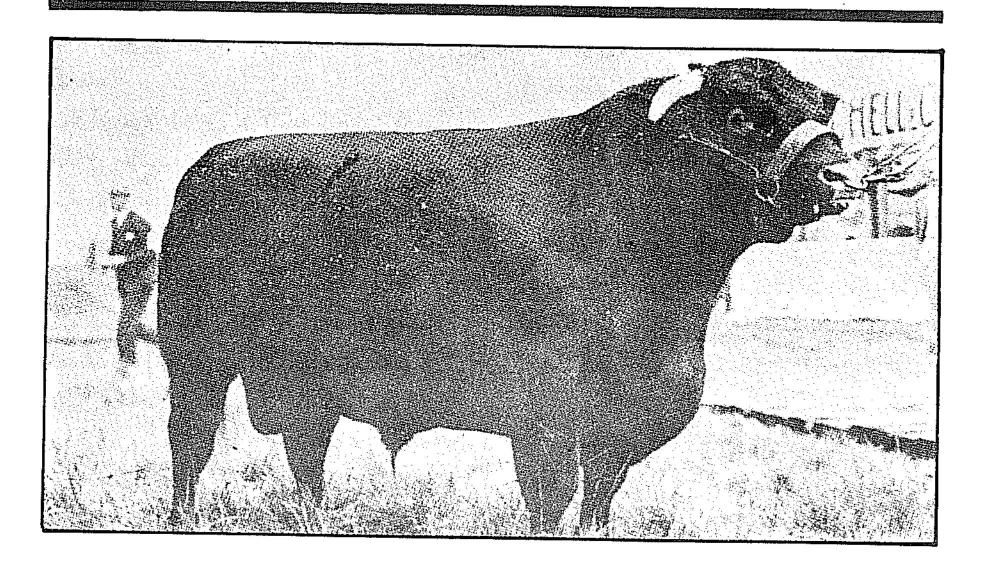
ومن أبقار اللبن هذه أنواع تحلب الأنثى لبنا يزيد على ثلاثين كيلو جراما في اليوم الواحد في موسم إدرار قد يطول لشهور . أما الذكر من هذه الأبقار (الطلوقة) فقد يتعدى ثمنه عشرة آلاف دولار .

(ب) **ماشية اللحم** : وهي التي تربى خصيصا لانتاج اللحم كهدف أصيل ـ بجانب المنافع الأخرى ـ ومن أصناف ماشية اللحم المشهورة« الشورتهورن أي قصير القرن »

وكذلك الأبردين أنجس وقد يصل وزن ثور الشورتهورن عدة مئات من كيلو جرامات اللحم (٦٠٠ ـ ٩٠٠ كج) .

(جـ) **ماشية العمل** : لا تستخدم الماشية للعمل إلا في البلاد النامية ، فكل البلاد المتقدمة قد أصبحت تدير زراعاتها وتنقل انتاجها بالمكنة الحديثة . أما في بلاد العالم الثالث فيستعين الفلاح بالماشية في فلاحة أرضه حيث يستخدمها في الحرث والجر والنقل وحمل الأثقال . وفي مصر مثلا تستخدم الأبقار البلدية وكذلك الأبقار الدمياطية في الأغراض السابقة بجانب انتاج اللبن القليل نسبيا .

٢ ـ **تربية الجاموس** : يتبع الجاموس علميا الفصيلة البقرية . والجاموس أقل من الأبقار انتشارا ، ويستخدم في بلاد العالم الثالث لانتاج اللبن واللحم وكذلك للعمل . ويتميز لبن الجاموس بعلو نسبة الدهن فيه . والجاموس أقل في كفاءته التناسلية من الأبقار ، كما أن تخصيصه بالانتخاب الوراثي لم يصل بعد إلى المستوى الذي وصل إليه في حالة الأبقار . وإن كانت المجهودات العلمية لتطويره ما زالت مستمرة . وفي مصر



يشيع الجاموس البحيري والجاموس الصعيدي

٣ ـ **الأغنام وتربيتها** : تلي الماشية من حيث انتاج اللبن واللحم ولكنها تتميز عليها من حيث الانتفاع بأصوافها . وتعتبر الأغنام من أقدر الحيوانات الزراعية التي يمكنها أن تعيش تحت ظروف متنوعة ، مناخيا وبيئيا ، الأمر الذي أدى إلى انتخاب سلالات متخصصة لتلائم هذه الظروف المتباينة .

وتقسم الأغنام على حسب الهدف من انتاجها إلى :

أ ـ **أغنام الصوف الناعم** : ويمثلها المرينو بسلالاته

ب ـ **أغنام الصوف المتوسط** : ويمثلها « الشر وبشير » وكذلك سلالات « الها مبشير » وهي أنواع تربي لانتاج اللحم والصوف على سواء .

جـ ـ **أغنام اللحم قصيرة الصوف**

د ـ **أغنام اللحم ذوات الصوف الطويل**

مثل سلالات « الليستر ـ الرومني »

هـ ـ **أغنام صوف السجاد** (في الصحاري) ومنها « الأوسيمي » وكذلك « الرحماني » والنجدي وفي مصر يوجد أيضا الأغنام العبيدي والصعيدي والبلدي

و ـ **الأغنام ذوات الشعر** : وهي أكثر شيوعا في المناطق الحارة ويغطيها الشعر بدلا من الصوف مثل الأغنام « السوداني » والصومالي .

ز ـ **وهناك أنواع من الأغنام** تربي لانتاج اللبن واللحم مع الصوف مثل « اللاكون » .

٤ ـ **تربية الماعز** : تربى لانتاج اللحم واللبن ولكنها أقل انتشارا من الأغنام

(الضأن) لكنها أكثر تحملا للبيئات القاسية .

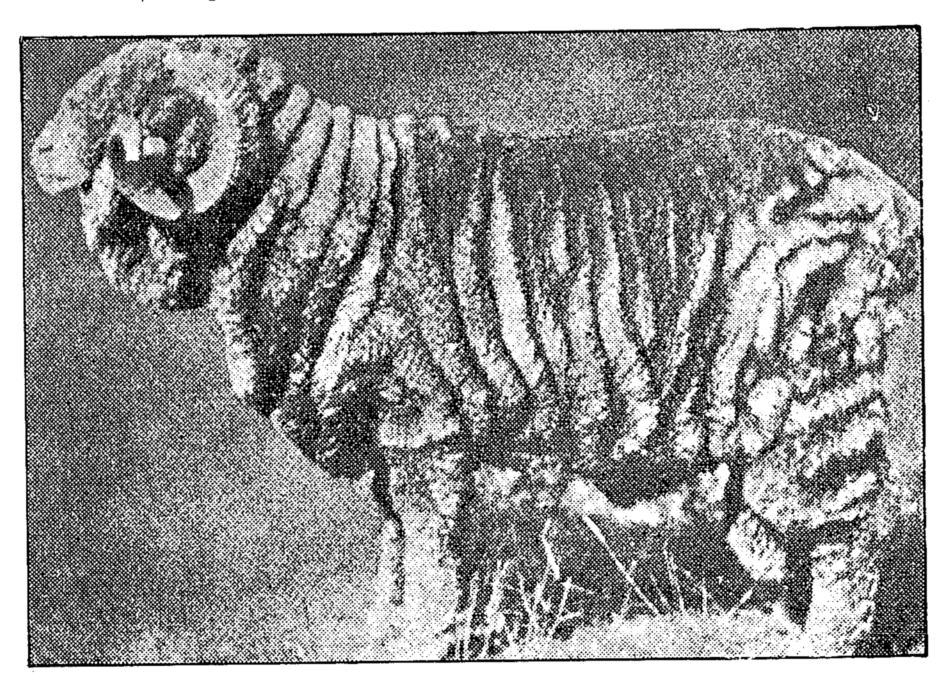
٥ ـ **تربية الابل** (الجمال) : تربى لانتاج اللحم وللركوب ـ وخاصة في المناطق الصحراوية ـ وإذا كانت مشهورة بين الأعراب على أنها « سفن الصحراء » فلأنها تتلاءم والمعيشة في مثل هذه الأماكن بما لا يدانيها في ذلك حيوانات أخرى وذلك لعوامل كثيرة : منها بناء جسمها بشكل خاص وتكييفه وتيسيره لما خلق له . والجمل ذو السنام الواحد أكثر انتشارا من الجمل ذي السنامين ويكسو الجمل « الوبر »
والأوبار أقل استخداما من الصوف وأدنى منه مرتبة .

هذا أيها القارىء الكريم موجز عن فوائد الأنعام بأنواعها المختلفة ، ومدى مطابقة العلم للقرآن في تبيانها . ولكن هناك ملاحظة أخرى يمكن أن نستنتجها من قوله تعالى :

○ **والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم)** النحل/ ٥ ـ ٧ .

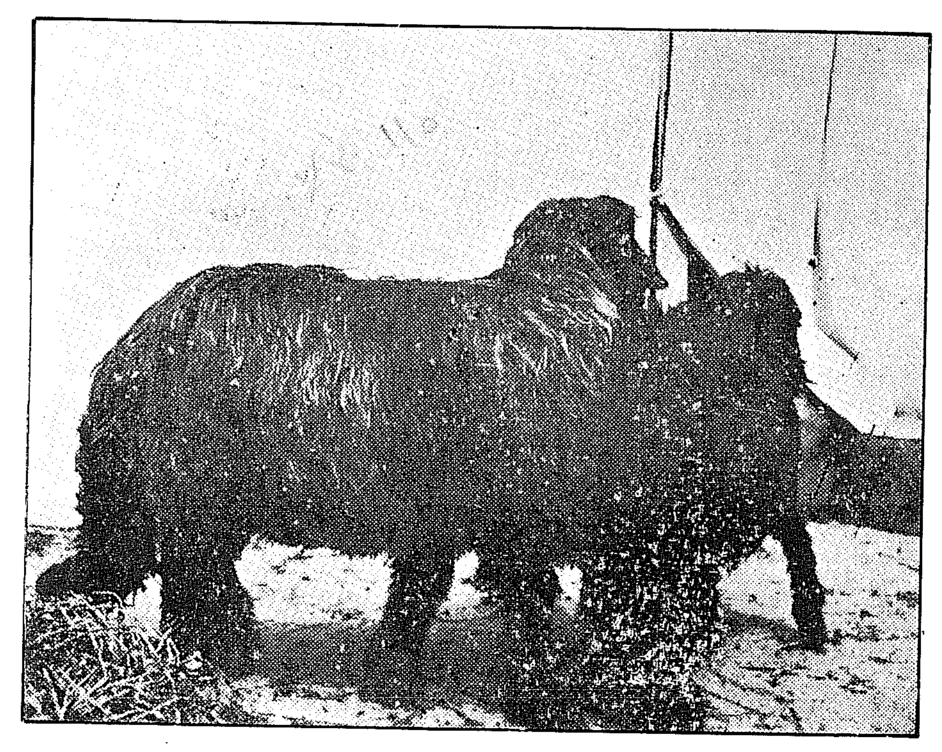
○ (**وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون ، وعليها وعلى الفلك تحملون)** المؤمنون/ ٢١ ـ ٢٢

والمدقق في الآيات الأربع السابقة يرى أنها سجلت أغلب ما يتبادر إلى ذهن الناس من منافع كلحم يؤكل ، أو



عمل يؤتى ، أو لبن يصنع ويسقى ، هذا بالاضافة إلى ما سبق تسجيله من أصواف وأوبار وأشعار وجلود ينتفع بها دفئا ولباسا وبيوتا ، إذا كان ذلك كذلك ، فما هو المقصود إذن بكلمة « **منافع** » في الآية الخامسة من سورة « النحل » ومجيئها مطلقة على هذا النحو ، ثم وصف المنافع بأنها « **منافع كثيرة** » في الآية الواحدة والعشرين من سورة « المؤمنون » وخاصة بعد أن سجلت الآيات الأربع السابقة أغلب المنافع المنتظرة من الأنعام ؟ الحق أن للأنعام فوائد أخرى ومنافع كثيرة ، قد لا تتوقف عليها بذاتها ، وإنما تحققها تربية الأنعام لأصحابها كمنافع جانبية ، ومن هذه ما يشير إلى بعضها العلم وتثبتها الاحصاءات والأبحاث على النحو التالي :

١ ـ **الأنعام** جميعها حيوانات عشبية أي تتغذى على النبات . وقد أثبتت الأبحاث أن الأنعام تعتبر من أقدر الحيوانات استفادة من تحويل الغذاء النباتي ـ بعد تعاطيه طعاما ـ إلى أنسجة حيوانية . أي أنها تبنيه في أجسامها فتزداد به نموا (زيادة في اللحم) . والأغنام أقدر من الماشية في هذا الصدد . ولهذا فكثيرا ما تقتنى الأغنام في المزارع كدواب كانسة أي تكنس وتأكل مخلفات المحاصيل ، فتحيلها بتعاطيها إياها إلى لحم في أجسامها . وقد تكون هذه المخلفات





زهيدة القيمة أو ضارة إذا بقيت على حالها (ضارة أحيانا لأنها تجتذب آفات زراعية تتغذى عليها)

٢ ـ أن أكثر ما تنبته الأرض قد يكون عديم الجدوى بالنسبة للانسان ، إذا لم تستهلكه حيوانات كالأنعام ، فالمراعي التي تنمو طبيعيا ، ونباتات الأعلاف ، والحشائش الطبيعية وجزء كبير من مخلفات المحاصيل التقليدية ، كل هذه قد تصبح بلا فائدة تذكر ، إذا لم تقدم كغذاء طبيعي للأنعام بصنوفها المختلفة .

٣ ـ **لا يقتصر** الانتفاع بالأنعام على أطوارها البالغة ، فقد يكون الهدف الأساسي هو الانتفاع بالأطوار التي لم تصل بعد إلى مرحلة البلوغ ، خاصة بالنسبة لانتاج اللحوم ، ومثال ذلك مشاريع تسمين العجول أو تسمين الحملان (صغار الأغنام) .. الخ .

٤ ـ **للأنعام** دورها البارز في التجارة وتشغيل رأس المال .

٥ ـ **للأنعام** دورها الكبير في انتاج المخصبات (الأسمدة) العضوية ، وبالتالي فإنها تسهم إلى حد كبير في تخصيب التربة الزراعية .

٦ ـ **تقف الأنعام** ـ وبلا شك ـ موقف الصدارة من حيث إيجاد الاتزان بين الاستزراع النباتي ، وبين الانتاج الحيواني . إنها تلعب الدور المتبادل بين الأرض وما تخرج ، وبين الحيوان وما ينتج .

وبعد : فهذه هي الأنعام ، كما وردت في العلم وكما سجلها القرآن ، وتلك هي منافعها الأساسية والجانبية ولا يسع المؤمن بعد ذلك إلا أن يقول (**سبحان من سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين**) الزخرف/ ١٣



ان أبرز مميزات حركة اليقظة دخولا الى مرحلة النهضة ، تلك المراجعات التي صححت كثيرا من المفاهيم في التاريخ والأدب والثقافة ومفاهيم الحضارة والعلم والفن والاجتماع ومن ثم أصبحت صورة الاسلام نقية ناصعة ، وخصبة مشرقة .

ومن أبرز القضايا التي تحتاج الى معاودة النظر بين حين وحين قضايا الاستشراق والتبشير الغربي ، فان القائمين عليهما من المكر والدهاء بحيث يعملون دوما على تغيير الصورة الخارجية لخداع أجيال جديدة ، ولذلك فان علينا ان نعاود النظر في هذه المحاولات .

الاستشراق في طور جديد

كانت محاولات الاستشراق تهدف الى طمس الحقائق الاسلامية الأساسية واثارة الشبهات حولها وخلق مفاهيم مهومة مضطربة لتحل محل المفاهيم الأصلية نجد هذا واضحا في أغلب أعمال الاستشراق التي قدمها الى المسلمين ، بل لقد ذهب الى أبعد من ذلك إذ وكل الى بعض من شباب الجامعات دراسة هذه الشبهات على أنها قضايا حقيقية ، فبعد أن كانت سطورا لها صفة الاحتمال في

المجلدات القديمة ، عمد الى استخراج هذه الشبهات وتأليفها لتكون بمثابة عمل أو ظاهرة ، وتعجب حين ترى المستشرقين وأتباعهم لا يبحثون في الأصول العامة أو العناصر الرئيسة لقضايا الفكر الاسلامي أو التاريخ الاسلامي ، ولكنهم يبحثون عن تلك النقاط المختلف فيها ، أو موضع الاشتباه ، واثارتها والتركيز عليها ولا يدرسون مفاهيم اهل السنة ولكن يركزون على اختلافات الفرق ويعلون من شأن تلك الفرق التي احتضنت الفلسفة اليونانية أو الفكر الوثني ، وهم مولعون بالمعتزلة لأنهم أخرجوا الاسلام من مفهومه الجامع الى مفهوم غربي عقلاني كما يركزون على مفاهيم التصوف الفلسفي ورجاله وخاصة دعاة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ويطرحون هذه المفاهيم مرة أخرى في أفق الفكر الاسلامي ايمانا منهم بأن ذلك يزلزل في قلوب المسلمين عقيدة التوحيد الخالص .

ولم يترك المستشرقون بابا من أبواب الفكر الاسلامي دون أن يثيروا فيه الشبهات ويقدموا فيه الأبحاث التي يجعلونها أساسا ومرجعا لأولئك الذين تقذف بهم الظروف للذهاب الى أوروبا والتلمذة عليهم ، ففي الشريعة والعقيدة والتاريخ وتفسير القرآن والسنة مؤلفات وأبحاث قائمة على الشبهات لها صورة العلم وضعها المستشرقون في مختلف المسائل الاسلامية تدرس في بعض الجامعات (هنا وهناك) على أنها صورة صحيحة لما جاء في الشريعة الاسلامية من أحكام وقواعد جاء بعضها محرفا وبعضها لا يتقيد بحكمة الشارع ، ويبالغ في تحريف مدلولاتها على نحو يتعذر معرفتهم أحكام الاسلام على وجهها الصحيح .

وتحفل المصنفات التي كتبها المستشرقون واتباعهم تحت اسم التاريخ بأخطاء في سرد وتحليل الأحداث أحيانا متعمدة وأخرى نتيجة الجهل وعدم الاستيعاب وذلك بالاضافة الى الصور المشوهة في الكتب التاريخية التي وضعها بعض كتاب اليهود في القرنين ١٨ و ١٩ في محاولة لاعطاء فكرة زائفة عن ان فلسطين كانت يهودية قبل الاسلام وتشويه الفتح الاسلامي واعطاء الصهيونية حقا مزعوما في العودة الى فلسطين .

كذلك فهناك المراجعات الفاسدة التي يقوم بها الاستشراق الصهيوني والماركسي والغربي للتراث والتاريخ الاسلامي ، فهناك ثلاث محاولات لتفسير التراث والتاريخ الاسلامي ، ماركسيا وليبراليا وصهيونيا ويقول الباحثون الذين اتصلوا بدوائر الاستشراق واستطاعوا النجاة من الاحتواء أمثال **مجاهد الصواف ومحمد مصطفى الأعظمي** الذي هاجم شاخت وقال ان أسلوبه بعيد عن العلمية **وضياء الدين البرلسي** الذي رفض الخضوع لمناهجهم في كتابة رسالته ، يقول هؤلاء الباحثون ان المستشرقين في الأغلب صهيونيون ومبشرون ورجال استخبارات ، وقليل منهم طلاب حقيقة ، وعندهم أن الاستشراق والحركات التبشيرية يهدفون من ورائها الى جر المسلمين الى نقاش للدفاع عن الاسلام فيضيع الوقت على المثقف المسلم في الدفاع مع ان الاسلام قائم وراسخ وهو عزيز قوي .

ويرى مجاهد الصواف ان الهجمة الفكرية للاستشراق في العصر الحديث امتداد للحروب الصهيونية ـ الصليبية وبمراجعة المؤتمرات في الاستشراق الأخيرة (المؤتمر الثلاثون ١٩٧٣) وقد مر قرن على أول مؤتمر للاستشراق ما زال يعالج الاسلام كما كان يعالج في زمن الحروب الصليبية وان باستطاعة المفكر المسلم ان يقول : ان غارة صهيونية صليبية جديدة بدأت على العالم الاسلامي ليست بالسلاح فقط وانما بالفكر كذلك . وآية ذلك انهم في مؤتمر ايران ١٩٨٠ ما زالوا يعالجون الأساطير المصرية والبابلية بالمقارنة الى الكتب المقدسة كالتوراة والانجيل والقرآن وكتب البوذية والهندوسية وهذا يؤكد مدى إصرارهم على بث سمومهم بالرغم من ان البحث العلمي في الغرب نفسه بالنسبة لليهودية والمسيحية والاسلام قد تجاوز هذه الدراسات الضالة ، وان رجلا من أمثال بوكاي قد كشف بالطريق العلمي فساد التوراة والانجيل واضطرابهما ، وكذلك كثير من الباحثين اللاهوتيين المتخصصين في مقارنات الأديان .

وما تزال مؤسسات التبشير والاستشراق تتلقف الشباب المسلم القادم من اليمن وباكستان والشام والمغرب لاحتوائه ، وتلك مسئولية البلاد الاسلامية التي يجب أن تحتضن أبناءها قبل ارسالهم الى الغرب .

ويواجه العالم الاسلامي اليوم نفوذا ماركسيا جديدا في بلاد اسلامية أساسا بالاضافة الى النفوذ الغربي (افغانستان وغيرها من بلاد المسلمين) ونفوذا تبشيريا جديدا في اندونيسيا ، فضلا عن نفوذ الثقافة الغربية الأوروبية والأمريكية في مختلف أجزاء العالم الاسلامي بالاضافة الى سموم الفكر التلمودي الصهيوني المبثوث في الجامعات تحت أسماء العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق .

ومن هنا فان الانفتاح أمام الثقافات الغربية واللغات الأوروبية أمر يجب أن يحاط بأكبر قدر من الحضانة من ناحية فهم العقيدة الاسلامية والايمان بالقيم والتراث وأصالة الذاتية الاسلامية ، وفي هذا يقول الدكتور عمر فروخ :

إن الانفتاح يجب أن يكون من موقع قوة باعتبار ان عندي العلم الأول ولكن حينما أرسل شخصا عمره ثمان عشرة سنة الى أوروبا أو الغرب بلا أساس ، فان أول ما يأخذ هناك ، يأخذ بمظاهر الأشياء ، لذلك أنا أفقد الفائدة من هذا الانفتاح بالعكس يعود الانفتاح بالضرر ، والدولة الضعيفة يجب أن تكون أحرص ما تكون على أبنائها .

التبشير يغير جلده

حاولت حركة التغريب والغزو الثقافي ان تخفت صوت التبشير الغربي (التنصير) والحديث عنه في كثير من أجزاء العالم الاسلامي بعد أن اختفت

المؤسسات الظاهرة التي كانت تقوم في القديم بتنصير الشباب عن طريق المستشفيات وبعض المعاهد والجامعات ، ولكن هذا الاخفات والتعتيم المتعمد لا يعني ان حركة التبشير قد تلاشت أو خفت صوتها وانما يوحي بحقيقة أشد خطورة وهي ان التبشير غير جلده واستعمل أسلحة جديدة كما فعل الاستشراق حين أعلن أن مهمته قد انتهت وان جماعاته أصبحت تدرس العلوم الاجتماعية ، وتلك ظاهرة واضحة في تاريخ تلك المؤسسات انها تغير جلدها وأساليبها بين آن وآن عندما تنكشف خططها ويتعرف الناس على مظاهرها ولكنها لا تيأس ولا تموت ، ولكنها تتخفى في أثواب جديدة وأساليب جديدة وابلغ المظاهر التي تتخفى فيها حركة التغريب بمؤسساتها التبشيرية والاستشراق اليوم ، هي العلوم الاجتماعية والثقافة والمسرح والفنون فهي عن طريق هذه القنوات تبث مفاهيمها على انها علوم جامعية ومناهج علمية لا يتطرق اليها الشك ، ومع الأسف فان جامعاتنا في مختلف أنحاء العالم الاسلامي تدرس الماركسية والوجودية والفرويدية ونظريات العلوم الاجتماعية على انها علوم ، ويتحدث عنها أسماء لامعة ممن يتسمون بأسمائنا .

ولقد كانت معاهد الارساليات محاذية تماما للمحافل الماسونية في حمل لواء هذه السموم وخاصة ما يتعلق منها بتدمير القيم الاخلاقية والاجتماعية وهدم الأسرة ، وقد تحولت الآن الى أندية مختلفة منها الليونز والروتاري وغيرهما .

وقد دخلت على المسلمين دعوات أمثال القاديانية والأحمدية والبهائية فخدعوا ببريقها وكلها تعمل في حقل التغريب والغزو الثقافي لازاحة مفهوم الاسلام الجامع المانع واحلال مفاهيم ضالة مضلة علمانية ووثنية .

ولقد كانت البلاد الاسلامية في سنوات الاحتلال العسكري والأجنبي تقاوم هذه الدعوات وهذه المؤامرات بقوة ، ولكنها في ظل المرحلة التالية وهي مرحلة الاستقلال والحرية فانها تنظر اليها في استهانة ولا تقدر خطرها الذي يستشري في أوقات الأمن الخادع .

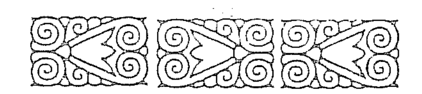
ويصدق الأستاذ طه خليل الحيالي حين يقول ان الاستشراق قد خضع للتبشير وان بعض المستشرقين باعوا ضمائرهم للشيطان التبشيري بما قاموا به من تزوير وتخريب للتاريخ والفكر الاسلامي وفي ابتداعهم الأساليب المبطنة بالعلمية والمنهجية تارة وبالواقعية والتجريبية تارة أخرى حتى أمست بابا واسعا يلج منه كل لص ودهقان ومخرب يريد أن يقضي على عقيدة الأمة .

وقد قدم الكاتب تقديرا لعدد الكتب التي وضعها الأوروبيون عن العالم الاسلامي والبلاد العربية بين ١٨٠٠ و ١٩٥٠ بما يناهز ٦٠ ألفا من الكتب يضاف اليها ما كان قد وضع قبل عام ١٨٠٠ وما وضع بعد عام ١٩٥٠ وهما في الحالتين يقدران بالألوف .

ولا ريب ان هذه الدراسات التي توضع بين أيدي شبابنا الذاهبين الى الغرب في البعثات العلمية لتكون بمثابة مصادر ومراجع لا يتخطونها في اعداد دراساتهم تحت اشراف أساتذتهم المستشرقين ظاهرا والمبشرين حقيقة ، أو تترجم الى

العربية تحتوي على أفكار مسمومة مصوغة صياغة دقيقة وفق مخططات مسبقة لكل دراسة « عن دراسة ادوارد سعيد تحت عنوان الاستشراق ـ بالانجليزية » والهدف هو تخريب قواعد الاسلام والأخلاق الاسلامية واشاعة الأفكار والعادات المنكرة بين أبناء البلاد بأساليب جهنمية تتسم بطابع الوحشية تارة والخسة والقذارة والتغرير والترغيب تارة أخرى .

وقد بدأت حركة التبشير والاستشراق من منطلق ضرب المسلمين عن طريق الكلمة بعد هزيمة الحروب الصليبية كما وجههم لويس التاسع ، والعمل على ترجمة القرآن والسنة وعلوم المسلمين للبحث عن الثغرات التي يدخلون منها الى اثارة الشبهات تحت اسم «لعل القلم ينجح فيما فشل فيه السيف » وقد أعلنوا في كتاباتهم صراحة أن الاسلام هو عدوهم الأول : وأن أكبر غاية لهم هو ضرب وهدم قواعده في الصميم » وقد بلغ عدد الآباء اليسوعيين حسب احصاءات مصادر رسمية في دولة الفاتيكان « ٤٠ ألفا » مبشر يعملون خارج العالم المسيحي ، ومن عجب ان تبلغ أساليب التبشير حدا بالغ الضعة حين يقوم الأب هوجان الأكبر بتصوير فتيات من افريقيا الوسطى «بانكي» المسلمات الفقيرات في أوضاع جنسية مخجلة ، وقد طردته السلطة الحاكمة والقصد هو اشاعة الاباحية ، وهذا عمل يتجاوز بكثير ما يظن أنه يقوم به رجال التبشير مهما بلغت محاولاتهم في التصور ، ومرجع هذا الى الحقد والتعصب الطائفي البغيض ولارضاء بعض ذوي الأهواء . كذلك فهم يعملون في بعض البلاد الافريقية على دفع الناس نحو الفاحشة والخمر والاباحية حتى ان بلدا مثل بانكي يمكن أن يكون بها (وهي مدينة صغيرة) أكثر من ألف حانة من حانات الخمر ، فهم يغمسون سكان هذه المناطق في الربا والمسكرات ، والجرائم والموبقات «الاسلام وافريقيا الوسطى : ابراهم النعمة» وتعطي هذه الوقائع دلالات جديدة على ان التبشير يعمل بأساليب مختلفة ، ففي كل منطقة من المناطق له أساليبه ووسائله ، وانهم كما يقول الأستاذ طه خليل الحيالي يعملون على الاستفادة من كل الثغرات التي يجدونها في العالم الاسلامي ، من تمزيق وحدة الأمة وخلق الروح الطائفية البغيضة ، التي تحرض ملة على ملة أخرى ، ولعل ما يجري في كمبوديا وبورما والتبت من تقتيل المسلمين وتهجيرهم بالقوة من أراضيهم . باتفاق جميع الفرقاء «عدا المسلمين» يعطي دلالات واضحة وأكيدة على ان المؤامرة عالمية بكل أبعادها وارتباطاتها للقضاء على الاسلام والمسلمين ، وأن حوادث التنصير الجماعية في اندونيسيا والفلبين بمئات الألوف لتثبت انها لا تحدث بالاقناع وانما تتم بالسيف والحرق والتجويع والتجهيل المتعمد واصطناع أسباب التخلف للبيئة والسكان في تلك البلاد .



محمد

يا رَسُولَ اللهِ إشراقُكَ
أنّى شِمْتُهُ* لاحْ ...

وَشَذى الجَنَّةِ مِنْ
رَوْضَتِكَ الزّهْراءِ فاحْ

وفؤادي يا رَسُولَ اللهِ
في ساحِكَ ساحْ
هائماً ... مُتّقِدَ الأشواقِ
خَفّاقَ الجَناحْ

زفراتي لاهباتُ
الوَهْجِ ، والقَلْبُ جِراحْ

يا رَسُولَ اللهِ ، هَلْ مِنْ
نَهْلَةٍ تُرْوي الطِّماحْ*

وتَفُكُّ الغُلَّ عَنْ عَزْمي
فأمضي في سَراحْ

للأستاذ /
عمر بهاء الدين
الأميري

فأنا أكدح في قيدي

→ والبيد شحاح

ولقد أثقلني في

غربتي العبء الرزّاح*

كلّما قلت: دنا،

باعدني قصدي وراح!

شمت* من دسّى*، ←

فيا ربّاه جد لي بالفلاح

وأحيني في ظمأ ←

الرّوح، ولو قطرة راح

من سلاف* الخلد، من

نور الهدى الثّرّ* القراح*

شمت : تطلعت ونظرت
الطماح : الفخر والتطلع الى السمو
الغل : القيد
الرزاح : العبء الرازح : الذي يثقل على الكاهل حمله

دسى : أفسد وأغوى
سلاف : السلاف : أجود الخمر
الثر : الغزير
القراح : الصافي الخالص

« تنويه : نعيد نشر القصيدة لوقوع أخطاء مطبعية فيها »



للأستاذة/ إنعام صادق عبد العظيم

هي أم المؤمنين أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم واسمها هند ، شبت في بيت رجل من أكرم كرماء العرب حتى لقب بزاد الركب لأنه كان إذا سافر لم يتزود معه أحد ولا يدع غريبا ولا مارا في طريق ولا محتاجا يجتاز به إلا أنزله وتكفل به حتى يظعن .

وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن جذيمة الكنانية من بني فراس الأمجاد ، وكان جدها جذيمة يلقب بجذل الطعان .

ولأن المخزوميات كن يوصفن برياحين العرب لفرط جمالهن فقد كانت أم سلمة ريحانة من رياحين بني مخزوم ، ويعزو الأستاذ العقاد في كتابه « عبقرية خالد »

جمال المخزوميات إلى قدم عهد بني مخزوم بالثراء ، ويقول إن قدم العهد بالثراء يورث جمال النساء .

تزوجت أحد بني عمومتها « أبا سلمة » واسمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت تكن له حبا شديدا ولا تفضل عليه أحدا من الصحابة ، حتى إنها عندما استرجعت بعد موته ودعت : « اللهم أجرني في مصيبتي ، وأخلف لي خيرا منها » قالت : « من أين لي خير من أبي سلمة » ؟!

وعندما اشتد إيذاء قريش للرسول صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة وقال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » ، كان أبو سلمة أول من فكر في الهجرة ألى الحبشة وقد أبت أم سلمة إلا أن تكون برفقته تقاسمه عناء التضحية في سبيل الدعوة ، واستقر بهم المقام في جوار النجاشي « ملك الحبشة » الذي أكرم مثواهم ورد كيد الوفد الذي أرسله مشركو قريش ؛ وحتى هداياهم أعادها إليهم ، وكانوا قد أرسلوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ليستعيدوا المسلمين المهاجرين إلى الحبشة ، ولكن عمرا وهو داهية من دواهي العرب استطاع أن يدس من أشاع بين المهاجرين أن قريشا قد أسلمت فرأى المهاجرون أن لا حاجة لهم إلى الاغتراب ما داموا سيجدون الأمن في بلدهم « مكة المكرمة » ، ولكنهم وبعد نزولهم من السفينة إلى أرض « السبيعة » مرفأ مكة بساعات قلائل لقوا ركبا عائدا من مكة أخبرهم أن جبابرة قريش قد اشتد إيذاؤهم للمسلمين وأن العداوة بين الفريقين قد ازدادت ضراوة ، فانقبضت القلوب التي كانت ترقص فرحا بين الصدور ، وكسا الوجوه المستبشرة شعور بالأسى ، ورأى بعضهم أن يعودوا أدراجهم ، ولكن حنينهم الجارف إلى الأهل والأحبة في مكة دفعهم إلى دخولها متسللين ليدخل بعضهم في جوار رجال من المشركين من أولى المنعة ، فدخل أبو سلمة في جوار خاله أبي طالب ، ودخل عثمان ابن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة .

وعندما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لهم :

« إن الله قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها » يقصد الأنصار في المدينة .

كان أبو سلمة أول من رحل بعيره وحمل عليه زوجه وفي حجرها ابنهما سلمة ، ولكن المشركين وقفوا لهم بالمرصاد لتحدث المأساة القاسية لهذه الأسرة الصابرة . ولتسطر هذه القصة مدى ما كان يتحمل الصحابة الأبرار في سبيل العقيدة من إيذاء وبلاء ، ولنترك أم سلمة نفسها لتروي وقائع هذه القصة :

قال ابن اسحق : حدثني أبي اسحق بن يسار عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة عن جدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت :

« لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة ، رحل بعيرا له ، فحملني وحمل معي ابني سلمة ، ثم خرج يقود بعيره ، فلما رآه بنو المغيرة قالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه ؛ علام نتركك تسير بها في البلاد ؟ قالت فنزعوا خطام

البعير من يده فأخذوني منه وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة فقالوا : لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا ، قالت فتجاذبوا ابني سلمة بينهم ، حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد وحبسني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة ، قالت : ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني ، قالت : فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكي حتى أمسى ، سنة أو قريبا منها ، حتى مر بي رجل من بني عمى أحد بني المغيرة ، فرأى ما رأى بي فرحمني ، فقال لبني المغيرة : ألا تخرجون هذه المسكينة ؟! فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ، قالت : فقالوا لي : إلحقي بزوجك إن شئت ، قالت : ورد بنو عبد الأسد إلي عند ذلك ابني ، قالت : فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة ، قالت : وما معي أحد من خلق الله ، قالت : فقلت : أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي ، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار فقال لي إلى أين يا بنت أبي أمية ؟ قالت : فقلت أريد زوجي بالمدينة ، قال : أو ما معك أحد ؟ قالت : فقلت : لا والله إلا الله وبني هذا ، قال : والله مالك من مترك ، فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوى بي ، فو الله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني ، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحط عنه ثم قيده في الشجرة ، ثم تنحى عني إلى الشجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله ، ثم استأخر عني وقال : اركبي ، فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقاده حتى ينزل بي ، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال : زوجك في هذه القرية – وكان أبو سلمة بها نازلا – فادخليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعا إلى مكة ، قال : فكانت تقول : والله ما أعلم أهل بيت في الاسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحبا قط أكرم من عثمان بن طلحة .

(من السيرة النبوية لابن هشام الجزء الثاني)

أرسل النبي صلى الله عليه وسلم مائة وخمسين من صحابته ليغزو بهم بني أسد وأمر عليهم أبا سلمة الذي أحاط بالعدو في عماية الصبح فأعمل فيهم قتلا وانهزم طليحة بن خويلد الأسدي ، وأجهد « أبا سلمة » النضال فنغر جرحه الذي أصيبه يوم أحد ؛ وكان قد برئ من السطح فعاد إلى المدينة ليسلم الروح بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فأسبل عينيه وكبر عليه تسع تكبيرات فقيل له :

– يا رسول الله ، أسهوت أم نسيت ؟ فقال :

– لم أسه ولم أنس ولو كبرت على أبي سلمة ألفا لكان أهلا لذلك .

ولم يكن امام أم سلمة إلا أن تسترجع وتقول ما سمعته من أبي سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها »

فعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت :

« أتاني أبو سلمة يوما من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا فسررت به ، قال : لا يصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول : اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها إلا فعل ذلك به . قالت أم سلمة : فحفظت ذلك منه ، فلما توفي أبو سلمة استرجعته وقلت : اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منه ، ثم رجعت إلى نفسي قلت : من أين خير من أبي سلمة ؟ فلما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أدبغ إهابا لي ، فغسلت يدي من القرظ وأذنت له ، فوضعت له وسادة من أدم حشوها ليف ، فقعد إليها فخطبني إلى نفسه ، فلما فرغ من مقالته قلت : يا رسول الله ، **ما بي ألا تكون بك الرغبة فيَّ**، ولكني امرأة فيَّ غيرة شديدة ، فأخاف أن ترى من ذلك شيئا يعذبني الله به ، وأنا امرأة قد دخلت في السن ، وأنا امرأة ذات عيال ، فقال : « أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عز وجل منك ، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك ، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي » قالت : فقد سلمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت أم سلمة : فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيرا منه ؛ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(رواه أحمد الجزء الرابع ص ٢٧)

دخلت أم سلمة دار النبي صلى الله عليه وسلم لتكون من أمهات المؤمنين ولتنهل من نبع الهدى ولتكون فيما بعد من أصحاب الفتيا وتروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة حديث وثمانية وسبعين حديثا .

وإنها لتستشعر الكثير من الرضا عندما يسأل النبي صلى الله عليه وسلم .

ـ ماذا فعلت الشعبة ؟

فيسكت صلى الله عليه وسلم فيعلم الناس أن مكانة السيدة عائشة قد نزلت عنده ، وكان قد قال قبل زواجه من أم سلمة :

ـ إن لعائشة مني شعبة ما نزلها أحد .

وعندما عرفت السيدة عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قد تزوج أم سلمة حزنت حزنا شديدا لما كانت تسمع عن جمالها فتلطفت حتى رأتها فرأت أضعاف ما وصفت به ، فذهبت إلى حفصة وكانت أواصر الصداقة قد وطدت بينهما وجعلت تتحدث عن أم سلمة وجمالها فقالت حفصة :

ـ ما هي كما يقال .

وجعلت تتحدث عن كبر سنها وكيف أثرت عليها الأحداث والمحن التي مرت بها ، فرأتها عائشة بعد ذلك كما قالت حفصة ولكنها كانت غيري .

وكانت لديها شجاعة قلما تتوافر في النساء فعندما أخبرت حفصة أباها عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه فدخل على

أم سلمة وكانت بينهما قرابة فسألها إن كانت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر من الأمور فقالت له : عجبا لك يا ابن الخطاب .. دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله وأزواجه .

هكذا كانت أم سلمة لا تريد أن يتدخل إنسان بينها وبين زوجها .. وهذا درس لكل النساء لكي لا يسمحن لأحد بالتدخل بين الزوج وزوجه حتى لا تتشعب المشاكل وتستعصي على الحلول .

وكانت ذات رأي صائب عندما أشارت على النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية أن يخرج ولا يكلم أحدا وينحر بدنته ويدعو حلاقه فيحلقه ، وكان الناس قد اثاقلوا عندما أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن ينحروا ويحلقوا ، وذلك أنهم كانوا يظنون أن الصلح ـ صلح الحديبية ـ الذي وقعه النبي صلى الله عليه وسلم مع قريش فيه غبن للمسلمين ، وعمل النبي صلى الله عليه وسلم بمشورة أم سلمة فجعل الناس يحلقون

دخلت أم سلمة على النبي صلى الله عليه وسلم داره وفي حجرها ابنتها زينب فكان يسأل عنها قائلا : أين زناب ؟

كان عندها يوما ودخلت فاطمة الزهراء مع ولديها الحسن والحسين فضمهما إليه ثم قال :

ـ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد .

فبكت أم سلمة ؛ فسألها : ما يبكيك ؟

فقالت : يا رسول الله خصصتهم وتركتني وابنتي .

فقال لها صلى الله عليه وسلم : « إنك وابنتك من أهل البيت »

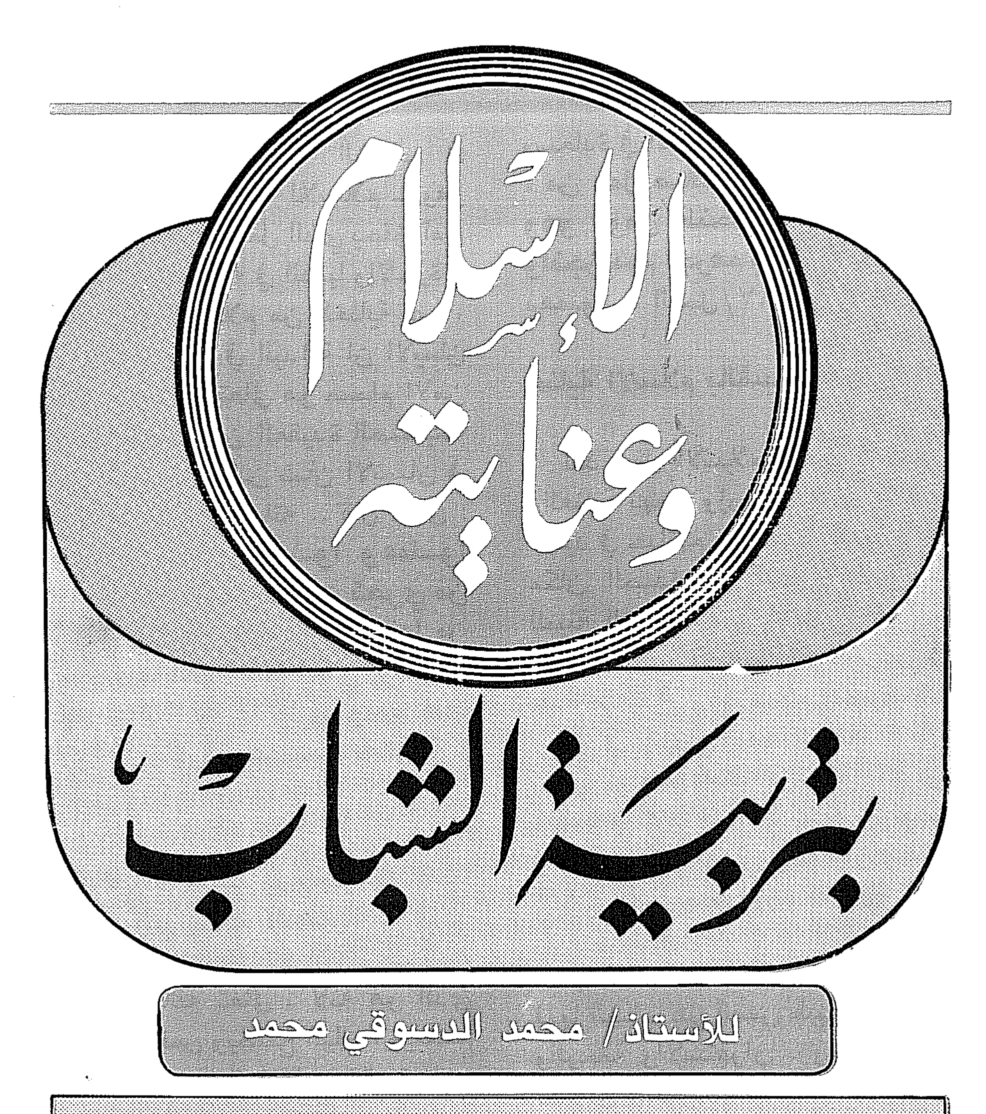
وقد شبت زينب في رعاية الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت من أفقه أهل زمانها ، يروي أنها دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل فنضح في وجهها فلم يزل ماء الشباب يترقرق في وجهها حتى كبرت وعجزت .

وبلغ من إعزازه « صلى الله عليه وسلم » لربيبه سلمة أن اختاره زوجا لابنة عمه أمامة بنت حمزة التي اختصم فيها علي وجعفر وزيد .

وكانت أم سلمة تتمثل بخديجة وتقتدى بها في نصر الله وتأييد رسوله ، كانت حصيفة رشيدة ذات رأي وأناة ، ولم تكن مثل عائشة في غيرتها ، ولم تفارقها حصافتها في أشد المحن والخطوب

وعاشت أم سلمة حتى شهدت حكم يزيد بن معاوية .. وما بخلت بالنصح على قادة المسلمين حتى تمكنوا من فتح الشام والعراق ومصر وغيرها .

وفي ذي القعدة سنة تسع وخمسين ، وفي خلافة يزيد بن معاوية أسلمت أم سلمة الروح إلى بارئها بعد حياة حافلة بالمعاناة والجهاد .



للأستاذ/ محمد الدسوقي محمد

○ الانحرافات التي تسود بعض المجتمعات سببها البعد عن الدين

○ للزوجة الصالحة أثرها الحميد في تنشئة الأجيال

الشباب في كل أمة عماد قوتها ، وأساس حضارتها ، وأملها الباسم ، وهم ذخيرة الوطن في الحاضر ، ورجال المستقبل الذين تنعقد عليهم الآمال لدفع عجلة التحضر الى الامام . وعليهم يقع عبء الحفاظ على تراث ومجد الآباء والأجداد .

من هذا المنطلق .. ونظرا للدور

العظيم الذي يقوم به الشباب في المجتمع كان لا بد للاسلام - وهو الدين الكامل الشامل الذي يحقق أمن الانسان وسعادته في الدنيا والآخرة - كان لا بد للاسلام من العناية بهم .

والذي نقره في البداية ان الايمان بالله سبحانه وتعالى هو صمام الأمن لدى الشباب وان العقيدة الصحيحة هي التي تصلح من شأن الانسان في مختلف مراحل حياته .. قال تعالى : « **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون** » البقرة/ ٢٥ .

ولسنا نجد علاجا شافيا للاضطرابات النفسية - عند الشباب - نقدمه للانسانية ، خيرا من الايمان بالله تعالى ، لأنه هو الذي يسكن النفس ويصلح البال ، ويعصم من التردي في الرذيلة .. قال تعالى : « **سيهديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها لهم** » محمد/ ٥ ، ٦ وقال تعالى : « **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم** » سورة المائدة/ ١٥ ، ١٦ .

فالايمان بالله سبحانه وتعالى راحة وسعادة في الدنيا وفوز بنعيم الآخرة : « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** » النحل/ ٩٧ .

عناية الاسلام بالشباب قبل المولد

لقد حفل الاسلام برعاية الشباب والعناية بهم ، وإرشادهم الى النافع المفيد في حياتهم ، والأخذ بأيديهم الى مكان الصدارة في المجتمع ، ومهد للبيئة التي ينشأون فيها ، وهيأ لهم الجو المناسب قبل مولدهم ليخرجوا في بيئة صالحة .. فالاسلام الحنيف قد رغب في الزواج ودعا اليه .. قال تعالى : « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » النحل/ ٢١ .

وهكذا تتكون الأسرة التي ينشأ فيها الشاب على أسس طيبة من المودة والرحمة والاستقرار .. وحرصا على تكوين النشء الصالح الناهض يرشدنا القرآن الكريم الى وجوب تخير المرأة الفاضلة عند الزواج .. يقول سبحانه وتعالى : « **وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم** » النور/ ٣٢ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة ان أمرها أطاعته ، وان نظر اليها سرته ، وان أقسم عليها أبرته ، وان غاب عنها

حفظته في نفسها وماله » رواه ابن ماجه .

وقد دعا الاسلام الى المعاشرة بالمعروف وجعل لكلا الزوجين حقوقا مرعية جلبا للاستقرار الأسري قال سبحانه وتعالى : « **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة** » البقرة/٢٢٨ .

والمرأة الصالحة لها أثرها الحميد في تنشئة الأبناء تنشئة طيبة ولها أثرها أيضا في استقرار الأسرة ، والعودة على الجميع بالسعادة الدنيوية ، والفوز برضوان الله تعالى في الآخرة .. وها هي ذي السيدة خديجة أم المؤمنين رضوان الله عليها قد هيأت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيتا هانئا قبل بعثته ، وأعانته على ان يخلو بغار حراء يتأمل الكون ، ويفكر في خلاص قومه مما هم فيه من ضلال وفساد .. فكانت لها مكانتها العظيمة عند ربها .. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها اناء فيه إدام أو طعام أو شراب فاذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب » (رواه البخاري ، فضائل أصحاب النبي) .

الرضاعة منحة كريمة من الله ودليل عناية بالغة

وكما عني الاسلام بالشباب قبل المولد عني بهم أيضا بعد مولدهم فأوصى الوالدين بأن يتخيرا للمولود من الأسماء أحسنها كما يتخيران له المرضع الطيب قال تعالى : « **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة** » البقرة/٢٣٣ .

ومن مظاهر عناية الاسلام بتربية الشباب انه جعل حضانتهم في سنهم الأولى للأم ما دامت أهلا لذلك ، لأنهم في هذه السن محتاجون الى الحنان والعطف ونوع من الرعاية لا يحسن القيام به غير الأم .. ولبن الأم يعد منحة كريمة من الله تعالى كما انه جاهز لا يحتاج الى تحضير ، كما انه نظيف وسهل الهضم ، ويحتوي على مضادات حيوية تحمي من العدوى .

والاسلام الحنيف يحث الآباء على العمل من أجل توفير لبن الأم للرضيع وذلك بتوفير المأكل والمشرب والملبس للأم قال تعالى : « **وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده** » البقرة/٢٣٣ .

وقد حرص الاسلام على تهيئة البيئة الصالحة في هذه المرحلة من العمر لما في ذلك من الأثر العظيم في تربية الشباب على العقيدة الصحيحة التي يلقنها الأب لولده .. ذلك لأن الذهن ينطبع فيه ما يلقن له في الصغر .. يقول الشاعر :

وينشــأ ناشيء الفتيـان منـا
علـى مـا كـان عـوده أبـوه

والطفل في سنه المبكرة مقلد لما يرى ويسمع ممن يخالطونه سواء في أسرته أو في خارجها .. ولا شك في انه يظل على ما تعلمه في طفولته حين شبابه ، لذلك وجب على الكبار ان يتخيروا المحـاسن ليغـرسـوهـا في نفـوس الصغار .. فالشباب الذين يعتادون على المحاسن والعبادات منذ صغرهم ويتسلحـون بـالعقيـدة الصحيحـة نجدهم يتعايشون مع الناس معايشة ايجـابيـة ليس فيهـا انفصـال أو انعزال .

العبادات تقوم شخصية الشباب

ان الله سبحانه وتعالى لم يكلف الناس ما يشق عليهم ، بل كلفهم ما يطيقون ، قال تعالى : « **لا يكلف الله نفسـا إلا وسعها** » البقـرة/٢٨٦ وأداء هذه التكاليف فيه فوائد للروح والجسم مع ما فيه من أجر فالصلاة مثلا صلة بين العبد وربه وهي تعويد للشباب على العمل الجماعي ، وضبط الوقت ، والنظام ، والنظافة والصوم تربية للضمير ، وتقويم للسلـوك .. ويعيش في مجتمع آمن مطمئن سماته التكافل والوئام والمودة .

ولعل هذا الدور العظيم للقدوة في حياة الانسان تبرز أهميته في قول عمرو بن عقبة لمؤدب ولده موصيا : « ليكن إصـلاحـك لبني اصـلاحا لنفسك ، فان عيونهم اليك متطلعة ، ونفوسـهم بطبائعك متشبعة فالحسن عندهم ما فعلت والقبيح عندهم ما تركت .. » .

النصيحة ضرورية لتهذيب سلوك الشباب

ان دور الآباء في تربية الأبناء عظيم .. فالأب مطالب برعاية ولده ، وتهذيب سلوكه .. فعلى الأب ان يعامل ولده بالرفق واللين في طفولته .. يقول يزيد بن معاوية : « أرسل ابي الى الأحنف بن قيس فلما وصل اليه قال له : يا أبا بحر ما تقول في الولد ؟ فقال : يا أمير المؤمنين **هم ثمـار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة ، وبهم تهون علينا كل جليلة فان طلبوا فأعطهم وان غضبـوا فـأرضـهم يمنحوك ودهم ويحبوك** .. » .

وقد أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم الآباء الى اهمية تعليم الأبنـاء الصلاة لسبـع سنين وان يضربوهم عليها لعشر ، والنصيحة ضرورية لتهـذيب سلوك الشبـاب وتوجيههم .. وها هو ذا رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول لابن عباس - رضي الله عنه - وهو شاب حديث يافع : « يا غلام احفظ الله يحفظك .. احفظ الله تجده تجاهك .. اذا سـألت فاسـأل اللـه .. واذا استعنت فـاستعن باللـه .. » رواه احمد ولا يفوتنا ان نذكر بعض وصية

لقمان الحكيم لولده فيما حكاه القرآن الكريم قال تعالى :

« يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم » .

وكما حرص الاسلام على تربية الشباب تربية روحية حرص كذلك على تربيته جسمانيا .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه الشباب الوجهة الطيبة فيأمره ببناء جسمه وتقويته « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز » رواه مسلم .

الدين يحمي المجتمعات من الانهيار

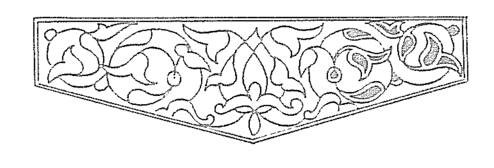
ان من يربي على المنهج الاسلامي لا بد وأن يكون صادقا في قوله .. أمينا في عمله .. يغض بصره عن عورات الناس .. يراقب ربه في كل عمل .. يأمن غيره ويأمنه غيره .

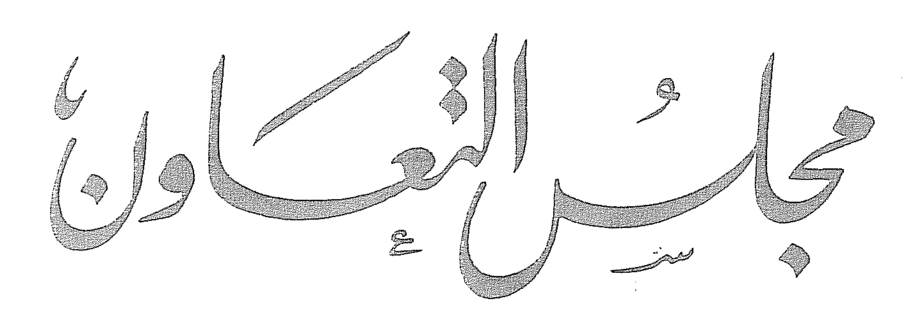
ولا شك في ان الشاب اذا تسلح بالايمان بالله فسوف تكون له المكانة بين قومه وذويه وأنداده .. وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤكد عنايته بالشباب إذ كان صلى الله عليه وسلم يوليهم ادارة الجيوش ويستشيرهم في المهم من أمور المسلمين فهذا أسامة بن زيد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولاية الجيش وله عشرون سنة وقيل تسع عشرة وفي الجيش كبار الصحابة أمثال أبي بكر وعمر بن الخطاب .

ان الانحرافات التي تسود بعض المجتمعات وتجعلها تتردى في مهاوي النزعات الفردية والأنانية القاتلة واشباع الغرائز كان سببها البعد عن الدين وغياب صوت الداعين الى الله ، والى الأخذ بيد الانسانية الى الفضيلة من أجل التعايش على أسس طيبة كما ان الدين سياج يحمي المجتمعات من الانهيار والضياع .

وهكذا فالشباب الذين ربوا على الفضيلة الاسلامية لا شك في انهم سيعيشون مجتمعا يسوده الاستقرار ، ويتحقق فيه الاستئناس بالغير والود والألفة وينشأ جو تزدهر فيه الصفات الحميدة فيكون الوفاء والاخلاص والاحترام ورعاية الحقوق قال صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

والذي لا شك فيه ان للمسجد دوره العظيم والقيادي في بناء الأخلاق ، وتهذيب السلوك لدى كافة أفراد المجتمع ، وحبذا لو تعاونت كافة الأجهزة المعنية بالشباب مع المسجد وخاصة وسائل الاعلام لما لها من أثر كبير في نفوس الأفراد .. ويومها سيفخر المجتمع بأطفال الأمس شباب اليوم ورجال المستقبل .



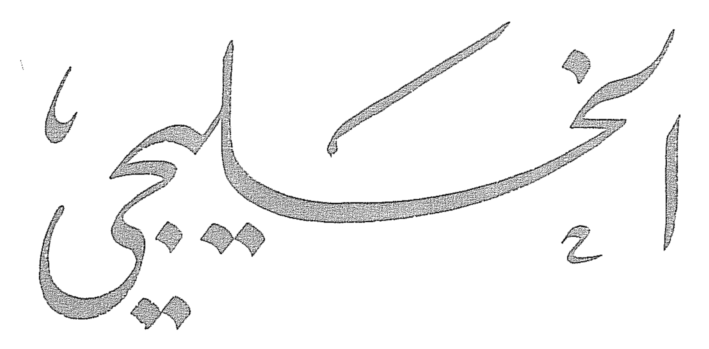


● تستعد الكويت لاستقبال زعماء وقادة دول مجلس التعاون الخليجي لعقد مؤتمرهم على أرض الكويت المضياف .

● والوعي الاسلامي ترحب بالزعماء والقادة داعية الله سبحانه أن يوفقهم لما فيه الخير والصلاح لدينهم ودنياهم .

● وإذا كان مؤتمرهم هذا يأتي ودنيا العرب والمسلمين حبلى بالأحداث والتطورات السريعة .. والخلافات التي تمزق الشمل ، وتفرق الجمع .. والصراعات الدامية ، والنزف اليومي في ساحة الحرب العراقية الايرانية ، فإنا نرجو الله أن يؤلف بين القلوب ، ويتحد الصف الاسلامي .. صونا لدماء المسلمين ، وحفظا لكرامتهم ، وتحقيقا لعزتهم ، وإعزازا لدينهم .. والله سبحانه يدعونا إلى الاعتصام بحبله فيقول جل شأنه « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** » .

○ هذا وإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد حذر المسلمين أن يرجعوا بعده كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض . ومن هنا فإنا نأمل أن يوفق الله قادة وزعماء دول الخليج العربي لرأب الصدع ، وجمع الشمل ، وتحقيق الأمن والأمان في منطقتنا .. وفي لبنان .. وفي أفغانستان وفي كل مكان فيه صراعات ومحن ، وحقوق ضائعة .. وأن يعملوا على إنصاف المظلوم ، ودفع الظلم عنه ، واسترداد الحقوق المغتصبة إلى أصحابها الشرعيين من أبناء فلسطين الحبيبة .



● إن مجلة الوعي الاسلامي وهي ترحب بالقادة والزعماء أجمل ترحيب لتتطلع إلى غد مشرق ، وأمل يتحقق ، يسعد الانسان العربي المسلم في منطقتنا ، ويعيد للمسلمين جميعا عزتهم ومجدهم . على امتداد التاريخ .

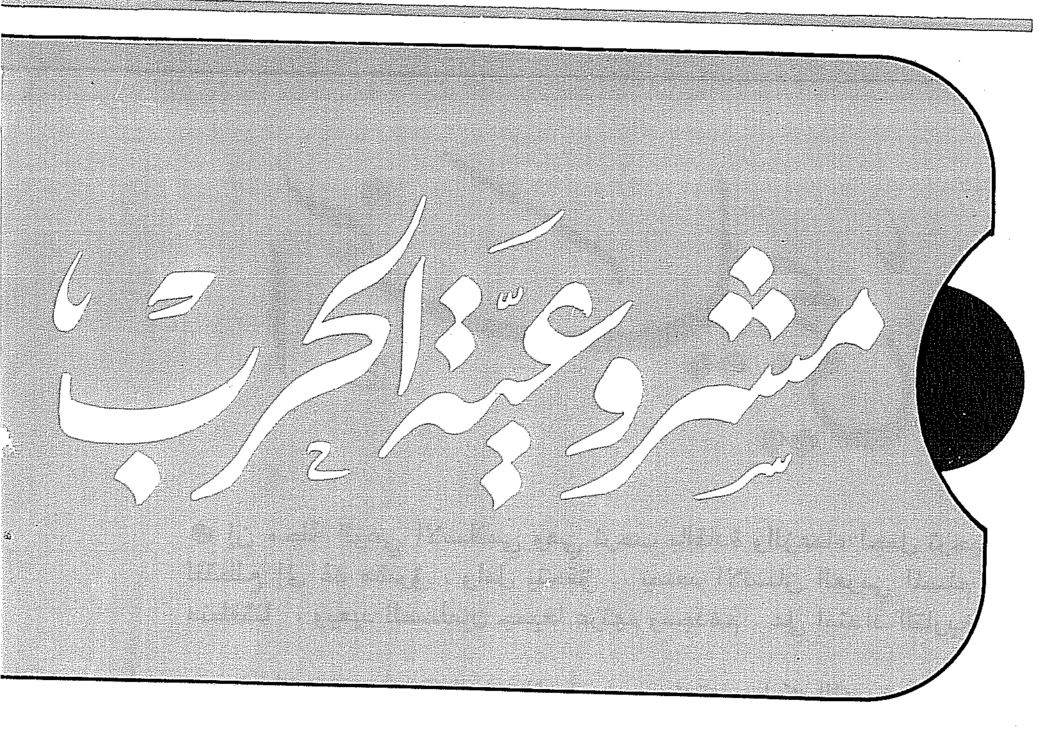
● وإن كل تجمع من أجل خير المسلمين وسعادتهم يباركه الله ، فيد الله مع الجماعة ، وإن التعاون على البر والتقوى أساس من أسس الاسلام الثابتة .. « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

● نريد من مجلسنا الموقر وزعمائنا وقادتنا أن تترجم مقر راتهم وتوصياتهم إلى واقع يتحقق معه اتحاد بين دول المجلس .. اتحاد في المناهج الدراسية ، واتحاد في تربية النشء تربية صالحة ، في ظل القرآن الكريم والسنة الشريفة .

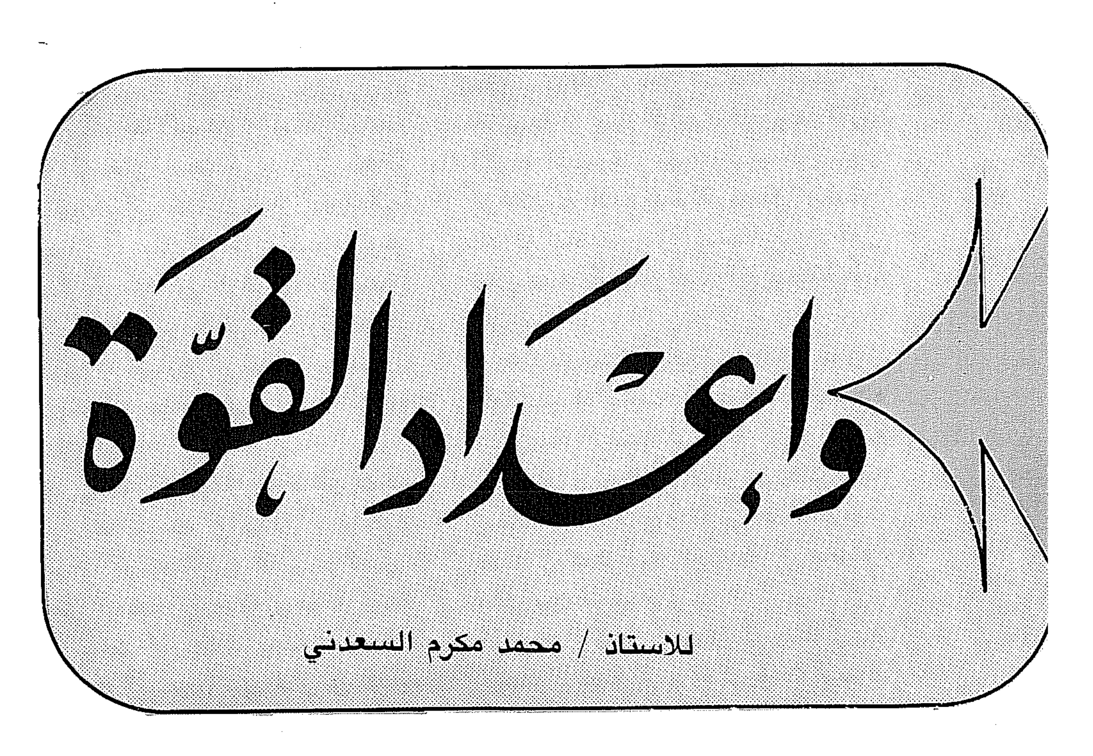
● نأمل أن نرى اتفاقا وعملا على نهضة الأمة في شتى مناحي الحياة ..نرى قضاء على أمية الرجل والمرأة .. فالقراءة مفتاح المعرفة ، هذا بالاضافة الى اتفاقيات في الأمن ، والدفاع ، واتفاقيات في الاقتصاد والسياسة ، واتفاقيات تمس كيان الأسرة المسلمة ، نأمل أن نرى المسيرة الخليجية وهي تجمع كل شباب المنطقة ، وتؤلف بينهم .

● وعندها تزول الحواجز .. ويتجمع العزم مكونا عزما واحدا ، تنطلق به قوة الاسلام والمسلمين من جديد والله الهادى والموفق .

فهمي عبد العليم الامام



ينعت البعض ، العصر الذي نعيش فيه ، ويصفه بعصر المتناقضات الفكرية والمتغيرات المادية . فحيثما ولينا وجوهنا ، طالعتنا نداءات عالمية تطالب بالحد من الأسلحة ، وتدعو إلى أمن الشعوب وحق تقرير المصير ، وحرية الانسان وكرامته .. وغيرها من النداءات ، التي إن دلت فإنما تدل على صحوة الضمير العالمي ويقظة الوعي عند الانسان تجاه ما يتهدد الحضارة المادية ، وأمن البشرية جمعاء . في المقابل يشهد الواقع المعاصر ، صراعا عالميا من أجل التفوق والسيادة الدولية من خلال التسابق المحموم نحو التسلح وبناء القوة ـ التسلح الذي أصبحت الدول المتقدمة علميا ، والقوية اقتصاديا تنفق عليه ببذخ وسخاء ، **وهو إتلاف للأموال دون مشروعية أو غاية مبررة** ، وكأن مثل هذه الدول تريد أن تثبت تفوقها وقوتها وخاصيتها الابداعية ، في مجال ما تقدمه لنا من جديد في كل يوم على صعيد البحث العلمي وكشوفاته وتطبيقاته ، التي تكشف عن نفسها فيما يستعمل ويستخدم الانسان المعاصر ، من أدوات ووسائل ، منها ما هو أكثر نفعا ويسرا ورخاء لحياته الدنيوية ، ومنها أيضا ما هو أشد فتكا ودمارا لحضارة الانسان . وأصبح الانسان المعاصر يخاف حضارته التي شيدها بعقله وعلمه لأنها باتت تهدده في وجوده وأمن نفسه ـ باتت تهدده وتقلقه ، نتيجة خطأ الانسان نفسه ، الذي



أقام حضارته على الجانب المادي وحده ، دون موازنة حقة ، بين أمن النفس وسلامتها ، وبين الظاهر المادي . فقد قدمت الحضارة المعاصرة للانسان الكثير من الماديات التي تفيض عن حاجته الضرورية والكمالية فوق استحقاق جسده ومتعته الدنيوية ، بيد أنها اسقطت من حساباتها الجانب العقائدي المعنوي الذي يضم في أطره القيم الروحية والأخلاقية والعلاقات المبنية على الوجدان ، وليست مبنية وقائمة على النفع المادي .. ومن جراء إغفال الانسان المعاصر ، صانع الحضارة العملاقة ، للجانب العقائدي المعنوي وتغليبه للجانب المادي ، بات يشعر بالقلق المخيف من شبح حرب عالمية نووية وشيكة الاندلاع .

بعد هذا التقديم الموجز ، للواقع المادي والنفسي للانسان المعاصر ، ينبغي أن نصل إلى عوامل ارتباط واشتراط وتقابل بين الجوانب الآتية :

- تماثل يتساوى فيه الانسان البدائي ، مع الانسان المدني ، صاحب الحضارة العملاقة . تماثل في النزوع الى القتال ، والاعداد للحرب .
- وهو النزوع المعبر عنه بغريزة القتال ، وهي غريزة فطرية في الانسان ، وإن غير الانسان أسلوبه وفنونه . فالانسان هو لانسان ، والشر هو الشر ، والخير هو الخير ، وقد عبر - وول ديورانت - في قصة الحضارة ، عن هذا التماثل قائلا :

« الانسان هو الانسان ، وإن تغير الأسلوب ، فالانسان البدائي ، هو نفس الانسان المعاصر .. وإن الغابة لم تتغير وإن سارت بين طرقـاتها السيـارات بـدلا من الـوحـوش الضـارية . فـإن ارتدى الانسـان المعـاصر أفخـر الثيـاب وتصـرف بأسلوب حضاري وسلوك متمدن . يظل إنسانا يخفي في داخله شريعة الغاب والنزوع الى القتال .

- الحرب ظاهرة اجتماعية ، ظهرت مع قيـام المجتمعات والـدول ، وتجلت البداية ، في مظاهر القوة والقهر ، ليفرض المنتصر إرادته وحكمه ، على من حـاقت به الهـزيمـة . ونـواة الاجتماع البشري على الأرض هبوط آدم عليه السلام إلى الارض .. وبداية الحرب كانت بين ولديه قابيل وهابيل ، عندما قتل قابيل هابيل . - مصداقا لقوله تعالى :« **واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقـين . لئن بسطت إلى يـدك لتقتلنـي ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلـك إنـي أخـاف اللـه رب العالمين** » . المائدة ٢٧ و ٢٨

خلص مما سبق ، وكما يؤكد المؤرخون وراصدو التاريخ الى أن أسلوب القوة والقهر ظاهرة من ظواهر المجتمـع الانساني . يقـول المفكر الانجليزي - ديفيد هيوم - : « ان المجتمع لا يتكون في وقت من الأوقات الا على اساس من القهر » ، ويقول جان جاك روسو - : « تولد الدولة بعد حروب دامية ، سواء كانت داخلية أو خارجية ، ولما كانت الحروب تترك آثارها المدمرة ، ففي وسعنا أن نقول إن الدولة الجديدة تقوم على أنقاض الدولة القديمة ، ولا نستطيع أن نقول بغير هذا لأن شواهد التاريخ تجعلنا نعترف » .

استشهادنا لرأيين من آراء مفكري العقـد الاجتمـاعي ، لـه أبعـاده اللزومية ، عند إسقاطه على الواقع المعاصر .. واقعنا نحن ، كمجتمـع إسلامي ، وكدولة تدين بالاسلام .. هذه الاسقاطـة نضعها في ضـوء مفهومين محددين .

المفهوم الاول : فطريـة القتال في النفس البشرية .. ومشروعية الحرب في المجتمعات كظاهرة اجتماعية .

المفهوم الثاني : لكـل أمة شـرع ومنهاج .. عند تأسيس الدولة ، وعند إباحة ومشروعية الحرب والقتال .

بهذا وذاك نكون قد وصلنا الى بغيتنا الحقيقية من وراء هذا المقال .. ونتساءل إن جازلنا التساؤل : على أى أسس عقـائـديـة ، قـامت دولـة الاسـلام ؟ والـدافـع الحقيقي ، لمشروعية الحرب وإباحـة القتال ، وإراقـة الدمـاء ؟ هل قـامت دولة الاسلام وأسست على القهر ، كما زعم - هيوم - هل ولدت دولة الاسلام وكانت الحروب الـدامية مخـاضهـا الأول ، سـواء كـانت داخليـة أم خارجية ، كمـا قال روسـو ؟ وهل مشروعية الحرب في الاسلام ، جاءت وفق الاعتقاد الخاطىء ، ان الاسراف في سفك الدماء ، وابادة الخصم من

المبادىء المذهبية التي يعتنقها البعض ، لاعتقادهم أن الارض لا تتسع لهم ولغيرهم ؟ هل الحرب في الاسلام ، جاءت وفق دوافع واسباب اقتصادية ، كالمعتقد الشائع ؟

للاجابة على مثل هذه التساؤلات والفرضيات ، علينا بالرجوع إلى المنابع الاولى لشريعة الاسلام لننهل من رياضها الحقيقة التي نتوق الى معرفتها . فكيف تأسست دولة الاسلام ، وما الدافع الجوهري وراء قيامها ؟ وإلى أي هدف شرع القتال في الاسلام ؟

يقول الحق تبارك وتعالى : « **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** » ... الحجرات ١٣

من هذه القاعدة الايمانية ، جاء الخطاب مفتوحا للبشر أجمعين ، ليحصل بينهم التعارف .. والتآلف والتآخي ، لان الاصل الذي تفرعت عليه البشرية جمعاء ، هو آدم عليه السلام ، لقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « كلكم لآدم وآدم من تراب » . والأصل الواحد ينتفي فيه التفاخر بالآباء والأجداد ، أو الاعتداد بالأحساب والأنساب ، التي أحل الاسلام محلها ، التقوى والايمان .

والذي تأسس على الاخاء والتقوى ، ينتفي عنه القهر ، ومن هنا نرى أن نظرة الاسلام للمجتمع الانساني ، هي نظرة كلها حفاظ على كرامة الانسان وحريته يتجليان من خلال تحقيق المساواة والعدالة ، وصلاح الاجتماع يأتي من خلال دفع الفساد ، على أسس من التعاون والمودة والمحبة والرحمة .. لقوله تعالى : « ...**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز** » .. (الحج ٤٠)

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ، ثم قرأ ابن عمر : « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض** » .

ويتجلى لنا أكثر فأكثر ، نفي القوة والقهر عند قيام مجتمع الاسلام ، في موقفه صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « ماذا ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

لكن هل ينفي قيام مجتمع الاسلام ، على قاعدة عريضة تضم الناس أجمعين ، على أسس من التعارف والتآخي ، وفق القيم السامية ، من الحرية ، والمساواة ، والعدل **لتكون تقوى الله سبحانه وتعالى هي المقياس والمعيار في الدارين** . هل ينفي كل ذلك دعوة الاسلام للجهاد وللحرب والاعداد لها ؟

تتراءى لنا هذه الدعوة في ضوء دعائم الحكم الاسلامي ، التي تقوم عليها دولة الاسلام وهي :

- رئاسة الدولة وتأتي من الارادة الحرة للقاعدة التي تبايع الأمير أو الحاكم ، لقوله تعالى : « **وأمرهم شورى بينهم** » (الشورى/ ٣٨ . وهذه المبايعة توجب الطاعة . « **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** » (النساء/ ٥٩ وهي نوع من التنازل عن الحريات غير المحدودة لصالح الجماعة ذاتها ولدرء المفاسد عنها .

قام مجتمع الاسلام وتأسس ، على وضع تقوى الله ، موضع العصبيات والقبلية . نجد اتساقا بين القاعدة وما رفع عليها من عمد .. فالجهاز الحكومي المساعد للأمير ، يقوم على مبدأ الكفاءة من غير نظر الى اعتبار آخر . « من استعمل رجلا من عصابة (جماعة) وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » . - رواه الحاكم .

وعند هذا القدر من الحديث ، ينبغي أن نقف وقفة متمهلة متبصرة فيما سبق القول فيه ، حتى نظل في اتساق موضوعي مع بحثنا . ففي مقدمة الحديث اشرنا الى فطرية القتال في النفس البشرية ، كما كشف لنا سجل التاريخ ، عن التلازم بين قيام المجتمعات وتأسيس الدول ، وبين الحرب كظاهرة اجتماعية ، وقد نفينا بالدليل القاطع قيام دولة الاسلام على القهر أو العنف أو الرهبة . فما هو سر دخول الابيض والاسود .. والعجمي والرومي ، والهندي والأوروبي وانطوائهم جميعا تحت راية الاسلام ؟ ما هو الدافع وراء قيام دولة الاسلام ؟ الدافع الحقيقي .. هو العقيدة ، وما اشتملت عليه هذه العقيدة السمحة من قيم ومثاليات وواقعية مادية ، تتوافق مع فطرة الانسان . وقد سبق أن قلنا إن الانسان هو الانسان لتظل الفطرة ماثلة فيه برغم تغير الزمان والمكان . وهذا في حد ذاته سر نماء شريعة الاسلام في كل عصر ، ليجد فيها الانسان ما يلائم طبيعته ويتوافق مع عصره . وما دامت النفس واحدة ، وما دام الخير والشر طريقين يسيران جنبا الى جنب في الحياة الدنيا ، والنفس بينهما متجاذبة ، فكان لزاما ان تشتمل دولة الاسلام على جيش قوى يرهب الاعداء ويصدهم عن العدوان .. ويحمي النفس ويصون المال والعرض .. وهذا وذاك يتمثل في قوله تعالى : « **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** » . (البقرة ١٩٤) ويروي لنا يعلي بن أمية قال : « كان لي أجير فقاتل انسانا فعض أحدهما إصبع صاحبه ، فانتزع اصبعه فأندر ثنيتيه فسقطت ، فانطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاهدر ثنيتيه وقال : « أفيدع اصبعه في فيك تقضمها » رواه البخاري . - وما رواه عبدالله بن عمرو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أريد ماله بغير

حق فقاتل فقتل فهو شهيد » . وما رواه أبو هريرة عن رسول الله قال : « لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح » . وهذه فطرة طبيعية في دفاع الانسان وحمايته لنفسه وحقه في حماية ماله أو مال غيره من كل اعتداء . وهنا اشتمل الشرع واباح الدفاع بالقوة اللازمة عن النفس وعن الغير . - « **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين** » . (البقرة ١٩٤) . لتظل التقوى هي القاعدة والمبدأ الاساسي .

والى جانب الدفاع الشرعي الخاص ، الذي اصطلح الفقهاء على تسميته ، بدفع الصائل ، وعلى تسمية المعتدى صائلا والمعتدى عليه مصولا عليه . - نجد مشروعية القتال واضحة بينة في قوله تعالى : « **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهو شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** » . (البقرة ٢١٦) .

وقوله تعالى : (**فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما**) . (النساء/ ١٧٤)

وقوله تعالى : (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**) . (البقرة/ ١٩٠)

ومن هذه الاطلالة ، على رياض النبع الأول للشريعة الاسلامية ، نرى أن الدفاع الشرعي الخاص ، الذي اصطلح الفقهاء على تسميته ، بدفع الصائل ، هو دفاع ضد . معتد ، يقام في صور الاعتداء المختلفة سواء على النفس أم الغير . - لكن هل مشروعية الحرب وفريضة الجهاد في الاسلام التي تجود فيها الأرواح وتبذل الأموال رخيصة ابتغاء رضوان الله وفي سبيله .. هل هي عملية دفاع عن دولة الاسلام عندما تهاجم ؟ أو أنه الى جانب الدفاع ، توجد غاية أسمى ، من مجرد الحفاظ والذود عن حدود دولة الاسلام ؟ وما هذه الغاية ؟

يقول الحق تبارك وتعالى : « **يأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين . يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين و إن يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون** » . (الأنفال/ ٦٤ و ٦٥)

ويقول تعالى :« **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم و آخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون** » (الأنفال ٦٠)

يفيدنا القول الالهي الكريم ، بأننا أتباع الرسول الامين صلى الله عليه وسلم مطالبون بإعداد القوة ، وبالتحريض على القتال . كيف ولماذا ؟ نحرض على القتال ونعد للقوة

من أجل الجهاد . هنا وهنا فقط ، قد نصيب قلب موضوعنا الذي نحن بصدد طرحه في هذا المقال . ونقول : إن مشروعية الحرب ، لا تقف فقط عند حد الدفاع والاعداد له بوسائل القوة اللازمة . فإن صح ذلك ، كما قال صاحب الظلال : « فكأن الاسلام محجور في حدوده ، وليس له دعوة تطالب الآخرين باعتناقه ، ولا الخضوع لمنهج الله » . - وحين نتأمل قوله تعالى : « **فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة** .. » . وقوله تعالى : « **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** » . - عندما نتأمل قوله الكريم سوف ندرك عن يقين ، أن الحرب المشروعة غايتها الأولى .. إعلاء كلمة الله .. وإعلاء كلمة الله بين قوم لا يؤمنون بالله ، قد لا تتأتى إلا بالجهاد في سبيل الله . وحين تأتي المشروعية الحربية من منطلق العقيدة والايمان بالجهاد في سبيل الله .. ستتمخض الحرب المقدسة ، لا عن ويلات ودمار ، وانما ستثمر عن إعلاء كلمة الله ، وما يلزمها من إقامة العدل والحكم بالقسط ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، نور الهداية عند إشعاع الاسلام ، كشريعة ومنهج للعالمين ، شريعة تعمر بها الأرض ومنهج يستقيم معه الاجتماع وتبرىء النفوس من التيه والضلال - فطبيعة الدعوة الاسلامية .. إسلام العباد لرب العباد ، واخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، وإفراده سبحانه بالألوهية ، اعتقادا في الضمير ، وعبادة في الشعائر ، وشريعة في واقع الحياة .

من هنا يجب أن نتفق معا ، على أن الدافع لقيام مجتمع الاسلام وتأسيس دولته ، دافع عقائدى .. والعقيدة تتعلق بالفطرة ، ومتى استقامت الفطرة استجابت للايمان وذعنت للنداء العلوى . وقد استجاب لدعوة الاسلام ، من مختلف الالوان والألسنة .. وكانت استجابة حرة خارجة عن نطاق الاكراه - **لا إكراه في الدين** » . - ومن هذه الحرية العقائدية تكون مجتمع الاسلام وأقام دعائمه على المساواة بين الأجناس ومن هذا الجمع الذي التقى والتف حول عقيدة الألوهية وسماحة الاسلام .. أخذ الجهاد طريقه في سبيل الله ، فكان النصر المبين وكان الفتح العظيم ، الذي بلغ المشرق والمغرب ، وكانت حضارة الاسلام وعهد ازدهاره ، وإشعاعه لانارة العقول من الوهم ومن الخرافة ومن الضلال والجهل الذي ران دهورا على العقول . - دافع العقيدة هو الذي جمع ووحد بين الاسود والابيض .. وضع غاية لمشروعية القتال .

الاسلام .. أو الجزية . وهنا لنا وقفة عند الجزية ، لأن ديننا الحنيف لا يكره الناس ولا يرغم بحد السيف على الاسلام .. وإنما يترك أمامهم خيارين : إما الاسلام أو الجزية .. وإما القتال . وقد انطلقت دعوة الاسلام ، تقدم السلام وتعرض الاسلام أو الجزية ، وعند حالة

الرفض يكون القتال . وهذا في ذاته يسمو عن الوصف والتقدير ، لقوله تعالى :« .. **ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** »

نقف بعد هذا الطواف .. لنقول : الجهاد فريضة ، والاعداد للقتال شريعة ملزمة لواقع الحياة وهذا الجهاد والاعداد ، مقترن بجانب الانفاق وما يتوفر لدى الدولة من إمكانيات مادية وموارد بشرية . - فهل يا ترى .. حقا ، القوة اللازمة للحرب ، تكمن فيما يملك المجتمع من موارد بشرية وأعداد غفيرة من الرجال ؟ هل يا ترى القوة اللازمة للحماية والصون ، ولاعلاء كلمة الله ، ترتبط بمبدأ الأعداد الغفيرة من الرجال والثروات المكدسة اللازمة للانفاق ؟

لقد بدأنا حديثنا هذا ، وفق معيار العصر الذي نعيشه .. وواقع التاريخ الحديث يكشف أمامنا عن مجتمعات كبيرة ، تملك الثروات ، كما تعاني من تضخم وانفجار في عدد السكان ، لكنها مغلوبة على أمرها ، حتى في حماية حدودها واسترداد ما اغتصب منها بالقوة . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعي الأكلة إلى قصعتها . قالوا أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : لا بل أنتم كثرة ولكنكم غثاء كغثاء السيل » .

اذن هنا وعلى أرض الواقع المعاصر لمجتمعاتنا ، مفهوم خاطىء في معنى القوة ، وفق طبيعة العصر وما يسوده من فنون ووسائل للتهديد وللدمار ولفرض السيطرة على المغلوب .. فالقوة لا تكمن في الاعداد الغفيرة في الرجال ، بقدر ما تتطلب من هؤلاء الرجال .. أن يؤمنوا ويعتقدوا بفريضة الجهاد في سبيل الله .. وهذا الجانب الايماني المعنوي ، تولى له الدول القوية اهتماما عظيما نشهده في اصطلاح - الركن المعنوي للجيش - وحين ترسخ في النفوس عقيدة الجهاد في سبيل الله يكون الانصياع والطاعة ، لما شرعه الاسلام ، بالحث على العلم وفضله . وهو مكمن القوة الحقيقية في هذا العصر . فعندما يتسلح الرجال بالايمان والعلم ستكون النصرة لله ، ولو كان العدد قليلا ..

« **يأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين . يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون** »

هذه القاعدة الايمانية ، كانت ميزان الكم في القوة .. هذه القاعدة نفسها سار على هديها أجدادنا الاولون ، وواجهوا بها أمما ذات حضارة وعدة وسلاح وأعداد غفيرة .... لم تكسبهم سوى الهزيمة أمام قلة مؤمنة برسالة علوية تتلخص في كلمتين .. **إعلاء كلمة الله ، أو الاستشهاد في سبيله** .

ولتكن لنا من التاريخ عبرة ، ومن سير السلف الصالح عظة .. لنؤدى الأمانة ونحمل الرسالة في هذا العصر ، المبني على ميزان القوة .



للدكتور حسن الشرقاوي

ليس هناك أفضل للانسان من التمسك بعقيدة الله ، والعمل بشريعته ، والاخلاص له تعالى ظاهرا وباطنا .

ومهما أعمل الانسان عقله ، وألهب خياله ، وألف من عنده تآليف تبدو للناظر معجزات أو خرق عادات ، بحسب المستجيب لها أنها من العجب العجاب ... فانه يبقى على الموحد بالله الا ينجذب اليها الا بقدر مواكبتها لامر الله ، وموافقتها لارادته تعالى .

ومن الدعاوى الحديثة القديمة ، التي تستهدف اظهار قدرات الانسان ، والمبالغة في تقديس بعض الأفراد الذين يظهر على ايديهم بعض الخوارق اليوجية .

واليوجيون يزعمون لانفسهم أفعالا وأعمالا وأقوالا لا يستطيع من هو دونهم التقدم فيها خطوة واحدة ، او أن يحاكيهم في ابراز بعض منها ، لذلك فانهم يظنون أن مايتوصل اليه احد اليوجيين من قدرة على خرق العادة انما هو دليل على التقدم الروحي ومن ثم الاتحاد بالله ..

ويخترع اليوجيون قصصا وروايات يؤيدون بها دعاواهم ، ويستظهرون بها القوى الخفية التي تحصلوا عليها ، ويفيضون في الحديث عنها ، ويحيطون انفسهم بهالة من التقديس المصطنع . فيلتف حولهم البسطاء من الناس بأمل أن يمنحوهم بركتهم ويوصلوهم الى السعادة المرتقبة ...

ويتناقل العامة الكثير من القصص والروايات التي حدثت وكان أبطالها من معلمي اليوجية ، ويستخلص القارىء منها ان الهدف الاساسي هو إبراز عظمة اليوجي لا عظمة الله ...

والغريب أن معظم هذه القصص والروايات المتناقلة ، يعوزها الحكمة ، وتفتقر الى الموعظة الحسنة ، وتبدو احيانا عملا غير اخلاقي ، من ذلك ماورد عن احد اليوجيين انه استطاع ان يعين تلميذه وكان طالبا في احدى الجامعات الهندية ، على النجاح في امتحان « البكالوريوس » دون ان يكون التلميذ مستعدا للامتحان ، فقد كان دائم التغيب عن حضور المحاضرات الدراسية ، منهمكا فيما يشغله عنها ، ومع ذلك فقد نجح بدون بذل ادنى جهد ، مما كان موضع اندهاش اساتذته وزملائه الذين كانوا يجزمون قبل انعقاد الامتحان التحريري بأن ذلك الطالب من الراسبين ...

والهدف من هذه القصة إبراز قدرات المعلم اليوجي على تسخير مايريد تسخيره لمصلحته ، واظهار خرق العادات على يديه ... ولاشك ان ذلك السلوك يعد عملا غير اخلاقي ، وأنه يتنافى مع الفطرة السليمة والقلب السليم والعقل الرشيد .

أليس يدعو هذا العمل الى الغش والتدليس ؟ ولو كان باستخدام طرق غير منظورة ، وكيف يتكافأ الطالب الفاشل مع الطالب المجد في درجات الامتحان ، ثم كيف يعطى الطالب الفاشل شهادة جامعية بموجبها يعمل طبيبا او كيميائيا أو مهندسا دون ان يكون قد حصل بكفاءة على تلك العلوم التي تؤهله الى الانخراط في سلك الاطباء او الكيميائيين او المهندسين .

وتروى كتب اليوجية الكثير من هذه القصص اللااخلاقية لتثبت عظمة اليوجي وقواه الروحية والبدنية فحسب ، من ذلك ان احد اليوجيين الكبار قد قربت منيته ، فأخبر تلامذته بذلك وحدد لهم ميعاد انتقاله فتوسلوا اليه والدموع تذرف من أعينهم ان يمد في اجله ، فهم في حاجة ماسة الى تعاليمه ، وبعد الحاح شديد قبل اليوجي المعلم ان يمد في عمره بقواه الروحية وعاش بعد ذلك دهرا طويلا ...

وواضح من هذه القصة التكلف والابتداع ، فضلا عن عدم مواكبتها لعقيدة التوحيد ، التي تنص على أن

الذي بيده امر الموت والحياة هو الله وحده ، فكيف تستقيم دعاوى اليوجيين ، وهي بعيدة كل البعد عن الامر الالهي ؟

والعجيب ان اليوجى يذكر لتلامذته تطور حياته السابقة ، فيزعم أنه كان كذا أو كذا قبل أن يكون في صورته الحالية ، فهو يتنقل من جسد الى جسد أو كما يزعم اليوجيون من هيكل الى هيكل في كل حياة ، بل يدعي اليوجيون أنهم بعد الموت سينتقلون في صورة كذا أو كذا ...

والعجيب أن تلامذتهم يصدقون أقوالهم ويبحثون عنهم بعد وفاتهم ، وتذكر كتبهم أن اليوجى القديم الذي عاش في القرن العاشر انتقل الى هيكل آخر بعد وفاته واشتهر باسم كذا ، ثم انتقل بعد ذلك باسم كذا ... وهذا مايسمى بتناسخ الارواح ...

ان عقيدة اليوجية تشتمل على التحريف الواضح ، والبعد عن الحق والرشاد ، اذ لايمكن أن يقبلها عقل رشيد ، ونفس مستقيمة تعرف الله حق معرفته ...

ويحاول بعض اليوجيين الزعم بأن المعلم اليوجي يستطيع أن يشفي المريض ولو كان على وشك الموت ... وتذكر قصصهم أن أحد مريدي اليوجية أصيب بمرض الكوليرا الخطير ، فحضر الاطباء واعلنوا أن المريض ميئوس من شفائه وانه على وشك الموت ، فاستدعى احدهم المعلم اليوجي ونظر اليه وقال : ستشفى تماما ...

ولم تمض سويعات حتى قام المريض معا فى تماما ، وكأنه لم يصب بشيء وقام مع زملائه برحلة طويلة عبر جبال الهيملايا كان قد اعد لها من قبل .

ومن هذه القصة يتضح التصنع في ذكر الوقائع ، بالاضافة الى الادعاء بأن المعلم اليوجي قادر على شفاء من يشاء في أي وقت يشاء ، وهذا تبجح معناه مشاركة الله في ربوبيته ، ومنازعته تعالى في ملكه ، ومشاركته تعالى في قدرته في أن يحيى من يشاء ويميت من يشاء ..

إن انتساب قدرات خاصة الى المعلم اليوجي إنما هو نوع من المخادعات ، تدل على موافقة إبليس وجنوده ، ومتابعة الاهواء .. إذ انها ادعاء سافر لمشاركة الله تعالى في ربوبيته ..

ويظل هناك السؤال الذي لا يستطيع أن يعطينا اليوجي جوابا عليه ، وهو ما الحكمة في إظهار اليوجي لخرق العادة ، وابراز قدراته ؟

ونحن نوقن أن اليوجي المعلم لا يستظهر ما يستظهره من المخادعات ، إلا ليقال عنه إنه عظيم أو قديس ، فهناك من الناس من يكد طول حياته ليجمع المال لا لشيء الا ليقال إنه ثري ، فيشعر بلذة نفسية ، وكذلك الذي يسعى لتعلم وممارسة بعض الأعمال الخارقة للعادة فانه يأمل من اظهار هذا الخوارق على يديه ، مدح الناس له والثناء عليه ، وهذا ما يشعره بلذات نفسية تزيد كثيرا عن

لذة جمع المال وتحقيق الشهوات العاجلة ..

ان شهوة الظفر التي يستشعرها المعلم اليوجي ، توصله الى تحقيق مآربه في تقديس الناس له ، ووضعه في منزلة عالية تفوق منزلة الحكام والرؤساء ، وهذا في تصورنا الهدف الرئيسي الذي يجعل المعلم اليوجي يجهد نفسه في عمل بعض التمرينات والممارسات الصعبة التي تحتاج الى مكايدة ومعاناة ، وذلك من أجل الوصول الى مرتبة او مقام عال لم يصل غيره اليه الا النذر القليل ..

لكن اذا نظرنا الى اليوجية من خلال النظرة الاسلامية ، وجدنا بعدها عن الحق والاستقامة والعدل ، حيث أن اليوجي يعمل لارضاء نفسه لا لارضاء الله ، ثم انه يسعى لتحقيق ذاته لا لابراز نعم الله على الانسان ... وكل فعل يقوم به اليوجي لا يعول عليه ، ولا قيمة له ، ما دام بعيدا عن امر الله وحكمته البالغة وحججه الدامغة .

لقد خلق الله الانسان ليعبده وليعمل على تحقيق كلمته تعالى في الأرض ، فاذا جاء اليوجيون او غيرهم ليستظهروا قواهم الذاتية ، ويصنعوا بعض المخادعات في شكل خوارق للعادات ، فإن فعلهم هذا مما يغضب الله ويزيد نقمته تعالى عليهم ، .

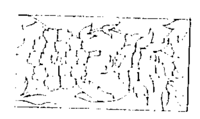
ولا شك ان ممارساتهم كممارسات السحرة والمشعوذين التي يقصد منها منافع شخصية ، ومصالح ذاتية ، ومطالب دنيوية ، وهذا يجعلهم من حزب الشيطان وليس من حزب الله ..

فاذا ادعى اليوجيون الاتيان بالمعجزات والكرامات تشبها بالأنبياء والأولياء ، فان زعمهم هذا بعيد عن الصدق والحق ، اذ أن الانبياء قد اصطفاهم الله واجتباهم وأوحى اليهم ، ليبشروا الناس والعباد وينذروهم لكي يعبدوا الله حق عبادته ، ولم يدع نبي من الأنبياء أن ما يأتي الله على يديه من معجزات راجع الى علم عنده أو انه مخلوق من غير طينة الانسان ..

لكن المعلمين اليوجيين يدعون انهم مخلوقات أرقى من البشر ، وانهم في اتحاد دائم مع الله ، وانهم لا يموتون ، انما تتغير هياكلهم بعد فترة من الزمان ، ليتلبسوا في هياكل غيرها وانهم يعيشون في الوان من الحياة متعددة

أليس ذلك يعد غرورا واغترارا وبعدا عن دين التوحيد ، ومشاركة لله في ملكه ، وتطاولا على بديع خلقه ، وادعاء كاذبا بقدرات انسانية مستثناه ؟

إن أقوال اليوجيين وافعالهم لا نصيب لها من الصحة ، وان صدفت بعض اقوالهم تحقيقا ، فذلك قد تم بأمر الله وبمشيئته تعالى ولم يتم بإذن من المعلمين اليوجيين . كما يزعمون .



تحذير

خبر تداولته الصحافة الاسلامية نقلا عن مجلة « البشير » السودانية .. والخبر خطير نظرا للاحصائيات والأرقام الواردة فيه .. فالعدو يخطط ويضع البرامج .. وينفذ .. ووسائله للتنفيذ لا حصر لها .. وهيئات ومؤسسات صليبية حاقدة على الاسلام والمسلمين .. ومن ورائها دول وحكومات .. فماذا نحن فاعلون ؟ في الاسلام قوة ذاتية .. وفي المسلمين قادرون على الانفاق في سبيل الله .. وفيهم العلماء والدعاة .. ولنا حكومات إسلامية .. وتواجدنا في إفريقيا منذ بزغ فجر الاسلام .. فماذا يمنع أن نواجه الخطر ؟ لابد من العمل .. و إلا كانت العاقبة على غير ما نأمل .. فليحذر المسلمون .. وليقم كل واحد منا بواجبه .. ولأن يهدى الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها .

ـ والخبر نشرته مجلة « البشير » السودانية ، ونقلته صحيفة « المدينة المنورة » وقالت عنه مجلة « الأمة » تحت عنوان : الزحف التنصيري .

● إن الكنائس النصرانية لا تتفق على شيء مثل اتفاقها على ضرورة مواصلة وتكثيف العمل التنصيري في القارة الافريقية .. وتقتضي استراتيجية الكنيسة بأن يكون عام (٢٠٠٠ م) هو الوقت الذي تتحول فيه القارة الافريقية إلى أغلبية نصرانية

أما صحيفة « المدينة المنورة » فقالت تحت عنوان : ازدياد عدد النصارى في إفريقيا : ـ

ذكرت مجلة (البشير) السودانية في عددها الأخير أن النشاط التنصيري قد ازداد في الآونة الأخيرة ، وان الاحصاءات الكنسية تشير الى أن حوالي ستة ملايين افريقي يتنصرون سنويا ، بمعدل (١٦٤٠٠) نسمة يوميا . وجاء في المجلة ان عدد النصارى في افريقيا ارتفع خلال (٨٠ عاما) من (٩,٩ ملايين) نسمة الى (٢٠٣ ملايين) ،وان نسبة النصارى الافارقة التي لم تكن تتجاوز (٣٪) قد ارتفعت ارتفاعا ظاهرا حيث يحاول المجلس العالمي للكنائس ان يوصلها الى خمسين في المائة في عام الفين ميلادية . وضربت المجلة مثلا بدولة (كينيا) التي لم يكن عدد النصارى من مواطنيها يتجاوز الالفين عام (١٩٠٠ م) ، بينما وصل عددهم اليوم الى ستة ملايين نصراني .

صدى الوعي الإسلامي

كم يسعدنا أن نرى الأثر الطيب للكلمة الطيبة .. ويسعدنا أكثر أن يتحول القول الى فعل .. وأن تطبق شريعة الله في أرضه .. وصدق الله « **ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها** » .

هـذا .. وقـد حملـت « **الـوعـي الاسلامي » توصيات المؤتمر الأول للزكاة والذي عقد في الكويت بدعوة من بيت الزكاة الكويتي . حملت الوعي هذه التوصيات الى « ماليزيا الاسلام » فماذا كان الأثر ؟ يحدثنا عن ذلك مسؤول التربية والعلاقات العـامة بـالمؤسسـة الاسـلاميـة بكلنتان السيد/ لقمان الحاج عبد اللطيف فيقول ما نصه :**

أتشرف بإحاطتكم علما بأن ما جاء في مجلة الوعي الاسلامي عدد ٢٣٧ ـ رمضـان ١٤٠٤ من بيان للتـوصيات الاثنتي عشـرة لقي تجاوبا من الماليزيين ، لرغبتهم في إصلاح ديانتهم في مجال التعبد بفـريضة الـزكاة . ويظهـر هذا التجاوب في تناول أكبر جريـدة ماليزية وأوسعها انتشـارا وهي « أوتوسان ماليزيا » المطبوعة على الحـروف الرومـانيـة وبـاللغـة الماليزية ـ تلك التوصيات بالنشر في يوم الأربعاء ٢٧/٩/١٤٠٤ الموافق ٢٧/٦/١٩٨٤ وذلـك بنـاء عـلى الترجمة التي قام وبعث بها إليها مـدير قسم التـربية والعـلاقات بالمؤسسة الاسلامية بكلنتان السيد لقمان الحاج عبد اللطيف ، نظرا الى أهمية الموضـوع لمعرفـة الجهات المعنية والأفراد بالنسبة للزكاة ، وإلى تاريخية هذا المؤتمر الذي نظم في العالم الاسلامي ، ولا شك أن هذه البادرة الطيبة من بيت الزكاة الكويتي ستثمر أينع ثمارهـا في عاجل الأوقات ، فلا بد من إشعارها بـواسطـة مختلـف القنـوات الاعلامية ،،،

،،، أرفق مع الطي صورة النشرة الأصلية التي أضيفت إليها صورة النشرة لمضمون التوصيات وقد تصرف بالتـرجمة الأولى السيـد ساروجي مختار ، وهو أحد رجال الصحافة العـاملين مـع جريـدة « أوتوسان ماليزيا » ، لا طلاعكم .. وأخيرا ترجو المؤسسة الاسلامية بكلنتان لبيت الزكاة بدولة الكويت كل توفيق ونجاح ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مسئول التربية والعلاقات العامة ،
(لقمان الحاج عبد اللطيف)

بسم الله الرحمن الرحيم

توصيات المؤتمر الأول للزكاة

عقد مؤتمر الزكاة الاول في دولة الكويت بدعوة من بيت الزكاة في الفترة من ٢٩ رجب وحتى ١ شعبان ١٤٠٤هـ الموافق ٣٠ ابريل وحتى ٢ مايو ١٩٨٤م في فندق حياة ريجنسي الكويت وقد تناول المؤتمر الابحاث الآتية :

١ ـ آثار الزكاة في الافراد والمجتمعات .
٢ ـ الجوانب القانونية لانشاء وتنظيم وادارة مؤسسات الزكاة وتطبيقاتها العملية المعاصرة .
٣ ـ التطبيقات التاريخية والمعاصرة لتنظيم الزكاة ودور مؤسساتها .
٤ ـ دور الزكاة في الاقتصاد العام والسياسة المالية .
٥ ـ اصول محاسبة الزكاة وضبط جمعها وصرفها .

وكما استعرض المؤتمر تقارير لمؤسسات الزكاة الآتية :ـ
١ ـ صندوق الزكاة في المملكة الاردنية الهاشمية
٢ ـ ديوان الزكاة في جمهورية السودان الديمقراطية
٣ ـ بنك ناصر الاجتماعي في مصر نظام تدبير الزكاة في ماليزيا .

وكما ناقشت اللجنة العلمية في اليوم السابق للمؤتمر اربعة جوانب لاحكام الزكاة وهي :
١ ـ زكاة اموال الشركات والاسهم والسندات .
٢ ـ زكاة المستغلات العقارية والصناعية وغيرها .
٣ ـ زكاة ارباح المهن الحرة والرواتب والاجور .
٤ ـ زكاة الاموال غير المنصوص عليها والاموال المشتبه بها والمحرمة .

وقد اتخذ المؤتمر التوصيات الآتية :ـ
١ ـ يؤكد المؤتمر على ضرورة أن يعمل المسلمون جميعا ـ حكاما ومحكومين على ترسيخ [illegible] الاسلامية الخالصة وتطبيق احكام الشريعة الاسلامية الغراء في بلادهم .
٢ ـ يناشد المؤتمر ولاة الامور في الدول الاسلامية وغيرها التي لم تنشأ فيها مؤسسات الزكاة ضرورة انشاء وتشجيع قيام مؤسسات مستقلة للزكاة وذلك لما للزكاة من آثار طيبة على المجتمعات والافراد .

٣ ـ انشاء امانة عامة او اتحاد لمؤسسات الزكاة لتنظيم جميع شئون الزكاة وعقد المؤتمرات المتخصصة واختيار احد البلدان مقرا لها .
٤ ـ تشكيل لجنة علمية من الفقهاء والمتخصصين لمعالجة الامور المعاصرة المتعلقة بالزكاة ورفع توصياتها للجهات المعنية ويتولى بيت الزكاة الكويتي متابعة الجهات المختصة في العالم الاسلامي لتنفيذ ذلك ، على ان تعطي اللجنة اولوية لاعداد صياغة شرعية موحدة لاحكام الزكاة تعالج جمعها وصرفها وجميع المسائل المتعلقة بها .
٥ ـ تكوين صندوق او منظمة باسم صندوق الزكاة تشترك فيه الدول الاسلامية يكون تابعا لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، للتنسيق بين مؤسسات الزكاة في الدول الاسلامية وحل مشاكلها عن طريق البحوث والدراسات اللازمة وتنظيم جمع الزكاة وتوزيعها على مستوى العالم الاسلامي ، على ان يتولى بيت الزكاة في الكويت متابعة تنفيذ هذه التوصية مع منظمة المؤتمر الاسلامي واعداد الدراسات اللازمة في هذا الشأن .
٦ ـ يوصي المؤتمر بأن يكون انعقاد مؤتمر الزكاة كل سنة مرة في احد الاقطار الاسلامية تأكيدا لاهمية هذه اللقاءات لمعالجة قضايا تخصصية على ان يتولى بيت الزكاة في الكويت متابعة تنفيذ هذه التوصية .
٧ ـ دعوة وزارات التربية والتعليم والجامعات في الدول الاسلامية للاهتمام بتدريس مقررات الزكاة وجوانبها المختلفة ضمن مناهجها وتشجيع البحث العلمي في نواحيها المتعددة .
٨ ـ يوصي المؤتمر كافة الوسائل الاعلامية بتوضيح وتبسيط احكام فريضة الزكاة واعداد البرامج الموضحة لمدى الحاجة اليها في المجتمعات الاسلامية وآثارها في النهوض لهذه المجتمعات .
٩ ـ يوصي المؤتمر باهمية اختيار الموظفين ذوي الكفاءة والصلاح والاهتمام بالعمل الاسلامي العام بادارة مؤسسات الزكاة والعمل على تنظيم الدورات التدريبية والحلقات التخصصية لتطوير قدراتهم .
١٠ ـ يوصي المؤتمر بدراسة التطبيقات الحالية والمتقدمة في تطبيق فريضة الزكاة للاستفادة من خبراتها وانشطتها المختلفة مثل المملكة العربية السعودية وجمهورية باكستان الاسلامية وغيرها من الدول الاسلامية .
١١ ـ يوصي المؤتمر صناديق وبيوتات الزكاة بالاهتمام بالمجاهدين وتقديم كل عون لهم .
١٢ ـ يوصي المؤتمر مؤسسات الزكاة في العالم الاسلامي بضرورة التنسيق المستمر فيما بينهم والعمل على تبادل الخبرات والرأي في مختلف قضايا الزكاة .

وفي النهاية يتوجه المؤتمرون بالشكر والتقدير لدولة الكويت على هذه المبادرة الطيبة باقامة واستضافة مؤتمر الزكاة الاول .

كما يتوجه الحضور بالشكر الى بيت الزكاة الكويتي على الجهد الخالص الذي قام به في سبيل انجاح هذا المؤتمر ووضعه اللبنة الاولى لمثل هذه اللقاءات الخاصة بموضوع الزكاة .

واوصى المؤتمر برفع برقيات شكر تتضمن ذلك لحضرة صاحب السمو امير البلاد ولسمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء ووزير الاوقاف والشئون الاسلامية رئيس مجلس ادارة بيت الزكاة ولرئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر .

Utusan Malaysia Rabu, 27 Jun, 1984

Sistem zakat Malaysia dibincang di Kuwait

Oleh Saroji Mokhtar

KOTA BAHARU 26 Jun — Sistem pengurusan zakat di Malaysia adalah di antara empat sistem zakat negara Islam seluruh dunia yang dipilih untuk dibincangkan dalam muktamar mengenai zakat di Kuwait baru-baru ini.

Muktamar tersebut julung kali dianjurkan oleh rumah zakat Kuwait selama tiga hari di salah sebuah hotel terkemuka di negara tersebut pada 30 April hingga 2 Mei lalu.

Pegawai Perhubungan Yayasan Islam Kelantan, Ustaz Lukman Haji Abdul Latif berkata, mengikut petikan majalah Al-Waie Al-Islami Kuwait keluaran Jun 1984 lain-lain sistem pengurusan yang dipilih ialah tabung zakat kerajaan Hashimi Jordan, Dewan Zakat Republik Demokrat Sudan dan Bank Sosial Nasir di Mesir.

Katanya, pemilihan itu adalah dibuat berdasarkan kepada penyusunan sistem pengurusan zakat teratur, tersusun dan mendatangkan kesan yang baik kepada perseorangan dan masyarakat sebagaimana yang dikehendaki.

Beliau yang juga pegawai bahagian pelajaran Yayasan Islam Kelantan menyatakan, mengikut laporan majalah berkenaan, muktamar itu telah membincangkan kesan-kesan zakat kepada orang perseorangan dan masyarakat.

Lain-lain perbincangan ialah sudut perundangan bagi menubuh, mengatur, mentadbir yayasan-yayasan zakat dan pelaksanaan-pelaksanaan semasanya.

- Pelaksanaan lama dalam sejarah zakat dan pelaksanaan semasa dalam mengendalikannya serta berbagai peranan yayasan-yayasannya.
- Peranan zakat di dalam ekonomi umum dan pengurusan kewangan
- Prinsip-prinsip pengiraan zakat, kaedah memungut dan mengedarnya.

Katanya kepada Utusan, sehari sebelum muktamar berjalan panitia ilmiah telah membincangkan empat bidang hukum zakat seperti berikut:-

- Zakat harta syarikat, saham dan bond.
- Zakat hasil bangunan, perindustrian dan lain-lain seumpamanya.
- Zakat keuntungan daripada berbagai pekerjaan bebas dan gaji atau upah/sewa.
- Zakat harta yang tidak dinaskan dan harta-harta yang seumpamanya juga harta-harta haram.

Muktamar telah membuat 12 resolusi antaranya, muktamar merasakan betapa pentingnya seluruh umat Musliminbaik pemerintahan mahupun rakyat bertanggungjawab memperkuatkan akidah islamiah yang tulen dan melaksanakan hukum-hukum syariat Islamiah di negara mereka.

Muktamar juga mendesak pihak-pihak berkuasa di seluruh negara Islam dan di mana-mana negara yang belum menubuhkan lagi yayasan-yayasan zakat supaya menubuhkan dan menggalakkan penubuhannya secara berasingan. Ini ialah kerana zakat memberikan kesan-kesan yang baik kepada orang perseorangan dan masyarakat.

الفتاوى

(المغالاة في المهور)

قارئة لم تذكر اسمها تقول تقدم لي خاطب يحمل شهادة علمية بدرجة الدكتورا ومعروف أنه ذو خلق وأنه كفء ولكن والدى فرض عليه مهرا لا يقدر عليه وتقول هل للمهر حدود معينة ؟ وما حكم الاسلام في المغالاة في المهور ؟

● من المقرر في الاسلام إتاحة فرص الزواج لإعفاف الزوج والزوجة ويستمتع كلاهما بالحلال الطيب وبذرية طيبة إلى غير ذلك من مقاصد الزواج المشروعة وهذه المقاصد لا تتم إلا اذا كانت الوسيلة الى الزواج ميسرة ومعلوم ان التغالى في المهور من العقبات التي تعترض طريق الزواج وتفتح باب الفتنة .

والشريعة لم تضع حدا لقلة المهر ولا لكثرته لاختلاف الناس في الغنى والفقر على الموسع قدره وعلى المقتر قدره واقتصرت النصوص على أن المهر لا يشترط فيه إلا ان يكون شيئا له قيمة بصرف النظر عن القلة والكثرة

والاسلام كره المغالاة في المهور ودعا إلى مراعاة جانب التيسير ما أمكن وأخبر ان المهر كلما كان قليلا كان الزواج مباركا وأشار إلى ان قلة المهر من يمن المرأة وبركتها فعن عائشة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن أعظم النكاح بركة ايسره مؤنة »

وقال « يمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها . وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها » .

ولكن الكثير من الاولياء يتأثر بعادات موروثة من الجاهلية ويرفض التزويج إلا اذا دفع الزوج مهرا يرهقه ويضايقه مما جعل بعض المتقدمين للزواج يعرض عنه لعدم استطاعته والبعض الآخر يلجأ الى الدين والاقتراض وربما كان اقتراضا محرما ليقدم المهر المفروض وهو مقهور وهذا تحكم من جانب الأولياء يترتب عليه ضرر يلحق الرجال والنساء وينتج عنه كثير من المفاسد والشرور التي تفتح باب الفتنة ويصبح الحلال أصعب منالا من الحرام . ومما لا شك فيه ان المسئولية هنا تقع على الولى المتسلط الذى لم يستجب لدعوة الاسلام بتزويج صاحب الدين والخلق .

اذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » .
في هذا التوجيه خطاب إلى الأولياء ألا يردوا من كان ذا دين وخلق وأمانة فليس المال وحده مقياسا للسعادة أو معيارا للكفاءة وليست المرأة سلعة يساوم عليها ويتجر بها .

(إذا اشترطت الزوجة)

قارئة من الدمام تقول لي زميل موظف تقدم لي فلو اشترطت في العقد ألا يتزوج بأخرى ما دمت زوجة له ما الحكم لو أخل بهذا الشرط فيما بعد ؟

● للعلماء في مثل هذه الحالة رأيان منهم من يرى وجوب الوفاء بما التزم به الزوج في العقد فإن لم يف الزوج بما اشترطت عليه الزوجة فسخ العقد .
واستدلوا بقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (المسلمون على شروطهم) ولما رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أحق الشروط ان يوفي به ما استحللتم به الفروج) ولانه شرط لها فيه منفعة ولا يمنع المقصود من الزواج فكان لازما كما لو اشترطت عليه زيادة المهر وقد حكم بذلك سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لما تزوج رجل امرأة وشرط لها دارها ثم اراد نقلها فقال عمر لها شرطها «مقاطع الحقوق عند الشروط » وهذا ما ذهب إليه الحنابلة وكثير من الصحابة وابن قدامة .
الرأي الثاني للعلماء يرى ان الزواج صحيح ولا يلزم الزوج الوفاء بهذا الشرط واستدلوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « المسلمون على شروطهم إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا » وهذا الشرط يحرم الزواج بأخرى وهو حلال وقالوا إن هذا الشرط وأمثاله ليس من مصلحة العقد ولا مقتضاه ويقول صلى الله عليه وسلم « كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وان كان مائة شرط » ولقوله ليس هذا في كتاب الله لأن الشرع لا يقتضيه
وهذا مذهب أبي حنيفة والشافعي وكثير من اهل العلم وعلى صاحبة السؤال ان تحدد موقفها قبل العقد بعد ان عرفت الحكم عند الفقهاء .

(حكم الزنديق)

إحدى الدارسات في دار القرآن الكريم بالكويت تقول من هو « الزنديق » وما حكمه في الاسلام ؟

● **من العلماء من عرّف الزنديق بأنه الذى لا ينتحل دينا ومنهم من عرفه بأنه من يعترف بالاسلام ولكنه يفسر بعض ما ثبت من الدين ضرورة بخلاف**

مافسره الصحابة والتابعون وأجمعت عليه الأمة كما اذا اعترف بأن القرآن حق وما فيه من ذكر الجنة والنار حق ولكن المراد بالجنة في نظره الابتهاج الذى يحصل بسبب الملكات المحمودة . والمراد بالنار هي الندامة التي تحصل بسبب الملكات المذمومة وليس في الخارج جنة ولا نار وأطلق جماعة من الشافعية الزندقة على من يظهر الاسلام ويخفى الكفر مطلقا . وقد اتفق جمهور الفقهاء على قتل الزنديق ليكون زجرا للزنادقة ومنعا للتأويل الفاسد في الدين .

ردود خاصة

القارىء محمد احمد علام يعمل بالمملكة العربية السعودية في الرياض

● عدم استطاعتك اخراج زكاة الفطر ليلة العيد لا يعفيك من إخراجها فقد اتفق الأئمة على ان زكاة الفطر لا تسقط بالتأخير بعد الوجوب بل تصير دينا في ذمة من لزمته حتى يؤديها .

الى القارىء محمد عبدالله الزغبي من جمهورية مصر العربية

● لايجوز تصديق الدجالين في دعواهم معرفة الغيب حيث يقول الله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) فلا الملائكة ولا الجن يعلمون الغيب فكيف يعلمه الدجالون ؟ ولم تقتصر حملة الاسلام على من يدعى علم الغيب وحده بل اشرك معهم في الاثم من يصدقهم في تضليلهم قال عليه الصلاة والسلام (من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه بما قال لم تقبل له صلاة اربعين يوما) رواه مسلم . ولا ينبغي الاعتقاد في الزار فإنه بدعة منكرة ومجال الطب يتسع لعلاج الأمراض سواء كانت نفسية أم غيرها والاسلام يأمر بالتداوى فالله الذى خلق الداء خلق الدواء ـ وليس الزار دواء .

الى القارىء الميموني عبدالله ـ الفنيدق باب سبته إقليم تطوان المغرب ـ

● ابحث عن عمل لا شبهة فيه واذا لم تجد عملا غيرما تقوم به من خياطة ملابس النساء فليكن في حدود الآداب الاسلامية وضرورة الابتعاد عن الخلوة بالأجنبية ومراعاة غض البصر وعدم اللمس ولا تقبل دعواك أنك مضطر الى اللمس عند المقاس حيث يمكن ان تقوم به امرأة في مكان منعزل ومع هذا فالاولى ان تختص النساء بقضاء مصالح مثيلاتهن اتقاء للشبهات ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه .

الى القارئة الآنسة حسناء ستار ـ البيضاء المملكة المغربية .

● الحجاب فرضه الاسلام صيانة للمرأة من الابتذال أو الاستغلال قال تعالى في سورة النور (**ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ..) كما قال سبحانه في سورة الاحزاب

(**يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما**)

مع الصحافة

○ عن الوضع في لبنان

نشرت الـ « وول ستريت جورنال » مقالا في الاسبوع الأول من محرم حللت فيه التطورات الجديدة في لبنان ، وناقشت موضوع الانسحاب الاسرائيلي الذي تتحدث عنه الصحافة كثيرا في هذه الأيام . وقد جاء في المقال :

كما هي الحال دائما في لبنان ، ليس هناك سبب يدعوك لكي تؤمن بقوة بأن الجهود الدبلوماسية ستثمر كما تظن في بداية الامر .

ففي خضم أحداث الاسبوع الماضي ، والتي كان من بينها تفجير مقر السفارة الاميركية الجديد في بيروت ، انتعشت الجهود الدبلوماسية الاميركية الهادفة لاجراء مفاوضات تتعلق بانسحاب القوات الاجنبية من لبنان ، وبدت كما لو انها عادت للحياة من جديد . فقد سارع مساعد وزير الخارجية الاميركي ريتشارد مورفي لزيارة كل من بيروت وسوريا واسرائيل لاجراء محادثات حول اخراج القوات السورية والاسرائيلية من لبنان . ودعت اسرائيل من جانبها الولايات المتحدة لكي تتوسط بينها وبين سوريا ، وألمحت في نفس الوقت الى أنهالم تعد تشترط اجراء عملية انسحاب متزامن مع القوات انسورية للخروج من لبنان .

ولاشك ان اسرائيل تريد سحب قواتها من المستنقع اللبناني ، وبالتأكيد إن تشكيل حكومة جديدة في اسرائيل يخلق فرصة جديدة لتحقيق ذلك . ولكن اسرائيل مع هذا تريد ان تحمي مصالحها في الجنوب اللبناني قبل أن يصبح الانسحاب عند اكتماله سببا في اثارة المشاكل من جديد على حدودها .

بيد أن سوريا ، التي لا تزال تحتفظ ببعض قواتها في لبنان ، لايزال لديها دافع ولو ضئيلا يمنعها من أن توفر انسحابا سهلا للاسرائيليين من لبنان . وهي ، أي سوريه ، تريد فعلا أن يخرج الاسرائيليون من لبنان ، ولكن يمكن ان يكون لديها اسباب جديدة اليوم تجعلها ترغب في أن تتلكأ عملية الانسحاب الاسرائيلي ولو قليلا .. إذ أن السوريين يخشون من أن تتحرك الحكومة الاسرائيلية الجديدة ، بعد خروجها من المستنقع اللبناني ، وتعمل على جر دول عربية معتدلة اخرى لعملية السلام ، مما قد يؤدي لعزل سوريا . ولقد ظهر هذا واضحا عندما حذرت سوريا الاردن بأن قراره باستئناف العلاقات الدبلوماسية مع مصر لايجب ان يؤدي الى خلق معاهدة سلام اخرى شبيهة لكامب ديفيد . ومع أن أخطار الفشل كبيرة ، الا أن الفرص قوية في أن تطلب كل من سوريا واسرائيل من الولايات المتحدة ان تنجز الاعمال المستحيلة . وفي ضوء هذا الواقع ، ربما يفضل الدبلوماسيون الاميركيون

عدم القيام بأي دور وسيط هذه المرة .
اذ أن وزير الخارجية الاميركي الاسبق الدكتور هنري كيسنجر حذر هذا الاسبوع من مخاطر انغماس الولايات المتحدة بعملية جديدة لسحب القوات من لبنان ، ونصح بالاضافة للعديد من الخبراء بترك القضية برمتها لتحلها اسرائيل ، خاصة وأن التاريخ الحديث يوحي بأن سوريا واسرائيل يمكن ان يظهرا روح التعاون ضمنيا على أرض الواقع اكثر من التعاون الذي تتطلبه اتفاقية امن رسمية بين البلدين تريد اسرائيل ترتيبها بمساعدة أميركية . وربما تحتاج كل من سوريا واسرائيل الى الوساطة الاميركية اليوم بشكل أساسي لاسباب تتعلق بأهداف قصيرة المدى . احد الدبلوماسيين المطلعين على قضايا الشرق الاوسط ، يشك في النوايا السورية . اذ هو يعتقد أن سوريا ستمضي مع جهود التوسط الاميركية لكي تتجنب بشكل رئيسي أي عمل انتقامي من جانب ادارة الرئيس ريغان بسبب المزاعم التي تقول ان لسوريا دورا في أعمال الارهاب التي تحدث في لبنان .

اما الحكومة الاسرائيلية الجديدة فانها ربما تبحث عن الدور الاميركي فقط لكي تبرهن للرأي العام الاسرائيلي انها تبذل ماتستطيع لكي تفي بتعهداتها التي قطعتها على نفسها خلال الحملة الانتخابية ، والتي تؤكد على أن يتم الانسحاب الاسرائيلي من لبنان في غضون ستة أشهر . وفي هذا الصدد يقول أحد المسؤولين الاميركيين : أن الاسرائيليين يريدون تدخل الولايات المتحدة لانه في حال فشل ذلك التدخل ، سيتمكن الاسرائيليون من التملص من وعودهم السابقة الداعية لتحقيق الانسحاب في ستة أشهر . وهكذا فان المظهر الخارجي للسياسة الاسرائيلية سيظهر ان اسرائيل راغبة في الانسحاب من لبنان تحت أية شروط ، ولكن الظروف هي التي تتحكم بالعملية .

من جهة ثانية ، ستحتاج اسرائيل ، قبل أن تنجز عملية الانسحاب من لبنان ، الى تحويل قوات العميد انطوان لحد الموالية لها ، والتي تتألف من ميليشيات محلية ، الى قوة حقيقية قادرة على حراسة منطقة الجنوب اللبناني ، ومنع تسرب العناصر المناوئة لاسرائيل الى هناك .
غير أن عملية بناء وتشكيل قوات لحد لا تزال مؤلمة بالنسبة لاسرائيل لانها لاتزال عملية بطيئة . وفي الاسبوع الماضي أظهر جنود لحد انهم بعيدون عن اي انضباط عسكري ، عندما قتلوا ١٣ رجلا غير مسلح في احدى القرى بالجنوب .
واضافة الى تشكيل وبناء قوات لحد تريد اسرائيل من الحكومة اللبنانية مد سلطتها الى الجنوب اللبناني لكي تمنع الفدائيين من العودة ولاشك أن هذا سيتطلب من الحكومة اللبنانية التي تدعمها سورية تقديم المساعدة اللازمة لتحقيق ذلك . بل وأكثر من هذا ، ربما تحتاج اسرائيل الى تحقيق تفاهم ضمني مع سوريا لمنع عودة الفدائيين للجنوب .

○ عن تشاد

هل يتم انسحاب القوات الفرنسية والليبية من تشاد ؟ لقد أعلن عن التوصل الى اتفاق بين الفرنسيين والليبيين على الانسحاب ، غير أن بعض المراقبين لايرون فيه اتفاقا نهائيا . حول هذا الموضوع نشرت « الايكونومست » مقالا في أواخر ذي

الحجة جاء فيه :
وأخيرا سنحت الفرصة لفرنسا للخروج من تشاد . ففي الخامس والعشرين من سبتمبر الجاري ستبدأ القوات الفرنسية التي يربو عددها على ثلاثة آلاف جندي اضافة الى خمسة آلاف جندي ليبي بالانسحاب من تلك الدولة الافريقية . وبموجب الخطة التي تم الاتفاق عليها لن يبقى على أرض تشاد أي جندي اجنبي واحد بحلول يوم الخامس عشر من نوفمبر . ولاشك أن نجاح تطبيق تلك الخطة ، سيعني انجازا مؤثرا للدبلوماسية الفرنسية ، ولكن هل سيحافظ العقيد القذافي على تعهده في ذلك الاتفاق ؟

لقد اعلن وزير الخارجية الفرنسي كلود شيسون في السابع عشر من سبتمبر ، وبعد أسبوع من الجولات المكوكية بين طرابلس وباريس ، نبأ التوصل لاتفاق حول انسحاب كلي ومتزامن للقوات الفرنسية والليبية من تشاد . والامر الذي تجدر ملاحظته أن من بين الذين أعلنوا دهشتهم لذلك النبأ ، كان الرئيس التشادي حسين حبري ومنافسه الرئيسي جوكوني عويدي الذي تدعمه ليبيا . هذا مع العلم ان كلا من وزير الدفاع الفرنسي شارل هيرنو والخبير الفرنسي في الشؤون الافريقية السيد غاي بين أجرى كل منهما محادثات مع السيد حبري في مطلع هذا الشهر ، ومع ذلك أدعى وزير الخارجية التشادي أن حكومته لم تبلغ بالامر . بينما أعلنت بعض المصادر الاخرى أن فرنسا قدمت لتشاد عرضا جاهزا .

وعلق راديو تشاد أيضا قائلا : هل سيتظاهر الليبيون بالانسحاب كي يعودوا لشن ضربة أخرى ؟
العقيد معمر القذافي من جانبه لم يدخر جهدا ، على مايبدو ، لاقناع الفرنسيين أنه سيحافظ على كلمته ازاء الاتفاق .
ولما كان السيد شيسون غير واثق تماما من تطورات الاحداث لذلك قال : المبدأ الذي سنسير عليه هو أننا سوف ننسحب اذا ما انسحبوا ، ويعني الليبيين ، وسوف نبقى اذا مابقوا ، وسوف نعود ، اذا ماعادوا . وأضاف : أن القوات الفرنسية قد تنسحب الى جمهورية افريقياالوسطى حيث تحتفظ فرنسا هناك بقاعدة عسكرية قوية .
وبالطبع أن مسألة الانسحاب الليبى من تشاد سوف تستحوذ على الكثير من الجدل .

وفي عام ١٩٨٠ ، أرسل العقيد القذافي قواته الى تشاد ليقدم الدعم للسيد عويدي الذي كان يتقلد منصب الرئاسة في تشاد ثم سحب تلك القوات في نوفمبر ، وأعادها مرة أخرى السنة الماضية . ولا شك أن سحب تلك القوات من جديد سيضمن له الاستحسان من جانب القادة الافريقيين الذين يشعرون بالقلق من أن يؤدي الخلاف الافريقي حول تشاد الى تقويض اجتماع منظمة الوحدة الافريقية المنوي عقده في العاصمة الاثيوبية في نوفمبر القادم .

من ناحية أخرى ، لم يكشف النقاب بشكل واضح عن تفاصيل عملية الانسحاب المشترك من تشاد ..

وهناك احتمال أن يأتي المراقبون للاشراف على ذلك الانسحاب من نيجيريا والسنغال والمغرب . ولكن هل سيبقى هؤلاء المراقبون حتى الخامس عشر من نوفمبر ؟ لا احد يعلم ذلك . هذا ويسلم المسؤولون في تشاد بأن الاتفاق يمكن أن يمهد الطريق لاجراء مصالحة بين الحكومة والمتمردين . ولكن لايزال مستقبل قطاع أوزو ، الغني باليورانيوم والواقع

على الحدود الليبية التشادية ، الذي ضمته ليبيا اليها عام ١٩٧٣ غير معروف أو واضح تماما .

وكان متحدث ليبي قد أعلن في الثامن عشر من سبتمبر أن مستقبل ذلك القطاع غير خاضع للمناقشة ولذلك فان التشاديين يعتقدون أن ليبيا ستستخدم ذلك القطاع كقاعدة لها للعودة من جديد الى تشاد .. أما الفرنسيون فانهم يعتبرون ذلك القطاع جزءا من تشاد ، ولكنهم ربما يفضلون ترك تلك المسألة لتبحثها الامم المتحدة .

○ عن أسواق النفط

نقلت « كونا » في أواخر ذي الحجة تحليلا نفطيا عن المصاعب التي تواجهها الأوبيك في الثمانينات ، وقد جاء في التحليل :

خلق تدني انتاج اوبيك من ٣١ مليون برميل يوميا في عام ١٩٧٩ الى أقل من ١٧ مليون برميل في اليوم في اغسطس ١٩٨٤ بالاضافة الى التدني في الانتاج النفطي العربي من ٢١ مليون برميل يوميا في عام ١٩٧٩ الى أقل من ١٠ ملايين برميل يوميا طاقة انتاج غير عاملة هي أكثر من اربعة ملايين برميل يوميا خارج منطقة الشرق الاوسط . وأن وفرة مثل هذه الطاقة الضخمة غير المستغلة واستمرار الضعف في سوق النفط العالمية تعطي الدول الغربية اسبابا كافية لاعادة النظر في سياستها القائمة على اضافة نفط اكثر للاحتياطات الضخمة اصلا .

وأن أي قرار من قبل الغرب تبعا لذلك لوقف احتياطيات متراكمة بشكل أكثر سيخفض الاقبال على نفوط اوبيك بمعدل لا يقل عن مليون برميل يوميا ومن شأنه أن يزيد من تعرض اوبيك لصعوبات .

واذا ما تم اتخاذ قرار لوقف شراء المزيد من النفط الاحتياطي آخر وانخفض الطلب على نفط اوبيك بواقع مليوني برميل يوميا فان اوبيك ستواجه عندها تحديا سيكشف عن معدنها .

فالنفط اللازم للوفاء باحتياجات الغرب كنتيجة لذلك يمكن أن يأتي من دول غير اعضاء في اوبيك او بدلا من ذلك من احتياطيات نفط استراتيجية .

وان مثل هذه الاعمال التي تلقى تشجيعا كبيرا من الاميركيين والاوروبيين على حد سواء يمكن أن تظهر كخطوة وطنية لتأكيد القوة الغربية والتأثير الغربي أو تحت ضغط اغواء اسرائيليين لتركيع العرب .

ويبدو واضحا ان دول اوبيك تحتاج لاجراء التعديلات اللازمة التي فرضتها حقائق السوق للثمانينات . وان شراء الوقت ليس في صالح اوبيك .

وتشتمل بعض هذه الاجراءات على الحاجة الى خفض برامج التنمية لديها ولقد فعلت ذلك بعض الدول بالاضافة الى الحاجة الى استغلال اكثر فعالية لمواردها فضلا عن تحديد مدة استكمال مشروعات بدأت فعلا .

واعتبارا من الان فان الكثير من الرقابة المفروضة على أسعار النفط والتي استطاعت اوبيك أن تأخذها من أيدي شركات النفط الدولية العملاقة في السبعينات قد بدأت تذهب لصالح الحكومات الغربية للدول المستهلكة بشكل رئيسي في الثمانينات .

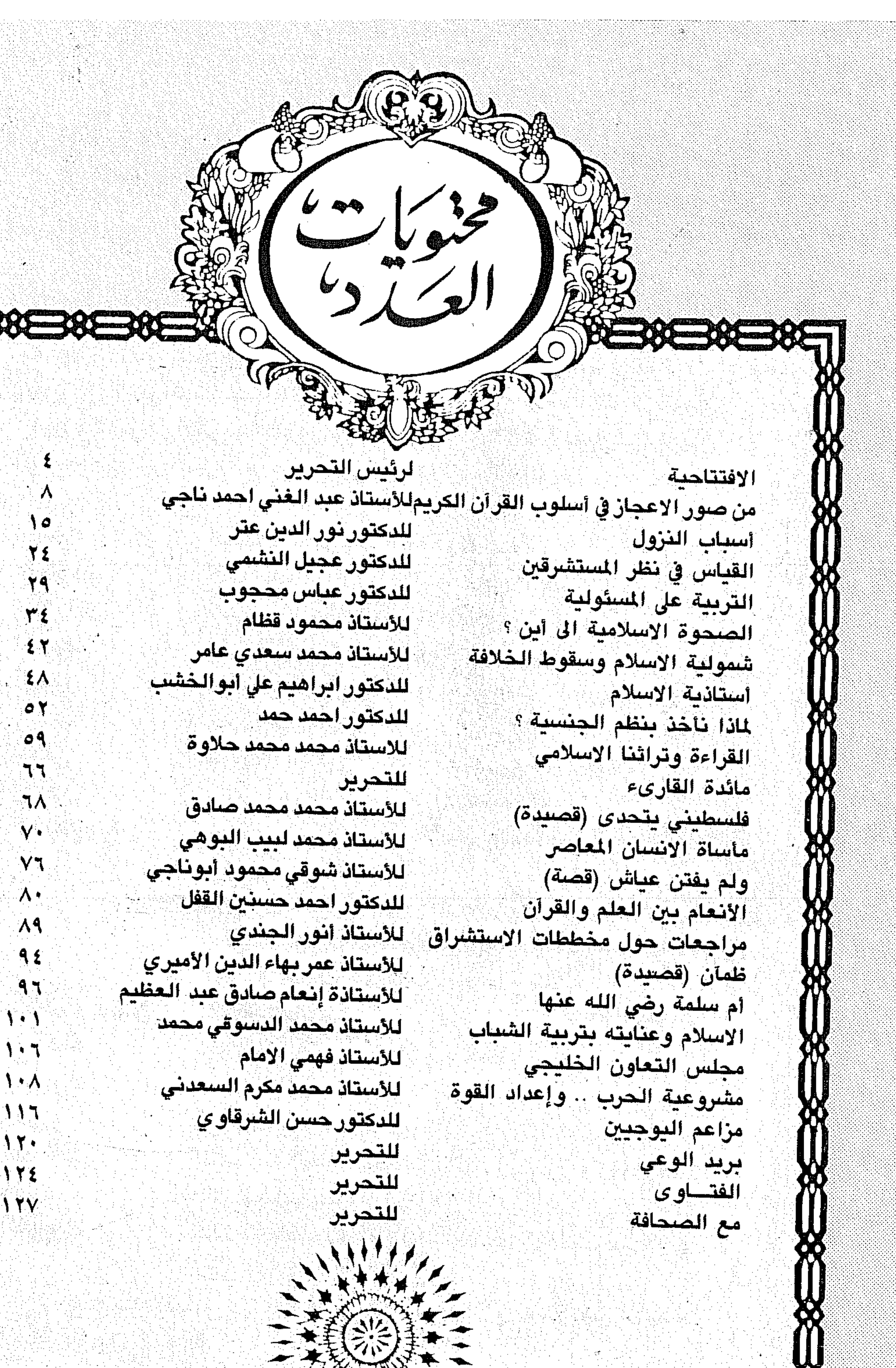
ويبدو ان هذا الواقع اكثر مغزى لانه من الواضح أن وضع السوق النفطية سيبقى كما هو متوقع على ما هو عليه طيلة السنتين القادمتين او الثلاث المقبلة على الاقل .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية : **جدة ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق . تلفون : ٦٤٤٤٤٤٤ .**
الرياض ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق
الخبر ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان : مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء : دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .



محتويات العدد